

روايات
عالمية
للفتيان
نساء صغيرات
لويزا ام الكوت
J
M
الجزء الاول
A
E

نساء صغيرات

بقلم لويزا ام الكوت

ترجمة نمير عباس مظفر



نساء صغيرات
تأليف: لويزا ام الكوت
ترجمة: نمير عباس مظفر
الطبعة الاولى ١٩٨٨

الناشر: وزارة الثقافة والاعلام دار ثقافة الاطفال
ص . ب ٨٠٤١

روايات عالمية للفتيان

تصدر عن قسم النشر في دار ثقافة الاطفال
المدير العام رئيس مجلس الادارة فاروق سلوم
سكرتير تحرير السلسلة فاروق يوسف

نساء صغيرات
الجزء الاول



نساء صغيرات

تروي قصة «نساء صغيرات» احداث عام من حياة عائلة (مارتش) .... فأثناء ابتعاد الاب بسبب (الحرب الأهلية) تشقى الأخوات وامهن من اجل ادامة بيت آمن وسعيد ... فنسمع عن مشاكلهن وافراحهن الى الحد الذي نبدأ فيه بالتعاطف مع كل شخصية منهن ... حيث نجد (ميج) التي بلغت السادسة عشرة من عمرها قد بدأت تنضج بسرعة وتكتشف خفايا الحب ... وان (جو) تمتلك موهبة الكتابة ، والقابلية على اضحاك الناس .. كما أن (بيث) الوديعة تراعي دوماً حقوق الآخرين ومشاعرهم ... بينما يشكل غرور (آمي) ذات الشعر الذهبي ، وخيلاؤها مصدر متعة دائمة .

وقد امتد عطف عائلة (مارتش) الودودة ليشمل الجميع ، بمن فيهم ذلك جارهم (لوري) ، الصبي الغني ، المسكين .. ولايوجد ، على مايبدو ، من بقي بمنأى عن تأثير الفتيات المرحات ، الواسعات الخيال .... حتى جد (لوري) – ذلك العجوز الصارم – فانه يلين بفعل ذلك التأثير الوديع الذي تمارسه (بيث) .

ولدت الكاتبة (لويزا ماي آلكوت) في مدينة (بنسلفانيا) في الولايات المتحدة الأمريكية عام (١٨٣٢) ، وقد كتبت قصتها الدافئة هذه اصلا لاحدى المجلات . حيث نشرت هذه الرواية بصيغة كتاب في عام ١٨٦٨ لتوجه نجاحا ورواجا مباشرين ... ولقد ابهجت قصة نساء صغيرات اجيالاً من القراء .... وهي تواصل منهجها هذا دون تغيير.... اما الروايات المتممة لها - اي «الزوجات الصالحات» ؛ «اولاد جو» و «رجال صغار» فقد نشرت هي الأخرى ضمن سلسلة الأعمال الكلاسيكية التي تنشرها دار (كتب بوفن) **puffin books**

المقدمة

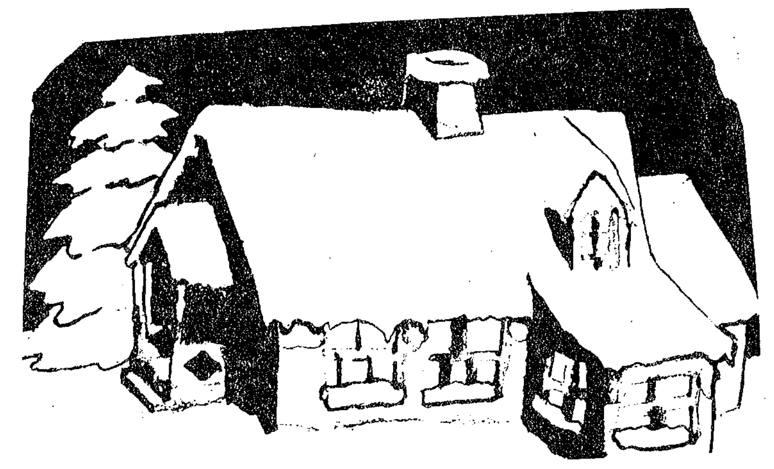
انطلق اذاً .... ياكتابي الصغير
وبين لكل من سيلقاك بالترحاب
ماتحرص على اخفائه في حنايا صدرك ،
وتمنَّ بان ما ستريهم من امور
قد يعود عليهم بالبركات ابدا
وقد يدفعهم ليكونوا حجاجا
افضل مني ومنك ...
اخبرهم عن (رحمة) التي بدأت
رحلة الحج في وقت مبكر ...
ودع الأوانس اليافعات يتعلمن منها
لكي يعرفن قيمة العالم الآخر ، ويصبحن بذلك حكيمات ، فلعل العذارى
الصغيرات ، المتعثرات الخطى يتبعن الله
على الدروب التي وطأتها اقدام القديسين

(جون بانيان)



الفصل الاول





السعي لعمل الخير

«لن يكون عيد الميلاد عيداً بدون هدايا» ، دمدمت (جو) وهي مستلقية على السجادة الصغيرة.

«كم هو مريع ان يكون الفرد معدماً!» ، تنهدت (ميج) وهي تلقي نظرة على فستانها القديم.

«ليس من الانصاف ، على مااظن ، ان يكون لبعض الفتيات الكثير من الاشياء الجميلة ، بينما لايملك البعض الآخر منهن اي شيء على الاطلاق» ، اضافت (إيمي) الصغيرة بنبرة نمت عن شعور مجروح.

«لدينا ابونا وامنا ، ولدى بعضنا البعض الآخر» ، قالت (بيث) بقناعة وهي تجلس في زاويتها.

بهذه الكلمات المشجعة ، المرحة تلامعت الوجوه الاربعة ، اليافعة التي تألق فيها ضوء النار ، الا انها سرعان ماا كفهرت ثانية عندما قالت (جو) بأسى :

«ولكن أبانا ليس معنا .. وسوف لا يكون معنا لوقت طويل» .

ولم تقل «ولربما لن نراه ابداً» ، الا ان كلاً منهن اضافت هذه العبارة بصمت وهي تفكر بابيها الذي ذهب الى حيث كانت الحرب قائمة.

لم تتكلم اي منهن لاول وهلة .. حتى انبرت (ميج) تقول بنبرة مختلفة :

«انكن تدركن مادفع والدتنا الى ما اقترحته من رأي حول الامتناع عن شراء الهدايا في هذا العيد لان الشتاء سيكون عسيراً جداً على الجميع .. وبذلك فانها ترى باننا يجب ان نتجنب صرف المال من اجل المتعة في وقت يقاسي فيه رجالنا الكثير وهم في الجيش.

وقد لانتمكن من اعطاء الكثير ولكن بامكاننا ان نقدم تضحياتنا المتواضعة .. وعلينا ان نقوم بذلك بكل سرور وارتياح.

ولكنني اخشى ان لا اقوم بذلك» هزت (ميج) رأسها واستذكرت بأسف كل الاشياء الجميلة التي ارادت الحصول عليها .

«ولكني لااظن بان المبلغ المتواضع الذي يمكننا صرفه سيعود علينا بفائدة كبيرة .. فلدى كل منا دولار واحد .. وسوف لاينتفع الجيش كثيراً من تبرعنا بهذا المبلغ التافه .. اني راضية رغم عدم الحصول على اي شيئ من الوالدة او منكن ، ولكني اتوق الى شراء رواية (أندينا وسنترام) التي اريد الحصول عليها منذ مدة طويلة» ، قالت (جو) التي كانت مولعة

بالقراءة.

«كنت قد صممت على صرف مالدي لشراء مقطوعة موسيقية جديدة» ، قالت (بيث) بحسرة مكبوتة لم تسمعها سوى مكنسة الموقد وحاملة غلاية الماء.

«سأبتاع صندوقاً أنيقاً يحوي اقلام رسم من صنع شوكة(فيبر) .. فاني حقاً بحاجة اليها»، قالت (ايمي) ذلك بتأكيد قاطع.

«لم تقل امنا اي شيئ بخصوص مالدينا من نقود ، كما انها لاتريدنا ان نتخلى عن كل شيئ .. لندع كل واحدة منا تبتاع ماتريد .. ولنتمتع ببعض التسلية واللهو ، فاني على ثقة باننا نجهد بالقدر الذي نستحق من خلاله ذلك» ، صاحت (جو) وهي تتفحص كعبي حذائها بطريقة رجل مهذب .

«ادرك جيداً باني اعمل بجد وانا اقوم بتعليم هؤلاء الاطفال المضجرين طوال اليوم تقريباً ، بينما اتوق في الواقع الى التمتع في البيت». قالت (ميج) وقد عادت ثانية الى نبرة التشكي .

«لاتبذل اي منكن نصف ماابذله من جهد مضنٍ» قالت (جو) .

«فهل ترغبن في البقاء محتجزات ، لساعات طويلة ، صحبة سيدة مسنة ، كثيرة التذمر ، عصبية المزاج ، لاتكف عن تكليفكن بالقيام باعمال شتى من دون انقطاع – سيدة لاترضى بشيئ ابداً ولاتكف عن اقلاق راحتكن حتى تدفعكن الى رمي انفسكن من النافذة ، او الى البكاء ؟ »

«ان التنكيد مستهجن ولاشك ، ولكنني أعتقد بان غسل الصحون والترتيب يشكلان اسوأ مافي الدنيا من اعمال .. انه عمل يثير سخطي ..

وتتصلب يداي الى الحد الذي يحول دون تمكني من التمرين بطريقة جيدة» ،

قالت (بيث) ثم نظرت الى يديها الخشنتين لتطلق حسرة تمكنت جميع اخواتها هذه المرة من سماعها.

«لااعتقد بان ابا منكن تعاني مااعانيه» ، صاحت (امي) . «لانكن غير ملزمات بالذهاب الى مدرسة تضم فتيات وقحات يعمدن الى ازعاجكن اذاما اخفقتن في تحضير دروسكن ، ويضحكن من ملابسكن ويلصقن بابيكن شتى الاوصاف ان لم يكن غنياً ، ويوجهن اليكن الاهانات ان لم يكن للواحدة منكن انف جميل».

«اذا كنت تقصدين بعبارة (يقذفن) فعليك قول ذلك بدلاً من عبارة (يلصقن) وكأن ابانا قنينة طرشي» . قالت (جو) وهي تضحك .

«اني ادرك ماأعني .. ولاداعي للسخرية .. وان من اللياقة ان يعمد الفرد الى استخدام العبارات الجيدة والى تحسين مايستخدم من مفردات.» ، اجابت (ايمي) بوقار .

«لاينقر بعضكن البعض الآخر أيتها الصغيرات .. الاتتمنين يا (جو) ان تكون لدينا تلك الاموال التي خسرها ابونا عندما كنا صغيرات .. ياالهي ! كم نكون سعيدات وفي وضع جيد لو لم تكن لدينا هموم» . قالت (ميج) التي كانت قادرة على استذكار أوقات افضل .

«قلت قبل بضعة ايام باننا - على ماظننت - اسعد بكثير من اطفال عائلة (كنج) لانهم يتناحرون فيما بينهم ويتذمرون طوال الوقت بالرغم مما لديهم من مال . »

هكذا قلت يا (بيث) .. أظن باننا اسعد منهم بكثير .. فبالرغم من اضطرارنا الى العمل فاننا نجد مجالاً لتسلية انفسنا ، كما اننا مجموعة مرحة على حد تعبير (جو) » .

«تميل (جو) الى استخدام هذه العبارات العامية» ، علقت «ايمي) وهي تلقي نظرة توبيخ على القوام الممدد فوق السجادة.

انتفضت (جو) على الفور لتجلس منتصبة ، وتضع يديها في جيبها وتبدأبالصفير:

«كفاك يا (جو) .. انه عمل صبياني»

«ولهذا السبب بالذات فاني امارسه» .

«امضت الفتيات الوقحات اللائي لايتصرفن تصرف السيدات المهذبات»

«وانا اكره المتصنعات والفتيات الوقحات اللائي يتكلفن اللطف والرقة ! »

«الطيور في اعشاشها الصغيرة يتفق بعضها مع البعض الآخر» ، غردت (بيث) رسولة السلام بوجه مضحك الى الحد الذي جعل الصوتين الحادين ينخفضان لينتهيا بعد ذلك بضحكة .. وهكذا انتهى «النقر» لذلك الوقت .

«ان كلتيكما ملامتان في الواقع» ، قالت (ميج) وهي تستهل نصحها بطريقة الاخت الكبرى . لقد بلغت العمر الذي يتوجب عليك فيه نبذ المقالب الصبيانية والتصرف بشكل افضل يا (جوزفين) .. فالامر لم يكن ذا اهمية عندما كنت صبية صغيرة السن .... اما الآن فانك طويلة القامة

وتقومين بتصفيف شعرك الى الاعلى .... فعليك ان تذكري بانك سيدة مهذبة ، يافعة».

«انني لست كذلك .. واذا كان تصفيف شعري الى الاعلى يجعلني سيدة مهذبة ، يافعة فسأقوم على جمعه في ضفيرتين حتى ابلغ العشرين من عمري»، صاحت (جو) وهي تنتزع الشبكة وتهز رأسها ليتهاوى شعرها الكستنائي الكثيف الى الاسفل .

«اكره ان اتصور باني مجبرة على بلوغ سن النضج لكي اكون (الآنسة مارتش) ولكي البس الفساتين الطويلة وابدو انيقة ومحتشمة كزهرة (نجم الصين) .. وفي كل الاحوال ، يكفيني باني قد خلقت فتاة .. فانا اهوى لعب الصبيان واعمالهم وتصرفاتهم .. ولم استطع لحد الآن تجاوز مااصابني من خيبة لاني لم اخلق صبياً .. والحالة هي اكثر سوءً الان ، لاني اتوق الى ان اكون مع ابي لاشترك معه في القتال بدلاً من اضطراري الى البقاء في البيت وممارسة اعمال الحياكة كامرأة عجوز شكسة كثيرة التذمر» ... وهزت (جو) الجورب العسكري الازرق حتى بدأت الابر تقعقع كصناجات بينما تدحرجت كرتها من جانب الى آخر في الغرفة .

«مسكينة (جو) ! انه امر مؤسف للغاية .. بيد انه شيءٌ لايمكن معالجته .. ولذلك عليك ان ترضي بان تجعلي اسمك اسماً صبيانياً وان تتظاهري بانك اخونا .. نحن الفتيات» ، قالت (بيث) وهي تداعب الرأس الخشن الملقى على ركبتها بيدٍ اخفقت كل عمليات غسل الصحون ونفض الغبار في جعلها خشنة الملمس .

«اما انت يا (ايمي) » واصلت (ميج) حديثها«انك متزمتة وصعبة الارضاء الى حد بعيد جداً .. فكبرياؤك المصطنعة مضحكة مسلية الآن الا انك ستصبحين إوزة متصنعة اذا اغفلت الاحتراس من هذا الجانب .. اني شخصياً معجبة بتصرفاتك اللطيفة وطريقتك المهذبة في الكلام عندما لاتحاولين ان تكوني لبقة .. فتعابيرك السخيفة لاتقل عن تعابير (جو) العامية»

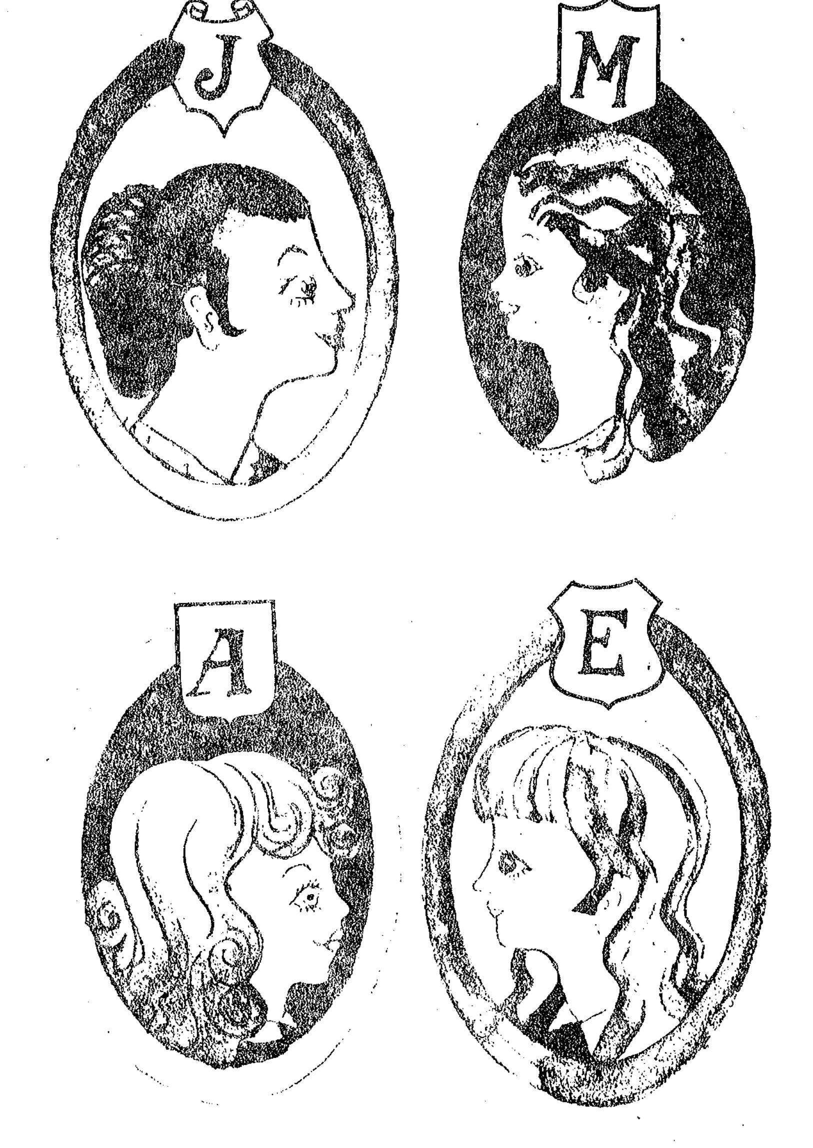
«ان كانت (جو) فتاة «غلامية» و (ايمي) اوزة فماذا اكون انا من فضلك ؟ » تساءلت (بيث) وقد استعدت لكي يكون لها نصيب في المحاضرة

«انت عزيزة ومحبوبة ولاشيئ غير ذلك » اجابت (ميج) بحرارة .. ولم يعارضها احد لان «الفأر» كانت الفتاة المدللة للعائلة .

بما ان القراء الاحداث يودون معرفة «شكل الشخصيات» فاننا سنستغل هذه الوهلة لاعطائهم وصفاً موجزاً للاخوات الاربع اللائي جلسن في الغسق وهن منهمكات في الحياكة بينما كان شهر كانون الاول ينزل بهدوء في الخارج ونار الموقد تفرقع بمرح في الداخل .... وكانت غرفة قديمة ، مريحة ، بالرغم من ان السجادة قد بهت لونها .. والاثاث كان بسيطاً وعادياً للغاية اذ علقت على جدران الغرفة صورة اوصورتان وامتلأت الكوات بالكتب ،وازدهر الاقحوان وورد عيد الميلاد في الشبابيك .. وعم ارجاء الغرفة جو لطيف من السلام المنزلي .

كانت (مارغريت) – كبرى الفتيات الاربع – في السادسة عشرة من عمرها .. في غاية الجمال .. شقراء مكتنزة الجسم .. لها عينان كبيرتان

وشعر ناعم غزير ، بني اللون ، وفم عذب ويدان بيضاوان كانت مزهوة بهما بعض الشيء .. اما (جو) التي كانت في الخامسة عشرة من عمرها ، فانها كانت طويلة جداً ونحيفة للغاية .. سمراء اللون ، تذكّر من يراها بمهرة لانها لم تكن تعرف ابداً ، — على ما بدا — ماعساها ان تفعل باطرافها التي طالما وقفت في طريقها ... كانت ذات فم مزموم ، وانف مثير للضحك وعينين رماديتين حادتين ، بدتا وكأنهما تريان كل شيء وكانتا بالتناوب متوحشتين ، مضحكتين او متأملتين ... وكان شعرها الغزير ، الطويل هو كل جمالها .. وقد اعتادت جمعه في شبكة لتبعده عن طريقها .. وكان لها كتفان مستديران ، اما يداها فكانتا كبيرتين للغاية .. ولطالما عكست منظراً غير مريح : منظر فتاة كانت تنضج بسرعة لتصبح امرأة وهي مكرهة لا راضية .... اما (اليزابيث) او (بيث) كما كان يسميها الجميع — فكانت فتاة وردية اللون وناعمة الشعر ومشرقة العينين ، في الثالثة عشرة من عمرها .. كانت خجولة ذات صوت متهيب وشكل هادئ مسالم قلما بدا قلقاً او متطابقاً .... وكان ابوها يسميها «الهدوء الصغير» فكانت تسمية تليق بها جداً لانها كانت تعيش — على مابدا — في عالم سعيد خاص بها ، لاتغامر في الخروج منه الا عند مقابلة من تحبهم وتثق بهم .... وبالرغم من ان (أيميّ) كانت الاصغر سناً ، فانها كانت الانسان الاكثر اهمية ، برأيها في الاقل ... فهي دائمة التظاهر ... بعينيها الزرقاوين وشعرها الاصفر الذهبي الذي تجعد على كتفيها ... وكانت باهتة اللون ، نحيفة القوام ، وقد اعتادت دائماً ان تمشي باعتدال ورشاقة فتاة يافعة مهذبة تعي مالها من سيماء امتياز واناقة


J
M
A
E

.... اما شخصية كل من الاخوات الاربع فامر تقرر ترك اكتشافه للقارئ .

دقت الساعة معلنة السادسة مساءً .... وقامت (بيث) – بعد ان انتهت من كنس ارضية الموقد – بوضع نعلين قرب النار ليكتسبا شيئاً من الدفء .

وبشكل ما كان لمنظر هذين النعلين القديمين تأثير جيد على الفتيات .. فقد كانت امهن على وشك العودة ، وهكذا نشطت كل منهن لاستقبالها .. فتوقفت (ميج) عن النصح والارشاد وانصرفت لاضاءة المصباح .. ونهضت (آيمي) من الكرسي ذي المسندين والمتكأ دون ان يطلب منها احد ذلك .. واعتدلت (جو) في جلستها لكي تحمل النعلين الى مسافة اقرب من نار الموقد بعد ان نسيت كم كانت متعبة.

«لقد بلي هذان النعلان .. لابد ل (مامي) ان تحصل على زوج جديد»

«ظننت باني قد اتمكن من ان اشتري لها زوجاً بدولاري ،» قالت (بيث)

«كلا ! انا التي ساقوم بذلك» ، صاحت (أيمي) .

«ولكني الاكبر سناً».. بدأت (ميج) بالقول ولكن (جو) قاطعتها بنبرة حازمة وهيَ تقول :

«انا رجل الاسرة اثناء غياب ابينا ، وانا التي ستؤمن شراء النعلين ، فقد امرني برعايتها بصورة خاصة اثناء غيابه»

«ساقول لكن مايمكننا ان نعمله» ، قالت (بيث) .

«لتحاول كل واحدة منا شراء شيئ معين لها بمناسبة عيد الميلاد ، دون شراء اية حاجة لنا» هذا هو عهدنا بك دائماً ياعزيزتي ! فما عسانا ان نشتري ؟ » تساءلت (جو)

فكرت كل واحدة منهن بوعي برهة ... ثم صاحت (ميج) وكأن الفكرة التي راودتها قد اوحيت لها بفعل منظر يديها الجميلتين ، «سأهديها قفازين انيقين»

«الحذاء العسكري هو خير مايمكن اهداؤه» ، صاحت (جو) .

«بعض المناديل المطرزة الحواشي» ، قالت (بيث)

«ساشتري لها زجاجة من عطر الكولونيا .. فهي تحب الكولونيا .. كما انها هدية غير مكلفة .. وسيبقى لدي مايكفي لشراء الاقلام التي اريد» ، اضافت (ايمي) .

«كيف سنعطيها هذه الاشياء» ، تساءلت (ميج)

«نضعها فوق المائدة ، ثم تدخل والدتنا ونراقبها وهي تفتح الصرة .. الاتتذكرن كيف كنا نفعل ايام اعياد ميلادنا ؟ » تساءلت (جو) .

«كنت اشعر بخوف شديد عندما كان يحين دوري للجلوس على الكرسي الكبير ذي التاج وانا اراقب سيركن حوله لتعطوني الهدايا مع القبل ... كنت اهوى الهدايا والقبل .. اما جلوسكن حولي والنظر الي اثناء فتحي للصرر فكان امراً مريعاً للغاية»

قالت (بيث) التي كانت تحمص لوجبة الشاي وجهها والخبز في آن واحد :

«لند امنا تظن باننا نبتاع هدايا لانفسنا ومن ثم نفاجئها . لابد لنا

من الذهاب الى السوق بعد ظهر يوم غد يا (ميج) .. فهناك عمل كثير يتعلق بالتمثيلية الخاصة بليلة عيد الميلاد» ، قالت (جو) وهي تمشي مشية عسكرية في طول الغرفة وعرضها وقد وضعت يديها خلفها ورفعت انفها عالياً .

«لا أنوي التمثيل بعد هذه المرة .. لقد كبرت على مثل هذه الامور» لاحظت (ميج) التي لم تقل طفولة عما كانت عليه دائماً ازاء العاب «التزلج» .

«ادرك بانك لن تتوقفي طالما تتمكنين من الدبيب هنا وهناك وانت ترتدين رداءً ابيض وتطلقين شعرك الى الاسفل وتلبسين حلياً مصنوعة من الورق المذهب .. فانت احسن ممثلة لدينا واذا قررت الاعتزال فان ذلك يعني كل شيء» قال (جو). «علينا ان نتدرب الليلة على اداء ادوارنا.. تعالي يا (أمي) ومثلي مشهد الاغماء، فانك كالمسعر جموداً وتصلباً عند ادائك هذا الدور.».

«انه امر لا مفر منه.. لم اشهد ابداً انساناً يغمى عليه.. كما لا اريد ان يصاب جسمي بكدمات وانا اهوي مثلما تفعلين انت.. فاذا تمكنت من السقوط بسهولة فسأنهار هاوية.. واذا عجزت عن ذلك فسأهوي على كرسي وأكون رشيقة وجميلة.. ولا يهمني اذا ما قام (هيوجو) فعلاً بمجابهتي بمسدس» ، اجابت (ايمي) التي افتقرت الى موهبة الفن المسرحي والتي قد وقع الاختيار عليها بسبب صغر جسمها الذي مكن شرير المسرحية من حملها وهي تصرخ.

«عليك ان تؤدي دورك بهذه الطريقة.. اشبكي يديك هكذا.. ثم

ترنحي عبر الغرفة وانت تصرخين بتأثر واضطراب: انقذني يا (رود ريجو)، انقذني..» وابتعدت (جو) بصرخة مأساوية كانت حقاً مثيرة.

وحذت (ايمي) حذوها، ولكنها اطلقت يدين متصلبتين، ثم قذفت بنفسها الى الامام. بحركة سريعة وكأنها مدفوعة بآلة.. اما تأوهها فكان يوحي بوخز الدبابيس اكثر مما يوحي بالخوف او الكرب.. اثر ذلك اطلقت (جو) انين يأس.. وانفجرت (ميج) ضاحكة.. بينما تسببت (بيث) بحرق قطعة الخبز التي كانت تحمصها وذلك لمراقبتها باهتمام مادار من مرح.

ثم سارت الامور سيراً طبيعياً ، هادئاً .. فقد تحدى (الدون(*) بيدور) العالم بخطبة – ملأ مضمونها صفحتين – دون اي توقف .. وانشدت (هاجار) تعويذة مهولة فوق غلايتها التي امتلأت بضفادع كانت تطهى ببطء على النار .. وقطع (رود ريجو) أصفاده ارباً بثبات عزم وشجاعة .. بينما مات (هيوجو) من الم الندم والزرنيخ وهو يطلق صرخة «ها ! ها !» مدوية .

«انها حقاً احسن (بروفة) قمنا بها لحد الآن» قالت (ميج) عندما جلس الشرير منتصباً وفرك مرفقيه .

«لا أفهم كيف تتمكنين من تأليف مثل هذه الروايات الرائعة وتمثيل احداثها .. فانت شكسبير بكل معنى الكلمة !» صاحت (بيث) التي كانت تعتقد اعتقاداً راسخاً بالعبقرية الرائعة التي وهبت بها اختها

«لست كذلك بالضبط» اجابت (جو) بتواضع .

(*) – عبارة تعني سيد او نبيل اسباني .

«اني اعتقد بأن عمل «لعنة الساحرة – مأساة أو برالية»
هو انجاز جيد .. ولكني ارغب في محاولة تمثيل مسرحية (ماكبث) لو كان لدينا فقط باب مسحور لـ (بانكو) .... فلطالما اردت القيام بدور القاتل:

«هل ارى امامي خنجراً ..» تمتمت (جو) وهي تقلب عينيها وتحكم قبضة يدها في الهواء مقلدة بذلك ممثل ادوار مأساوية قد شاهدته .

«كلا ! بل هي شوكة لتحميص الخبز وعليها فردة نعل الوالدة بدلاً من قطعة الخبز .

اما (بيث) فمهووسة بالمسرح !» صاحت (ميج) وانتهت هذه الممارسة التدريبية بعاصفة من الضحك .

«يسعدني ان اجدكم بهذه الدرجة من المرح يافتياتي»

قال صوت مبتهج جاء من جهة الباب .. فالتفتت الممثلات والمشاهدات للترحيب بسيدة طويلة القامة ، رؤومة ، بدت على محياها نظرة توحي باستعداد صاحبتها للمساعدة .. نظرة كانت حقاً تبعث على البهجة .... لم تكن هذه السيدة انيقة الملبس الا انها كانت نبيلة المحيا .. اما من وجهة نظر الفتيات ، فقد غطى المعطف الفضفاض الرمادي اللون ، والقبعة القديمة الزي ، اروع ام في الدنيا .

«كيف قضيتن يومكن ياعزيزاتي ؟ اما انا فكان لدي عمل كثير .. لقد قمنا بتهيئة العلب لكي يتم ارسالها يوم غد ، وبذلك لم اتمكن من المجيء الى البيت لاتناول وجبة العشاء ... هل اتصل بي احد يا (بيث) ؟
وكيف حال زكامك يا (ميج) ؟ تبدين مرهقة للغاية يا (جو) ؟ ...

تعالي وقبليني ياطفلتي» .

واثناء طرح هذه الاستفسارات الامومية ، خلعت السيدة (مارتش) عنهاماابتل من ملابسها ، ولبست نعليها الدافئتين .. وما ان جلست على الكرسي المريح ، ذي المسندين ، حتى سحبت (ايمي) واجلستها في حضنها استعداداً للتمتع باسعد ساعة في يومها المثقل بالاعمال ....

وهرعت الفتيات هنا وهناك في محاولة منهن لتحقيق اقصى درجات الراحة الممكنة ، كل بطريقتها الخاصة : فقد قامت (ميج) بترتيب مائدة الشاي .. وجلبت (جو) بعض قطع الخشب ونظمت الكراسي وهي تسقط من يدها وتقلب كل شيئ تلمسه ناهيك عما احدثته من قرقعة وجلبة .... وانهمكت (بيث) في الرواح والمجيئ بين المطبخ وحجرة الجلوس بصمت ومثابرة .... اما (ايمي) فكانت تصدر التوجيهات الى الجميع وهي تجلس وقد طوت ذراعيها .

وما ان اجتمعن حول المائدة حتى قالت السيدة (مارتش) وقد اعتلت وجهها فرحة من نوع خاص : «لدي مفاجأة سارة لكن بعد العشاء» .

وطافت حول الوجوه ابتسامة وضاءة ، خاطفة مثل ومضة اشعة الشمس .... وصفقت (بيث) بيديها دون التفات الى قطعة البسكويت التي كانت تمسك بها .... وقذفت (جو) فوطة المائدة الى الاعلى وهي تصيح : «خطاب !.. خطاب ! ..

ثلاثة هتافات لأبينا !»

«اجل .. انه خطاب جميل وطويل .. فهو بخير ويظن بانه سوف

يقضي الموسم البارد وهو بوضع افضل مما كنا قد خشينا .. كما انه يبعث كل امنيات المحبة بمناسبة عيد الميلاد ومعها رسالة خاصة اليكن ايتها الفتيات » قالت السيدة (مارتش) وهي تربت على جيبها كما لو كان يضم كنزاً .

«اسرعي وانتهي من وجبتك ! لاتتأخري لتلوي اصبعك الصغير او تتكلفي الابتسامة فوق صحنك يا (ايمي) » قالت (جو) وهي تغص بشايها وتسقط خبزتها على السجادة ، من خلال استعجالها للوصول الى المفاجأة.

توقفت (بيث) عن الاكل ، ولكنها انسابت بعيداً لتجلس في زاويتها المظلمة وتخلد الى السكينة بانتظار البهجة المرتقبة الى حين تهيؤ الجميع .

«لقد قام والدنا بعمل رائع – على ماأظن – عندما تطوع في الجيش للعمل بصفة قس نتيجة عدم تمكنه الانخراط في صفوف الجيش لكبر سنه وعدم قدرته على القيام باعمال الجندي» قالت (ميج) بحرارة

«ليتني اتمكن العمل بصفة طبالة او عاملة حانوت لكي اكون بقربه واساعده» تمنت (جو) وهي تئن .

«لابد ان يكون النوم في خيمة ، وتناول الاطعمة غير اللذيذة والشرب من كوز معدني اموراً غير مستساغة للغاية» تنهدت (أيمي) قائلة :

«متى سيعود الى البيت ياأماه ؟» تساءلت (بيث) بصوت لم يخل من رجفة قليلة .

«ليس قبل انقضاء عدة اشهر ، ياعزيزتي ، اللهم الا اذا تمرض ، وبخلاف ذلك فانه سيبقى للقيام بواجباته باخلاص لأطول فترة ممكنة .. وسوف لا نطلب منه العودة ولو دقيقة واحدة قبل ان يتمكن الجيش من الاستغناء عنه .. هيا ، اقتربن واسمعن مضمون الخطاب» .

اقتربت الفتيات جميعهن من النار ... جلست الام على الكرسي الكبير .. وجلست (بيث) عند قدميها .. وجثمت كل من (ميج) و (ايمي) على مسند من مسندي الكرسي .. اما (جو) فمالت الى الخلف حيث لاتتمكن اية فتاة من ملاحظة ماقد يرتسم على وجهها من علامات الانفعال اذا ماكانت مؤثرة .. في تلك الايام العسيرة ، كانت الخطابات غير المؤثرة قليلة جداً لاسيما تلك التي دأب الاباء على ارسالها الى بيوتهم .. ولم يذكر في هذا الخطاب سوى جزء يسير جداً عن المصاعب التي تعاني والاخطار التي تواجه والحنين الى الاوطان الذي يمكن التغلب عليه بل على العكس من ذلك .. كان خطاباً متفائلاً ، مبهجاً .. وقد احتوى مضمونه على العديد من الصور المثيرة لحياة المعسكرات وللمسيرات والاخبار العسكرية .. وعند النهاية .. فقط عند النهاية ، فاض قلب الكاتب بحب ابوي وحنين لبناته الصغيرات في المنزل .

«ارجو ان تهديهن كل حبي الغالي .. وتهديهن قبلة .. وان تخبريهن باني اذكرهن نهاراً واصلي من اجلهن ليلاً ، واجد في حبهن لي ، وتعلقهن بي افضل راحة لي دائماً ... ان الانتظار عاماً قبل تمكني من رؤيتهن يبدو وقتاً طويلاً ، ومع ذلك أرجو ان تذكريهن باننا جميعاً

نتمكن ان نعمل أثناء الأنتظار لكي نحول دون ضياع هذه الايام العسيرة .. اني ادرك جيداً بانهن سيذكرن ماقول لهن بوجوب بقائهن فتيات محبات لك انت ، وبضرورة قيامهن بواجباتهن بامانة واخلاص ، ومحاربتهن كافة اعدائهن بشجاعة ، وتغلبهن على انفسهن الى درجة تجعلني اكون اكثر تعلقاً واعتزازاً بنسائي الصغيرات» .

وتنهدت كل منهن عندما وصلن هذا الجزء من الخطاب ... فلم تخجل (جو) من تلك الدمعة الكبيرة التي انحدرت من نهاية انفها .. ولم تبال (آمي) بتشعث عقائص شعرها وهي تخفي وجهها فوق كتف امها وتجهش باكية وتقول: «اني فتاة احب نفسي ولكني سأحاول جادة لاكون افضل لئلا اتسبب في اصابة والدي بخيبة امل بعد وقت قصير» .

«بل سنحاول ذلك جميعاً» صاحت (ميج)

«فاني ابالغ في الاهتمام بمظهري .. واكره العمل .. ولكني سأكف عن ذلك مستقبلاً ان استطعت اليه سبيلاً.

«سأحاول ان اجسد الاسم الذي يحب ان يدعوني به: (امرأة صغيرة) ، لافتاة طائشة وغير مهذبة .. وساحاول القيام بما علي من واجبات بدلاً من الرغبة في ان اكون في محل اخر» قالت (جو) وهي تظن بان تمالك اعصابها في البيت كان في الواقع مهمة اصعب بكثير من مواجهة متمرد او اكثر جنوباً(*)

لم تنطق (بيث) ابداً ولكنها مسحت دموعها بالجورب العسكري القصير ذي اللون الازرق ، وبدأت تحبك بكل ماأوتيت به من قدرة والاسراع بالقيام باحب واجب الى نفسها بعد ان صممت في نفسها

الهادئة الصغيرة أن تصبح كما يأمل ابوها ان تكون عندما ستمن عليهن السنة الجديدة بعودته السعيدة الى البيت .

قطعت السيدة (مارتش) الصمت الذي اعقب كلمات (جو) ، وقالت بصوتها المرح : «اتذكرن كيف كنتن تشتركن في تمثيل رواية (رحلة الحاج(*)عندما كنتن طفلات صغيرات ؟» .

ولم يكن هناك مايفرحكن اكثر من قيامي بربط اكياس الامتعة على

(*) — تعني عبارة (الجنوب) بمفاهيم الحرب الأهلية الامريكية (١٨٦١ — ١٨٦٥) مجموعة الولايات الاحدى عشرة التي انفصلت عن الولايات المتحدة الامريكية عام ١٨٦٠ / ١٨٦١ لتشكل ماعرف بتاريخ الدولة الامريكية باسم (التحالف) The Conf‡dracy والتي تقع جميعها جنوب الخط المعروف باسم خط (مايسون — ديكسون) The Masun Dixun hine وهو خط الحدود الواقع غرب ولاية (نيو جيرسي) والفاصل بين ولاية (ماريلاند) جنوباً وولاية (بنسلفانيا) شمالاً والذي يعتبر التخم الفاصل بين شمال الولايات المتحدة (اي مجموعة الولايات المتحدة المعروفة باسم الاتحادThe Union) المعادي للاسترقاق وجنوبها المؤيدة له . وخلافاً لما هو شائع بصورة عامة من ان الحرب هذه قد قامت بسبب اصرار الولايات الجنوبية على الاستمرار في ممارسة الاسترقاق واصرار الولايات الشمالية على نبذه ، إلا ان الحرب قد قامت في الواقع بسبب الاختلاف في وجهة النظر حول حق اية ولاية من الولايات المتحدة في الانفصال متى شاءت — المترجم

(*) — (رحلة الحاج من هذا العالم الى العالم الآخر) : هذا هو عنوان القصة الرمزية التي كتبها الكاتب الانكليزي الديني (جون بانيان: ١٦٢٨ — ١٦٨٨) وصور من خلالها حلماً راوده .

ويحكي الحلم هذا هروب شخص اسمه (كريستيان) من (مدينة الخراب) . يصف الجزء الاول من القصة رحلته عبر (حمأة القنوط) و (البيت الجميل) و (وادي ظل الموت) و (دار الغرور) ثم (الجبال المبهجة) و (بلاد بيولا) وصولاً الى (المدينة السماوية) .

اما الجزء الثاني من القصة هذه فيصف كيف ان زوجته (كريستيانا) . وبدافع من طيف راودها في حلمها ، قامت هي الاخرى برحلة مماثلة مصطحبة معها اطفالها وجارتها التي تدعى (رحمة) — المترجم

ظهوركن لتكون بمثابة الاعباء ، وبتزويدكن بقبعات وعصي ولفات من الورق والسماح لكن بالقيام برحلة داخل البيت تبدأ من السرداب الذي كان يمثل (مدينة الخراب) وتنتهي عند اعلى البيت حيث تجمعن مااستطعتن جمعه من اشياء جميلة لخلق (المدينة السماوية) .

«يالها من متعة .. اذ أنها كانت كذلك حقاً .. سيما المرور قرب الاسود ومحاربة (أبوليون) ، ملاك الجحيم وعبور وادي الغيلان» ، قالت (جو) .

«احببت الموقع الذي كانت تسقط عنده الرزم لتتدحرج الى اسفل السلم» قالت (ميج) .

«اما الجزء المفضل لدي فكان وصولنا الى السطح حيث كانت زهورنا ، وشجرتنا واشياؤنا الجميلة كلها ، وحيث كنا نقف جميعاً لنغني ابتهاجاً وفرحاً في ضياء الشمس»

قالت (بيث) وهي تبتسم كأنها قد استعادت تلك اللحظة السعيدة .

«لا اذكر الكثير عن هذا الامر ماعدا خوفي من السرداب والمدخل المظلم وحبي للكعك والحليب اللذين كنا نجدهما في السطح .

فلو لم اكن قد كبرت على مثل هذه الامور لفضلت تمثيل الرواية مرة اخرى»

قالت (ايمي) التي بدأت تتكلم عن نبذ الامور الصبيانية وهي في سن الثانية عشرة : هذه المرحلة الناضجة من العمر .

«اننا لن نكبر ابداً على هذه القضية ، ياعزيزتي لانها رواية نقوم بتمثيلها طيلة الوقت بشكل ما او بآخر .

فاعباؤنا هنا وطريقنا يمتد امامنا ، ورغبتنا في الوصول الى الخير والسعادة هي الدليل الذي يقودنا عبر المشاكل والاخطاء ليوصلنا الى السلام الذي يعتبر (المدينة السماوية) الصحيحة .... والآن ياعزيزاتي الحاجات ، مارأيكن في الابتداء مرة اخرى ، بجد لابعبث بل لنكتشف اقصى مايمكنكن الوصول اليه قبل عودة والدكن الى البيت» .

«احقاً ماتقولين ياماه ؟ .. وأين صررنا ؟ »

تساءلت (ايمي) التي كانت فتاة بسيطة للغاية .

«لقد بينت كل منكن لتوها طبيعة الاعباء التي تنوء بها باستثناء (بيث) التي لا اظن ان لديها اية اعباء» ، قالت الأم .

«اجل .. لدي عبئ ! ! انه يتمثل بالاواني والمنفضات ... وما اكنه من حسد للفتيات اللاتي يملكن بيانات .. والخوف من الناس» .

كانت اعباء (بيث) مسلية الى درجة دفعت الجميع الى الضحك .. ومع ذلك لم تضحك اية واحدة منهن لان الضحك كان بالتأكيد سيجرح شعورها للغاية .

«دعونا نقم بذلك» قالت (ميج) بتأمل . «انه مجرد اسم آخر لمحاولة الفرد ليكون انساناً صالحاً .. وقد تساعدنا هذه القصة في مسعانا .. فبالرغم من رغبتنا في ان نكون فتيات صالحات يبقى تحقيق هذه الرغبة امراً صعباً ..ثم اننا ننسى ولانبذل قصارى جهدنا».

«كنا في (حمأة القنوط (*) هذه الليلة ولكن امنا جاءت واخرجتنا منها كما فعل (الفرج) في القصة .. لابد ان يكون لدينا جدول توجيهات

(*) حمأة القنوط = منتهى اليأس -- المترجم

كما كان لدى (كريستيانا) .. فما عسانا ان نعمل بهذا الخصوص ؟ »
تساءلت (جو) وقد اجذلها هذا الخيال الذي اخفى شيئاً من الرومانسية على مهمتها المملة الخاصة بالقيام بواجبها .

«فتشن تحت وساداتكن صبيحة يوم عيد الميلاد وستجدن دليلكن» اجابت السيدة (مارتش) .

وهكذا تناولن بالحديث جوانب الخطة الجديدة ، بينما قامت (حنة) برفع الصحون والاواني من المائدة .. ثم ظهرت السلال الصغيرة الاربع التي احتوت على اعمال الفتيات .. وبدأت الابر تتطاير اثناء انهماك الفتيات في عمل ملاءات للعمة (مارتش) .. كان العمل مملاً ، ومع ذلك لم تتذمر اي منهن هذه الليلة .. فقد قمن باعتماد خطة (جو) في تقسيم العمل الطويل الى اربعة اجزاء وتسمية الارباع اوربا ، واسيا وافريقيا وامريكا .. وبهذه الطريقة تم لهن السير في العمل بشكل جيد جداً لاسيما عندما تكلمن عن مختلف البلدان التي اخذن يخطن طريقهن خلالها .

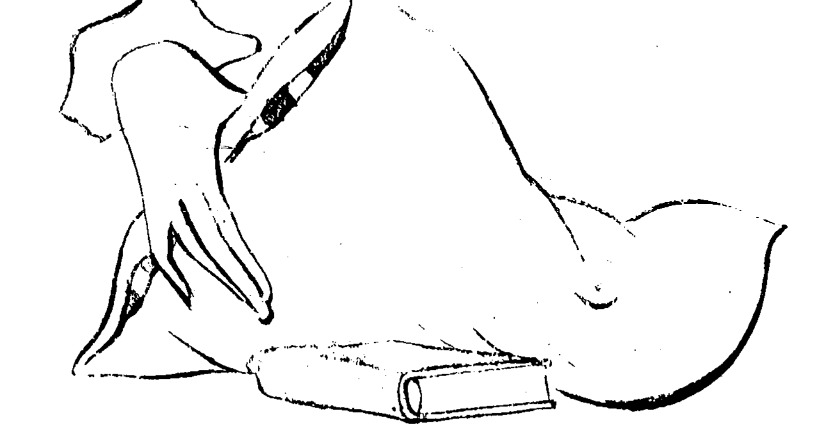
وفي الساعة التاسعة توقفن عن العمل وبدأن الغناء كالمعتاد قبل الايواء الى الفراش .. وكانت (بيث) الوحيدة بين افراد العائلة من حيث تمكنها من الحصول على كمية كافية من الالحان من البيان القديم .. فقد كانت لها طريقة خاصة في لمس مفاتيح البيان الصفراء برقة ، محققة جراء ذلك مصاحبة موسيقية لطيفة للاغاني البسيطة التي كانت الفتيات ينشدنها .. وكان ل (ميج) صوت كصوت (الفلوت) وبذلك كانت هي ووالدتها تقودان هذه الجوقة الصغيرة من المنشدات .. وكانت (ايمي) تصفر كالصرصر ... اما (جو) فقد دأبت على الانطلاق بصوتها من

خلال الالحان بحرية تامة لتخرج دائماً من غير المكان الصحيح بنقيق او تهدج كان من شأنه افساد اكثر الالحان كآبة وحزناً .... وكان هذا ديدنهن دائماً .. منذ الوقت الذي كن فيه يلثغن وهن ينشدن نشيد «تلامعي تلامعي ايتها النجمة الصغيرة» .. وبذلك اصبح الغناء قبل النوم عرفاً منزلياً .. فقد كانت الام مغنية بالفطرة ... وفي الصباح كان صوتها اول صوت يصدح في ارجاء البيت عندما كانت تتجول في اركانه وهي تنشد كالبلبل ، كما كان الصوت المرح هذا آخر مايسمع في المساء من اصوات .. فالفتيات لم يكبرن بالمرة بالنسبة لمثل هذه التهويدة المألوفة .



الفصل الثاني





عيد ميلاد سعيد

كانت (جو) اول من استيقظ في ذلك الفجر الأشهب من يوم عيد الميلاد ..... ولم تكن هناك اية جوارب* تتدلى من الموقد .... ولفترة قصيرة داهمت (جو) خيبة امل كتلك التي داهمتها قبل وقت طويل عندما سقط جوربها الصغير لكثرة ما حُشرت فيه من هدايا .... ثم تذكرت وعد امها ... وبعد ان مدت يدها تحت وسادتها ، سحبت كتاباً صغيراً ذا غلاف قرمزي اللون ... كانت تعرفه جيداً ... فقد حمل في صفحاته قصة افضل سيرة .. وشعرت (جو) ان الكتاب هذا كان دليلاً صادقاً لمن ينوي الاقدام على رحلة الحج الطويلة .... وهكذا قامت بايقاظ (ميج)

* اكياس على هيئة جوارب توضع فيها هدايا الاطفال في اعياد الميلاد – المترجم

بعبارة عيد ميلاد سعيد ، وطلبت منها ان تكشف ماذا كان تحت وسادتها .... وسرعان ما ظهر كتاب ذو غلاف اخضر يحمل بين صفحاته الصورة والعبارات القليلة نفسها التي كانت قد كتبتها امها مما جعل من هديتها شيئاً ثميناً للغاية في عيني كل منهما .. وبعد وقت قصير استفاقت (بيث) و(أمي) وبحثتا بدوريهما لتجدا كتابيهما الصغيرين كذلك ... فكان احدهما رمادي اللون والثاني أزرق .... وهكذا جلست الفتيات وهن ينظرن الى كتبهن ويتحدثن عنها ، بينما اكتسب الشرق لوناً وردياً مع قدوم النهار .

بالرغم من غرور وخيلاء (مارجريت) ، واهتمامها بالامور التافهة ، فانها كانت ذات طبيعة محبوبة ونقية .... وكان لطبيعتها هذه ، وعلى نحو غير واع ، تاثير على اخواتها ، لا سيما على (جو) التي كانت تحبها بكل رقة وحنان وتطيعها بسبب ما اعتادت (ميج) اعتماده من اسلوب هادئ ورقيق في اسداء النصائح .

ايتها الفتيات ، قالت (ميج) بجدية وهي تنتقل بنظراتها من الرأس الملقى بجانبها الى الرأسين الصغيرين اللذين كانا لا يزالان داخل طاقيتي النوم — في الغرفة التي تقع خلف غرفتها . «تريد امنا ان نقرأ هذه الكتب ونحبها ونعتني بها .. وعلينا ان نبدأ ذلك فوراً ، فمنذ ذهاب ابينا — وما تسببته هذه الحرب من اقلاق راحتنا — فاننا قد اهملنا الكثير من الامور .. وعليكن ان تعملن ما شاء لكن ، اما بالنسبة لي ، فساضع كتابي على المائدة هنا لاقرأ قليلاً منه صباح كل يوم ، حال استفاقتي من النوم ، لاني ادرك جيداً بان ذلك سيعود علي بالفائدة ، ويكون عوناً لي في كل

ما اقوم به من اعمال خلال اليوم» .

ثم فتحت كتابها وبدات تقرأ .... وارسلت (جو) ذراعها حول اختها ، وقربت خدها من خد اختها ، واخذت تقرأ هي كذلك وقد بدت على وجهها سيماء قلما تظهر على ذلك الوجه القلق الذي لم يعرف شكله الراحة .

«حقاً ان (ميج) فتاة طيبة»! هيا يا (آمي) دعينا «اني مسرورة لان كتابي ازرق اللون» ، قالت (آمي) . ثم خيم السكون على الغرفتين بينما كانت الاوراق تُقلب بهدوء .... ونفذت اشعة شمس الشتاء لتلمس الرؤوس المتلامعة ، والوجوه الجدية ، بتحايا وتهاني عيد الميلاد .

«اين امنا؟» تساءلت (ميج) عندما نزلت مع (جو) الى الطابق الاسفل ، بعد نصف ساعة من الوقت ، لتشكراها على هديتها .

«العلم عند الله .. فقد جاءتها مهنئة امرأة معدمة تستجديها ، فهرعت امكما معها لترى مقدار ما تحتاجه هذه المراة من مساعدة .. لم اشهد امرأة مثل امكما .. فهي تجود بالمأكل والمشرب والملبس ...» ، اجابت (حنة) التي كانت قد عاشت مع هذه العائلة منذ ولادة (ميج) والتي كانت بالنسبة لافراد هذه العائلة صديقة اكثر من كونها خادمة . «ستعود قريباً على ما اظن .. فقومي انت بقلي الحلوى وجهزي كل شيء» ، قالت (ميج) وهي تلقي نظرة على الهدايا التي جمعت في سلة وضعت تحت الاريكة والتي كانت جاهزة لكي تظهر في الوقت المناسب . «عجباً! اين زجاجة الكولونيا التي تعود لـ (آمي)» ، إضافت (ميج) عندما ادركت اختفاء هذه الزجاجة .

«اخذتها قبل لحظة لكي تربط شريطاً حولها او شيئاً من هذا القبيل» ، اجابت (جو) وهي تدور راقصة في ارجاء الغرفة لكي تلين عضل عسكريين خشبيين .

«كم هي جميلة مناديلي هذه .. انظري .. اليس كذلك؟ فقد غسلتها (حنه) وكوتها .. وقد وضعت العلامات عليها بنفسي » ، قالت (بيث) وهي تنظر بفخر الى الاحرف التي افتقرت الى شيءٍ من التناسق والتي تطلب وضعها على المناديل عملاً مرهقاً .

«ليبارك الله هذه الطفلة ! فقد وضعت عبارة (الوالدة) بدلاً من (م . مارتش) .. ياله من عمل يثير في الانسان الضحك» ، صاحت (جو) وهي تلتقط احد المناديل . «اليس هذا صحيحاً؟ .. فقد ظننت بان الطريقة هذه هي الافضل لان الاحرف الاولى من اسم (ميج) هي (م . م) ولا اريد ان يستخدم هذه الاحرف اي شخص آخر غير امي» ، قالت (بيث) وقد بدت قلقة .

«لا بأس ، ياعزيزتي ، انها فكرة جيدة جداً ، ومعقولة للغاية ، اذ لا يمكن لاحد ان يخطئ الآن ... وستسر والدتنا جداً بهذا الاجراء ..اني اعلم ذلك» . قالت (ميج) وهي تلقي نظرة عابسة على (جو) وتبتسم لـ (بيث) .

«ها هي امنا .. هيا ، اخفي السلة بسرعة » صاحت (جو) عندما اغلقت الباب وسمعت اصوات اقدام في ردهة الدار .

دخلت (آمي) بعجلة ، وبدت مرتبكة عندما رأت ان أخواتها كن بانتظارها .

«اين كنت؟ وماذا تخبئين خلف ظهرك؟ » ، تساءلت (ميج) بعجب بعد ان ادركت من العباءة والقلنسوة بان (آمي) الكسولة كانت خارج الدار في ذلك الوقت المبكر من النهار.

«لا تضحكي مني يا (جو)! لم اشأ ان يعرف احد بما اقوم به حتى يحين الوقت المناسب .. اردت فقط ان استبدل الزجاجة الصغيرة بواحدة كبيرة .. وقد اعطيت كل ما لدي من نقود في سبيل ذلك .. واني احاول حقاً ان لا اكون انانية بعد ذلك ».

وقامت (آمي) اثناء كلامها باظهار الزجاجة الانيقة التي حلت محل سابقتها الرخيصة .. وقد بدت صادقة ومتواضعة في محاولة نسيان نفسها الى درجة دفعت (جو) الى الاعلان بان (آمي) كانت فتاة ممتازة ، يمكن الاعتماد عليها .. بينما هرعت (بيث) الى الشباك لتقطف افضل زهورها لكي تزين بها تلك الزجاجة الفاخرة.

«ارجو ان تدركن باني شعرت بالخجل بسبب هديتي هذه ، بعد ان قرأت وتحدثت عن الذات الصالحة الفاضلة صباح اليوم .. فهرعت الى المخزن القريب منا واستبدلتها بعد استفاقتي من النوم مباشرة.. واني مسرورة للغاية لأن هديتي هي الاكثر اناقة من البقية».

ثم دفع ارتطام آخر للباب الرئيس سلة الهدايا تحت الاريكة ، والبنات الى مائدة الطعام وهن يتلهفن لتناول وجبة الافطار.

«عيد ميلاد سعيد يا (مامي)! اعاده الله عليك بالخير دائماً! نشكرك على الكتب التي قرأنا جزءاً منها ونعتزم مواصلة قراءتها كل يوم» ، صاحت الفتيات بجوقة.

«عيد ميلاد سعيد يا بناتي الصغيرات! يسرني انكن قد بدأتن قراءة الكتب .. واتمنى الاستمرار على ذلك .. ولكني اريد قول كلمة واحدة قبل جلوسنا على المائدة .... فهناك امرأة معدمة تسكن على مقربة منا ، وقد ولدت لتوها .. مع ان لديها ستة اطفال يحتشدون جميعاً في فراش واحد لكي لا يجمدوا من شدة البرد .... اذ لا يملكون ناراً تدفع عنهم شر هذا البرد القارس .... كما لا تملك هذه العائلة ما تقتات به من طعام .. وقد اخبرني الابن الاكبر بانهم يعانون من البرد والجوع .... فهل تتبرعن لهم بفطوركن هذا هدية بمناسبة عيد الميلاد؟» .

كانت الفتيات جائعات بشكل غير طبيعي بعد ان كن قد انتظرن ما يقرب عن ساعة من الزمن .. وللوهلة الاولى لم تتكلم اي منهن .. بينما تساءلت (جو) باندفاع لم يخل من عنف :

«يسرني جداً انك قد قدمت قبل ان نبدأ!»

«هل يمكنني الذهاب والمساعدة في حمل الطعام لهؤلاء الاطفال البائسين» ، قالت (بيث) بتلهف .

«ساحمل انا القشدة والفطائر» ، اضافت (آمي) باندفاع وهي تتنازل عن احب المأكولات الى نفسها . وكانت (ميج) تغطي طبق (الحنطة السوداء) وتكدس قطع الخبز في صحن كبير واحد .

«ادركت بانكن ستقمن بهذه التضحية» ، قالت السيدة (مارتش) وهي تبتسم ابتسامة بدت كانها ابتسامة رضا . ستاتين جميعكن لتساعدنني .. وعند عودتنا سنتناول الخبز والحليب ، وسنعوض هذه الوجبة بوجبة الغداء» .

وسرعان ما اصبحت الفتيات جاهزات .. وانطلقت مسيرتهن ومن حسن الحظ ، كان الوقت مبكراً ، وقد اخترن الذهاب من الشوارع الخلفية وبذلك لم يرهن سوى القليل من الناس .. ولم يضحك احد من هذه المجموعة الغريبة .

.... كانت غرفة بائسة ، حقيرة ، خالية من الاثاث .... اما شبابيكها فكانت مكسّرة .... ولم يكن ثمة نار .. وقد تهرّأ ما وجد على الاسرة من ملاءات .. بينما رقدت على احد الاسرة أمُ مريضة تحتضن وليداً باكياً .. كما رقد على فراش آخر عدد من الاطفال غطى الشحوب وجوههم وعصف الجوع بهم وهم يحتضنون بعضهم تحت لحاف واحد فقط طلباً للدفء .

كيف حدقت العيون الكبيرة ،وانفجرت الشفاه الزرقاء مبتسمة ، عندما دخلت الفتيات !

«آه يا الهي ! لقد زارنا الملائكة الصالحون» ، قالت الام البائسة وهي تبكي فرحاً .

«ملائكة يثرن الضحك في النفس وهن يضعن القلنسوات على رؤوسهن ويلبسن الكفوف في ايديهن» ، قالت (جو) ذلك مما دفع الجميع الى الضحك .

وبعد لحظات قليلة بدا حقاً وكأن الارواح الصالحة قد حققت انجازاً .. فقد قامت (حنة) – التي جلبت معها بعض قطع الخشب – باشعال نار ، كما غطت فتحات النوافذ بقبعات قديمة وبعباءتها الشخصية .. وسقت السيدة (مارتش) ام الاطفال شاياً ، واطعمتها

شيئاً من الثريد كما اراحتها بما وعدتها به من مساعدات وهي تعتني بالطفل الرضيع برقة وعطف كما لو كان فلذة كبدها .... اما الفتيات فقد انهمكن في اعداد المائدة ودفع الاطفال الى الجلوس حول النار ليعمدن بعد ذلك الى اطعامهم وكأنهم طيور جائعة ، وهن يضحكن ويتكلمن باستمرار ويحاولن فهم اللغة الانكليزية الركيكة التي كانوا يتكلمونها .

«إنه طعام جيد .. وانكن ملائكة للاطفال» ، صاح الاطفال بلغتهم الألمانية ، وهم يأكلون ويدفئون ايديهم الارجوانية اللون بحرارة تلك اللهبة التي تدفع الى الراحة.

لم يكن قد اطلق على الفتيات عبارة (ملائكة للاطفال) من قبل ولذلك فقد وقع اللقب هذا موقعا حسنا في انفسهن ولاسيما في نفس (جو) التي اعتبرها الجميع فتى منذ ولادتها... اجل، كانت وجبة الأفطار هذه مناسبة سعيدة للغاية، وان لم تذق اي منهن شيئا منها .... وعندما انصرفن - بعد ان تركن الراحة والطمأنينة خلفهن - لم تكن المدينة كما اظن قد ضمت اناسا اكثر سعادة وراحة من الفتيات الأربع الجائعات اللواتي تنازلن عن وجبة فطورهن وارتضين بوجبة مكونة من الخبز والحليب صبيحة يوم عيد الميلاد.

«يعتبر عملنا هذا تجسيدا لمبدأ حب الجار أكثر من حب النفس... وهو امر استسيغه» ، قالت (ميج) اثناء قيام الأخوات ببسط هداياهن وفي الوقت الذي انشغلت فيه والدتهن في الطابق العلوي بجمع الملابس لأطفال عائلة (هوميل) البائسين.

لم يعكس منظر المائدة وماعليها شكلا جميلا، ولكن كان هناك

الكثير من الحب والحنان في الرزم القليلة الصغيرة.. اما المزهرية الطويلة التي احتوت على ورود حمراء وأقحوان ابيض و بعض النباتات المتسلقة، فقد انتصبت واقفة وسط المائدة، فأضفت على الجو طابع الأناقة والجمال.

انها قادمة ! هيا ابدأي العزف يا (بيث) ! افتحي الباب يا (آمي) .... ثلاثه هتافات لامنا العزيزة»، صاحت (جو) وهي تحجل كالحصان بينما ذهبت (ميج) لتقود الام الى مقعد الشرف.

عزفت (بيث) ابهج لحن عسكري لديها... وفتحت (آمي) الباب على مصراعيه.. بينما مثلت (ميج) دور وصيفة الشرف بوقار عظيم... وقد اثرت هذه التظاهرة في نفس السيدة (مارتش) بقدر ما فاجأتها... وابتسمت بكل عينيها وهي تتفحص هداياها وتقرأ ما كتب في البطاقات التي صاحبتها.. وعلى الفور تم لبس النعلين الجديدين... ودُسَّ المنديلُ الجديد الذي عطره ماء الكولونيا الذي ابتاعته (آمي) في الجيب.. بينما تم تثبيت الوردة على صدرها.. كما أُعلن بأن القفازين كانا مطابقين بصورة تامة.

كان هناك كثير من الضحك... والتقبيل.. وتوضيح جوانب الأمور.. وقد تم ذلك على نحو بسيط ودي يجعل من هذه الأحتفالات المنزلية مناسبات سعيدة للغاية، ولحظات جميلة تذكر لفترات طويلة... بعد ذلك انهمكت الفتيات في القيام بما لديهن من أعمال.

وقد استغرقت هذه المراسم والاعمال الخيرية وقتاً طويلاً جداً بحيث تم تكريس ما تبقى من ساعات النهار لتهيئة متطلبات احتفالات المساء.

وبما ان العائلة لم تكن بالغنى الكافي الذي يؤمن لها انفاق الكثير من اجل القيام بعروض تمثيلية خاصة ، فقد عمدت الفتيات الى توظيف مواهبهن لصنع وتدبير احتياجاتهن انطلاقاً من مبدأ الحاجة ام الاختراع .... وقد كان قسم من انتاجهن بارعاً للغاية : اقمطة الساق مصنوعة من ورق المقوى .. مصابيح قديمة مصنوعة من علب ورقية ومغلفة بورق فضي .. أردية زاهية مصنوعة من اقمشة قطنية قديمة تتلألأ بفعل الصفائح المعدنية الصغيرة اللامعة التي وشيت بها .. ودروع مغطاة هي الاخرى بصفائح معينية لامعة ، معينة الشكل .... اما قطع الاثاث فقد قلبت رأساً على عقب .... وبذلك كانت الحجرة مشهداً للعديد من نشاطات المرح الصاخب والقصف البريئين.

لم يسمح للسادة بحضور هذه العروض .. ولذلك فان (جو) كانت تقوم بما شاءت من الادوار الرجالية .. وكانت تشعر براحة كبيرة وهي تلبس جزمة مصنوعة من جلد خمري اللون اهدتها اياها احدى صديقاتها .... وقد شكلت هذه الجزمة – اضافة الى معول قديم وسترة ضيقة ، مشقوقة ، كان احد الفنانين قد استخدمها في مناسبة ما من اجل لوحة معينة – كل ما ملكته (جو) من كنوز .. وكانت هذه الكنوز تظهر في جميع المناسبات .... وقد فرضت قلة عدد هذه الفرقة التمثيلية الصغيرة قيام الممثلتين الرئيسيتين بتمثيل عدة ادوار في المسرحية الواحدة .... وقد استحقت الفتيات فعلاً المديح والثناء للعمل المضني الذي كن يقمن به خلال حفظ ثلاثة او اربعة أدوار مختلفة ، والتحول من زي الى آخر اضافة الى قيامهن بادارة المسرح والاشراف عليه ....

وكان العمل هذا تدريباً ممتازاً وممارسة مفيدة لذاكرتهن .. كما وفر للعائلة متعة بريئة ، تؤمن لها استغلال الكثير من الوقت الذي لو لا هذه المتعة لقضى بدون جدوى او بوحدة موحشة .. او لانقضى بعشرة اقل فائدة .

ففي ليلة عيد الميلاد ، احتشدت اثنتا عشرة فتاة على الفراش الذي كان بمثابة الشرفة الاولى .. وقد جلسن مقابل الستائر القطنية المطبوعة باللونين الازرق والاصفر وهن بحالة ترقبٍ وتوقعٍ توحي بالاهتمام واشباع الغرور الى حد كبير.... وقد دار خلف الستارة كثير من الهمس والخفيف .. وارتفع دخان قليل من المصابيح .. وانطلقت بين آونة واخرى ضحكة ساذجة من (آمي) التي كان لابد ان تنتابها حالات عصبية نتيجة ما تصيبها به هذه اللحظة من اثارة .... وبعد قليل رن الجرس ..واندفعت الستارتان تنفصلان عن بعضها .. وبدأت (المأساة الاوبرالية) .

وتجسدت عبارة «غابة معتمة» — التي وردت في نسخة البرنامج الوحيدة لهذه المسرحية — من خلال عدد من الشجيرات التي وضعت في اصص ، اضافة الى نسيج اخضر اللون (من النوع الذي تكسى به موائد البليارد) غطيت به الارض .. ومغارة لاحت عن بعد .. وقد صنعت هذه المغارة باستخدام (حصان الغسيل)* بمثابة سقف وبعض المناظر بمثابة حيطان .. وكان في داخل الكهف فرن صغير يعمل بكل طاقته ، وتظهر فيه (البقعة السوداء)* ، وقد انحنت فوقه ساحرة عجوز .... كان

* — هيكل خشبي ينشر عليه الغسيل ليجف — المترجم .

* — عبارة قديمة بطل استخدامها : تعني الموقع المخصص لطهي او تسخين الاطعمة في الفرن — المترجم .

المسرح مظلماً .. وقد احدث توهج الفرن تأثيراً جيداً بفعل البخار الذي انطلق من الغلاية عند رفع غطائها من قبل الساحرة .... وقد سُمح بمرور لحظة لكي تستقر الاثارة الاولى لدى المتفرجات قبل دخول (هيوغو) ، الشرير ، الذي ظهر يتبختر وقد علق سيفاً تدلى من جانبه ، ولبس قبعة عريضة الحافة على رأسه ، وكانت له لحية سوداء وعباءة غريبة الشكل وجزمة ، وبعد ان مشى عدة خطوات ذهاباً واياباً بشيء من العصبية ، ضرب جبهته بيده وانطلق يصرخ بصوت مدو وهو يغني كرهه لـ (رود ريجو) وحبه لـ (زارا) وقراره بقتل الاول والفوز بالثانية .... وكانت نبرات صوت (هيوغو) الغليظة – والصرخة التي اطلقها احياناً عندما كانت تغلب عليه عاطفته – مؤثرة للغاية مما دفع المتفرجات الى التصفيق حالما توقف ليلتقط انفاسه .... وبعد انحناءة اوحت بان القائم بها كان قد تعود ان يحظى باعجاب الجمهور ، انسل الى الكهف واوعز الى (هاجار) بصوت آمر بالمثول امامه : «اين انتِ ايتها التابعة؟ .... انني بحاجة لك!» ... ثم ظهرت (ميج) وقد وضعت على رأسها سبيباً* رمادي اللون تدلى على وجهها ، وارتدت رداءاً بلونين احمر واسود ، وحملت بيدها عصا .. اما عباءتها فنقشت عليها رموز (قبلانية)** .... وقد طالب (هيوغو) بجرعة لكي يجبر (زارا) على الهيام به .. وبجرعة اخرى للقضاء على (رود ريغو) وتدميره .. وبنغمة درامية ناعمة وعدت هاجار بتنفيذ هذين الطلبين ، وانطلقت تستدعي الارواح التي كانت ستجلب الشراب السحري :

* – السبيب هو شعر ذيل الفرس او عرفه .

** – القبلانية هي فلسفة دينية سرية تستند الى تفسير الانجيل تفسيراً صوفياً – المترجم .



«إقتربي ، إقتربي من بيتي ،
ايتها الروح في الاعالي ..
أريد منك المثول امامي
لتصنعي لي جرعات وتعاويذ
تستخرج من الزهور وتغذى بالندى
قومي بسرعة العفاريت
بجلب هذا الشراب السحري الذي احتاج اليه
واجعله حلو المذاق ،
قوياً ، سريع المفعول ..
اجيبي عن اغنيتي الآن ايتها الروح!»

بعد ذلك سمع لحن رقيق هادئ .. وسرعان ما ظهر خلف الكهف شكل بشري صغير يلبس رداءاً ابيض مبقعاً ، وله جناحان يتلامعان ، وشعر ذهبي ، وقد وضع على رأسه اكليلاً من الزهور .. ثم انطلق هذا الشكل يغني وهو يلوح بعصاه السحرية :

اني قادمة اليك ..
من بيتي الشاهق
قرب القمر الفضي
خذ هذا الدواء السحري
واستعمله بصورة جيدة
وإلا فسينفد مفعوله بسرعة .

وسرعان ما اختفت الروح هذه بعد ان رمت قنينة مذهبة عند قدمي

الساحرة .... وما ان غنت (هاجار) اغنية ثانية حتى ظهر شبح ثانٍ الا انه لم يكن جميلاً هذه المرة .. وبعد ان اجاب (هاجار) بصوت اجش ، يشبه نقيق الضفادع ، رمى عند قدمي (هيوغو) قنينة زرقاء اللون واختفى وهو يطلق ضحكة تهكمية .... ثم رحل (هيوغو) بعد ان صدح باغنية عبر من خلالها عن شكره ، وهو يضع جرعات الشراب السحري في جزمته .. وسرعان ما قامت (هاجار) باعلام المتفرجات بانه كان قد قتل عدداً من اصدقائها في الماضي ، وبسبب ذلك فانها قد سلطت عليه لعنتها كما قررت احباط مساعيه ومخططاته لكي تنتقم لنفسها منه .... ثم اسدلت الستارة .. وجلست المتفرجات ليتناولن الحلويات ويتناقشن مزايا هذا العمل الفني .

لقد سبق رفع الستارة مرة اخرى كثير من الطرق .. وسرعان ما تناست المتفرجات التأخير الذي ترتب على ذلك عندما اتضح لهن ما تحقق انجازه من عمل خشبي مبدع خاص بالمسرح .. كان عملاً مبدعاً حقاً .. فقد ارتفع الى سقف الغرفة برج يظهر في وسطه شباك وضع فيه مصباح يشع ضياءاً بفعل توهج النار فيه .. وقد ظهرت (زارا) خلف الستارة البيضاء – وهي تلبس ثوباً جميلاً ذا لونين : ازرق وفضياً – بانتظار (رودريجو) ... ودخل (رود ريجو) بلباس جميل للغاية وقد وضع على رأسه قبعة برزت منها ريشة كبيرة والتف بعباءة حمراء اللون ، كما تدلت فوق كتفيه (خصلات الحب)* .. وكان يمسك بيده جيتاراً ، وقد لبس – بطبيعة الحال – تلك الجزمة .... وعند اسفل البرج ركع

* – هي خصلات شعر طويلة كان الرجال في القرنين السابع عشر والثامن عشر يرسلونها فوق اكتافهم .

على ركبتيه وانطلق يغني (سيرنادا)** جميلاً نبرات عاطفية .. وسرعان ما اجابته (زارا) .. وبعد حوار موسيقي وافق على الفرار .... ثم اعقب هذا الحوار الجزء الاكثر تاثيراً في التمثيلية هذه : فقد ابرز (رود ريجو) سلماً ذا خمس درجات ، مصنوعاً من الحبال ، وقذف باحد طرفيه الى الاعلى طالباً من (زارا) النزول .... وانسلت (زارا) من شباكها بتهيب ، ثم وضعت يديها على كتفي (رود ريجو) ، وكانت على وشك ان تقفز الى الاسفل برشاقة عندما نسيت امر ذيل فستانها – «واسفاه على (زارا)» – الذي علق بالشباك .... وهكذا تمايل البرج ثم انقلب الى الامام ليسقط محدثاً جلبة صاخبة وليطمر تحت ركامه العاشقين البائسين! وسرعان ما انطلقت صرخة من حناجر المتفرجات عندما لاحت الجزمة الخمرية اللون ، وهي تهتز بقوة بين الحطام ، كما برز رأس ذهبي وهو يتساءل : «الم اقل لك ذلك؟» .... وبسرعة خاطر مدهشة ، سارع (الدون بيدرو) ، السيد القاسي ، ليسحب ابنته من تحت الحطام وليهمس جانباً :

«لا تضحكي! تظاهري بأن كل شيئ على ما يرام» .... ثم امر (رود ريجو) بالنهوض وقام بطرده من المملكة بغضب وسخرية .... وبغض النظر عن الصدمة التي اصابته نتيجة سقوط البرج عليه ، فقد تحدى (رود ريجو) السيد العجوز ، ورفض التحرك من موقعه .. وقد اثر هذا الموقف في نفس (زارا) بحيث قامت هي الاخرى بتحدي مولاها الاب الامر الذي اجبر الاخير على الزج بهما سوياً في غياهب سجون القلعة ..

** – لحن يعزف او يغنى ، ليلاً من قبل عاشق تحت نافذة محبوبته – المترجم .

ثم ظهر تابع بدين ، قصير القامة ، يحمل اصفاداً بيديه ، ليقود العاشقين الى سجنهما .. وقد بدا التابع هذا خائفاً للغاية ، اذ انه نسي – كما بدا واضحاً – الكلام الذي كان عليه قوله .

وتدور احداث الفصل الثالث من التمثيلية في رواق القلعة ، حيث تظهر (هاجار) بعد ان جاءت لاطلاق سراح العاشقين وتدمير (هيوغو) .. وما ان تسمع وقع اقدام الاخير هذا حتى تختبئ .. حيث تراه يسكب جرعة من الدواء السحري في كل من قدحي النبيذ ، ويامر الخادم المتهيب ، الصغير القامة ، قائلاً له : «خذهما الى السجينين في زنزانتيهما واخبرهما باني قادم اليهما على الفور» .. وعندما يقوم الخادم بجر (هيوغو) جانباً بغية اخباره امراً ما ، تقوم (هاجار) باستبدال القدحين بآخرين خاليين من الاذى .... وسرعان ما يأخذهما التابع (فرناند ينو) .. وهكذا تعيد (هاجار) القدح الذي يحمل السم الذي اريد من (رود ريجو) شرب ما فيه .. ولكن (هيوغو) هو الذي يقوم بشرب ما فيه بعد ان شعر بالعطش – ليفقد السيطرة على نفسه فوراً ولينكفئ على وجهه ميتاً بعد ان يقوم بالتشبث بقطع الاثاث ويضرب الارض باخمص قدميه بينما تقف (هاجار) لتخبره مافعلت .. ويتم ذلك من خلال اغنية جميلة اللحن ومؤثرة للغاية .

كان المشهد هذا مثيراً حقاً ، وان ظن البعض بان السقوط المفاجئ لكمية من الشعر الطويل قد افسد مفعول موت الشرير في التمثيلية .. وقد استدعي امام الستارة فظهر بأدب واحتشام وهو يقود (هاجار) الذي اعتبر غناءها اجمل من اي اداء آخر في التمثيلية .

اما الفصل الرابع فقد صور (رود ريغو) القانط وهو على وشك الانتحار بطعنة من خنجره بعد ان اخبر بان (زارا) قد هجرته .. وفي الوقت الذي يكاد ينفذ فيه الخنجر الى قلبه ، وتطرق سمعه اغنية جميلة تاتي اليه من تحت شباكه لتخبره بان (زارا) لا تزال على العهد باقية .. ولكنها في خطر .. وانه قادر على انقاذها ان شاء ذلك .. ثم يلقي اليه بمفتاح باب زنزانته .. وبنشاط من تنتابه نشوة كبرى فانه يقطع اصفاده ويهرع لانقاذ حبيبته .

ويشكل المشهد العاصف بين (زارا) و (دون بيدرو) فاتحة الفصل الخامس – فهو يريدها ان تدخل الدير وتختار حياة الرهبنة ، بينما ترفض هي ذلك باصرار .. وبعد التماس مؤثر ، توشك على الاغماء ، يندفع (رود ريجو) الى الداخل طالباً يدها .. ويرفض (دون بيدرو) الاستجابة لذلك بسبب فقر هذا الخطيب .. ثم يلجأ الرجلان الى الصراخ ، وتلويح الايادي . بشكل هائل ولكنهما لا يتفقان .. وعندما يهم (رود ريجو) بحمل (زارا) التي ارهقها التعب ، يدخل الخادم المتهيب حاملا رسالة وحقيبة من (هاجار) التي كانت قد اختفت على نحو غامض .... ويفهم الموجودون من فحوى الرسالة بان الساحرة قد خلفت لهذين الحبيبين اليافعين ثروة طائلة لا يمكن الاحاطة بها ، كما تركت لـ (الدون بيدرو) مصيراً سيئاً للغاية لانه اخفق في اسعادهما .. وعندما تُفتح الحقيبة تسقط منها كميات كبيرة من قطع النقود المصنوعة من القصدير لتغطي ارض المسرح الذي يتألق ببريقها .... وبفعل هذه الثروة يرق «السيد الصارم» ويوافق على الزواج دون ان ينبس بحرف واحد – ويشترك الكل

في اغنية جماعية .. وتنسدل الستارة عندما يركع الحبيبان على ركبتيهما امام (دون بيدرو) الذي ينعم عليهما ببركاته .

تلا هذا المشهد تصفيق مدو سرعان ما توقف على نحو غير متوقع اثر انغلاق السرير النقال فجأة الامر الذي اطفأ نار الحماس التي اتقدت في قلوب المشاهدات .. وقد هرع كل من (رود ريغو) و(دون بيدرو) لمد يد المساعدة ، وتمكنا من اخراج المتفرجات كافة دون ان تصاب ايّ منهن باذى وان عجز لسان البعض منهن عن الكلام بسبب ما داهمهن من ضحك .. وما كادت تنتهي الاثارة هذه ، حتى ظهرت (حنة) تحمل تمنيات السيدة (مارتش) وتدعو الاوانس المهذبات لتناول وجبة العشاء .

كانت الدعوة هذه مفاجئة حقاً .. حتى بالنسبة للممثلات .. وعندما شاهدن ما احتوته المائدة من الطعام نظرت احداهما الى الاخرى بتعجب مشوب بنشوة وغبطة .. اجل ، هذا ما دأبت عليه (مامي) دوماً : تهيئة متعة غير متوقعة .... ومع ذلك ، فان شيئاً بهذه الروعة لم يكن من الامور المألوفة بعد رحيل ايام الوفرة .... فقد ضمت المائدة صحنين من القشدة المثلجة – احتوى احدهما قشدة بيضاء واحتوى الثاني قشدة وردية اللون – اضافة الى الكعك والفواكه وانواع من الحلويات الفرنسية ، كما توسطت المائدة اربع باقات كبيرة من الورود التي تزرع وتنمو في البيوت الزجاجية ....

لقد ألهتهن فعلاً منظر هذه المائدة .. فحدقن فيها اولاً ثم في امهن التي بدت وكأن الامر قد سرها للغاية .

«هل جاءت الجنيات بكل هذا؟» . تساءلت (آمي) .
«لا بد انه بابا نوئيل» ، قالت (بيث) .
«بل انه من صنع امنا» ، قالت (ميج) وقد اعتلت وجهها اعذب ابتسامة بالرغم من لحيتها الرمادية اللون وحاجبيها الابيضين .
«لقد اعترت العمة (مارتش) نزوة خير ، على ما اظن ، فارسلت لنا هذا العشاء» ، صاحت (جو) بوحي مفاجئ .
«انكن جميعاً على خطأ .. لقد ارسل هذا الطعام السيد (لورنس) العجوز» ، اجابت السيدة (مارتش) .
«اتعنين جد ابن عائلة لورنس؟ ما الذي دفعه الى ذلك يا ترى؟ اننا لا نعرفه!» تساءلت (ميج) .
«لقد اخبرت (حنة)احد خدمه تفاصيل حفلة الفطور التي اقمتنها .. وبالرغم من انه عجوز غريب الاطوار ، ألا ان عملكن هذا قد سره .. كان يعرف ابي قبل سنوات عديدة .. وقد ارسل لي خطاباً مهذباً عصر هذا اليوم اخبرني فيه انه يأمل مني السماح له بالتعبير عن شعوره الودي ازاء طفلاتي من خلال ارساله بعض المأكولات اكراماً لهذه المناسبة .... لم اتمكن من الرفض .. وبذلك فقد حظيتن بهذه الوليمة تعويضاً عن فطوركن المتواضع صباح اليوم .
«ان ذلك الفتى هو الذي اقنع جده بالقيام بذلك .. اني ادرك هذا الامر جيداً .. ليتنا نتعرف عليه ..فهو يبدو كما لو كان راغباً في ذلك .. ولكنه خجول .. ان (ميج) متزمتة للغاية وبذلك فهي تمنعني من التحدث معه عندما تمر به في الطريق»، قالت (جو) اثناء دوران الصحون بين

الحاضرات ، وعندما بدأت القشدة المثلجة تذوب مختفية عن الانظار وسط اصوات الـ«اوه !» و الـ«آه» التي عبرت عن الاستحسان والمتعة . «اظنكن تعنين العائلة التي تسكن القصر الكبير الملاصق لداركن ، اليس كذلك؟»تساءلت احدى الفتيات» . ان والدتي على معرفة بالسيد (لورنس) العجوز .. وتقول بانه مترفع للغاية ولا يرغب في الاختلاط بالجيران .. كما انه يفرض على حفيده عزلة تامة – عندما لا يكون الاخير هذا مع معلمه الخاص ، او عندما لا يكون ممتطياً صهوة جواده – ويجبره على قضاء وقته في الدراسة الجادة ....
وقد قمنا بدعوته الى حفلة اقمناها الا انه لم يحضر .... تقول والدتي بانه لطيف المعشر ، رغم انه لا يكلمنا نحن الفتيات» . «هربت قطتنا في مناسبة معينة ، وقد اعادها الينا .. وقد تحدثنا عبر السياج الفاصل بين دارينا .. وكنا على احسن ما يكون من الانسجام – اذ كنا نتحدث عن لعبة الكركيت وما الى ذلك من امور – عندما ولى ماشياً بعد ان شاهد (ميج) قادمة .. اني انوي التعرف عليه جيداً في يوم ما .. انه بحاجة الى المتعة والتسلية .. اني ادرك ذلك جيداً» ، قالت (جو) على نحو قاطع لا يقبل الشك . «اني معجبة باخلاقه وحسن تصرفه .. كما انه يبدو شاباً مهذباً وبذلك لا اجد ما يمنعني من تشجيعك على التعرف عليه اذا ما سنحت لك فرصة مناسبة .. لقد جلب الورود بنفسه .. كان يفترض بي دعوته الى الدخول الى الدار لو كنت فقط على علم تام بما كان يدور في الطابق العلوي من الدار .. لقد بدا راغباً جداً في الدخول عندما ذهب مبتعداً ، وهو يسمع اصوات اللعب والمرح وهو بالتاكيد يفتقر الى

كليهما» . «كان احجامك هذا رحمة يا اماه» . قالت (جو) بضحك وهي تنظر الى جزمتها . «ولكننا سنقوم بتمثيلية اخرى مستقبلاً وبامكانه الحضور لمشاهدتها .. ولربما قد يساعدنا بالقيام بتمثيل احد الادوار .. سيكون ذلك امراً ممتعاً اليس كذلك؟».

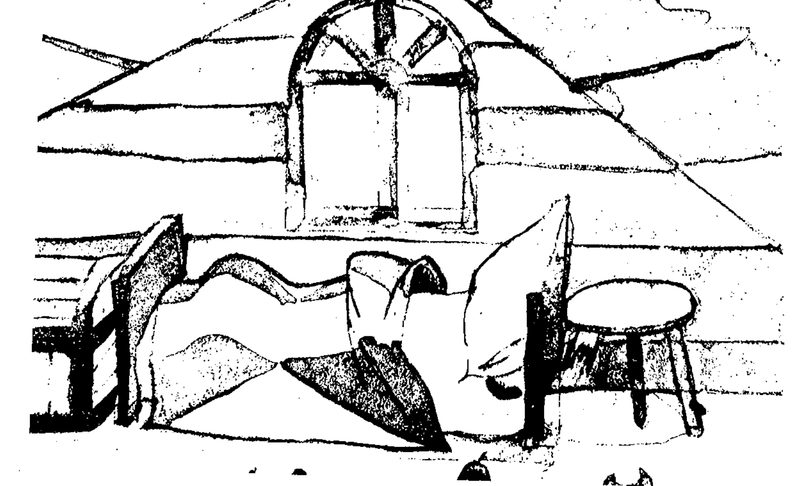
«لم استلم مثل هذه الباقة الجميلة من الورد قبل هذه المناسبة .. انها حقاً بديعة ! » .. وتفحصت (ميج) ورودها باهتمام بالغ .

«انها جميلة حقاً .. ولكن ورود (بيث) اجمل» . قالت السيدة (مارتش) وهي تشم الزهرة الذابلة التي علقتها في حزامها .

...... حضنت (بيث) امها وهي تهمس برقة قائلة : «ليتني اتمكن من ارسال باقتي الى ابي .. اخشى بانه لا يتمتع بعيد سعيد كالذي نحتفل به نحن» .

الفصل الثالث





ابن عائلة لورنس

«(جو)! (جو)! اين انت؟» . صاحت (ميج) من اسفل السلم العلوي المؤدي الى العلِّية* «اني هنا» . اجاب صوت اجش قادم من الاعلى .. وبعد ان اسرعت (ميج) بالصعود الى اعلى السلم . وجدت اختها تأكل التفاح وتبكي حزناً على «وريث (ريد كليف)» وقد التفتْ بلحاف . وجلست فوق اريكة قديمة ذات ثلاثة ارجل وُضِعتْ بجانب الشباك المشمس .... كان هذا المكان ملاذ (جو) المفضل حيث كانت ترغب الانعزال بصحبة نصف (دستة) من التفاح ذي القشرة الخشنة . وكتاب ممتع . وبرفقة جرذ أليف اختار مسكنه قرب هذا المكان ولم

* العلية – حجرة تحت السقف الاعلى للدار مباشرة – المترجم .

يأبه قط لوجود (جو) .... وما ان ظهرت (ميج) حتى اختفي (سكرابل) في جحره هارباً .. ومسحت (جو) الدموع من فوق خديها وانتظرت لتسمع الأخبار .

«ياالها من متعة! انظري فقط ! انها بطاقة لدعوة اصولية من السيدة (جاردنر) لمساء الغد!» صاحت (ميج)وهي تلوح بالورقة ثم راحت تقرأها بفرحة الصبايا :

«يسر السيدة (جاردنر) حضور الانسة (مارتش) والانسة (جوزفين) دعوتها في ليلة رأس السنة .... لقد وافقت (مامي) على ذهابنا .. فما عسانا ان نلبس من ثياب؟»

«ما جدوى هذا السؤال عندما تدركين جيداً باننا سنلبس فستانينا القطنيين لاننا لا نملك غيرهما» ، اجابت (جو) وفمها مملوء .

«أتمنى لو كان لدي فستان حريري» . قالت (ميج) بتنهد . «تحدثت الوالدة عن احتمال حصولي على فستان حريري عندما ابلغ الثامنة عشرة من العمر .. ولكن انتظار عامين هو انتظار الى الابد» .

«اني على ثقة بان فستانينا القطنيين يبدوان كأنهما من حرير .. كما انهما جميلان بالقدر الكافي .. فيكاد يكون فستانك جيداً جداً ، بينما نسيت انا الجزء المحروق من فستاني وكذلك الجزء الممزق منه .. فما عساي ان افعل؟ فموضع الحرق ظاهر جداً ولا يمكنني التخلص منه ..»

«عليك الجلوس من غير حركة طوال الوقت ، واخفاء ظهرك عن الانظار .. فالجهة الامامية من الفستان جيدة ولا بأس بها اما انا فساضع شريطاً جديداً في شعري ، وستعيرني (مامي) دبوسها اللؤلؤي .. كما ان

حذائي جميل .. وسوف يفي قفازي بالمرام وان كان اقل مما اطمح له ..»

«اما قفازي فقد اتلفه شراب الليمون ولا يمكنني الحصول على زوج جديد .. وبذلك فاني مضطرة للذهاب من غير قفاز» ، قالت (جو) التي لم تزعج نفسها ابداً بامور الملبس .

«لابد ان ترتدي قفازاً عند حضورك الدعوة وإلا رفضت الذهاب» ، صاحت (ميج) بنبرة فيها عزم وتصميم . «ان القفاز اهم من اي شيئ آخر .. سوف اشعر انني مهانة جداً اذا ما ذهبت دونه» «اذاً سابقى في مكاني» .

«لا يمكنك ان تطلبي من الوالدة اعطاءك زوجاً جديداً لان القفازات باهظة الثمن وانت فتاة مهملة .. ثم انها قالت لك — عندما اتلفت الزوج الاخير — انها لن تعوضك بآخر في هذا الشتاء .. الا يمكنك معالجة امر قفازك بحيث يصبح لائقاً للاستعمال؟» تساءلت (ميج) بقلق .

«بامكاني الاكتفاء بالاحتفاظ به في يدي وبذلك لن يدرك احد كم هو ملوث .. هذا كل ما اتمكن من القيام به .. لا بل ساخبرك كيف يمكننا تدبر الامر : بامكان كل واحدة منا ارتداء فرد جيد والامساك بالفرد الاخر باليد الاخرى .. اتفهمين ما اعني؟»

«يدك اكبر من يدي وبذلك فانها ستمط قفازي على نحو بشع للغاية» ، قالت (ميج) التي كان القفاز يشكل امراً حساساً للغاية بالنسبة لها .

«اذاً سوف اذهب من غير قفاز ، ولا يهمني ما يقوله الناس» ،

صاحت (جو) وهي تأخذ كتابها .

«حسناً لك ما تريدين .. لك ما تريدين! ولكن حاذري من تلويثه .. وحاولي ان تتصرفي بلطف وكياسة .. لا تضعي يديك خلف ظهرك او تطيلي النظر ، او تهتفي كريستوفر (كولومبوس)» .

«لا تقلق بشأني .. ساكون في غاية الكياسة وساحاول عدم التورط في المآزق ان استطعت الى ذلك سبيلاً .. والآن اذهبي للاجابة عن هذه الرسالة ودعيني اكمل هذه القصة الرائعة .

وهكذا انطلقت (ميج) لـ«قبول الدعوة مع الامتنان» . وهي تنظر الى فستانها وتغني بمرح وترتب فستانها الدانتيلا الحقيقي الوحيد .. بينما انشغلت (جو) بانهاء قراءة قصتها واكل تفاحاتها الاربع ومداعباتها مع (سكرابل) .

كانت حجرة الجلوس خالية في ليلة السنة الجديدة : فقد انشغلت الفتاتان الاصغر عمراً بالعمل كوصيفتين لاختيهما الاكبر عمراً واللتين انغمستا في التهيؤ للحفلة .. وبغض النظر عن بساطة عملية التجميل فقد كان هناك الكثير من الحركة والكلام والضحك وقد عمت ارجاء الدار لفترة رائحة قوية لشعر يحترق .. فقد ارادت (ميج) ان تزين وجهها ببعض الخصلات المعقوصة من شعرها وقد تعهدت (جو) بعقص هذه الخصلات الملفوفة بالورق وتمويجها بمعقصة ساخنة .

«هل يفترض تصاعد هذه الكمية من الدخان ياترى؟» تساءلت (بيث) وهي تجثم فوق الفراش .

«انه بفعل جفاف الرطوبة» ، اجابت (جو) «يالها من رائحة غريبة ..

كرائحة الريش المحروق» ، علقت (أيمي) وهي تلمسُ خصلاتها الجميلة بطريقة نمت عن الترفع والاستعلاء .

«ها ! ساقوم الآن برفع الاوراق وستشاهدين بعد ذلك سحاباً من الجدائل الصغيرة» . قالت (جو) وهي تضع معقصة الشعر جانباً .

وبالرغم من قيام (جو) برفع الاوراق فعلاً ، فلم يظهر سحاب من الجدائل الصغيرة .. فقد انتزع الشعر مع الاوراق مما اضطر مصففة الشعر المرعوبة الى وضع حزمات الشعر المحروق على الطاولة امام ضحيتها .

«آه ! آه ! ماذا فعلت؟ لقد أفسد مظهري فلا يسعني الآن الذهاب الى الدعوة ! واه على شعري ! » صاحت (ميج) وهي تندب حظها وتنظر بيأس الى ما تجمع فوق جبينها من خصلات شعرها التي التوت بدون تناسق .

«انه مجرد حظي العاثر! ماكان عليك ان تطلبي مني القيام بهذا العمل .. اني دائماً أفسد ما يطلب الي القيام به من اعمال .. اني آسفة جداً .. كانت المعقصة شديدة الحرارة ولذلك فقد افسدتُ الامر» . أنتْ (جو) وهي تنظر الى الاقراص السوداء من خلال دموع الندم التي ذرفتها .

«لم يفسد شعرك .. ما عليك سوى ضفره ومن ثم اعقدي الشريط بحيث تغطي نهايته جزءً من الجبين .. عند ذاك سيكون مظهرك منسجماً مع الزي السائد .. فهناك الكثير من الفتيات اللواتي يظهرن بهذا الزي» ، قالت (أيمي) محاولة مواساة اختها .

«اني استحق ما حل بي نتيجة محاولتي تجميل مظهري .. ليتني تركت شعري على وضعه» . صاحت (ميج) بنكد .

«اجل ليتك فعلت ذلك! كان شعرك جميلاً ، معقولاً .. ولكنه سرعان ما سينمو ثانية» قالت (بيث) وهي تهم بتقبيل ومواساة النعجة التي فقدت شعرها.

وبعد العديد من المصائب الأقل شراً ، استكملت (ميج) أخيراً متطلبات زينتها كافة. وبفعل المثابرة المشتركة للعائلة تم الانتهاء من تصفيف شعر (جو) الى الاعلى لترتدي بعد ذلك فستانها .. وقد بدت الاختان في غاية الاناقة بما ارتديتاه من ملابس بسيطة : فقد ارتدت (ميج) فستاناً من قماش فضي اللون له شبكة من المخمل الازرق ونهايات من الدانتلا كما ثبتت دبوسها اللؤلؤي .. اما (جو) فارتدت فستاناً قرمزي اللون ذا ياقة رجالية كتانية بيضاء وقد زينته بوردة او اثنتين من ورد الاقحوان الابيض .. كما ارتدت كل منهما فرداً نظيفاً من القفازات وامسكت بالآخر في يدها وقد اقر الجميع بان اجراءهما هذا كان «سهلاً ولائقاً للغاية» .. وكان حذاء (ميج) ذو الكعب العالي ضيقاً للغاية وبالرغم مما سببه لها من ألم فانها لم تعترف بالامر .. وبدت دبابيس الرأس التسعة عشر ، التي وضعتها (جو) في شعرها ، مغروزة في رأسها مما لم يوح بالراحة ابداً .. ولكن ما الأمر! لنكن انيقات او لنمت!

«اتمنى لكما وقتاً ممتعاً ياعزيزتي» ، قالت السيدة (مارتش) عندما هبطت الفتاتان ، باناقة ووسامة ، الى الرصيف. «لا تكثرا من تناول طعام العشاء واحرصا على العودة في الساعة الحادية عشرة عندما ارسل (حنة) للعودة بكما» . وما ان انغلقت باب السياج خلفهما – محدثة قرقعتها المعتادة – حتى انبعث صوت من النافذة ينادي قائلاً : «هل لدى كل

منكما منديل جيب ايتها الفتاتان؟» «اجل! اجل! لدينا منديلان جميلان للغاية. وقد رشت (ميج) ماء الكلونيا على منديلها». صاحت (جو) ثم اضافت ضاحكة اثناء سيرهما: «اعتقد بان (مامي) لن تتوانى عن طرح هذا السؤال بالذات حتى لو كنا نهرب من زلزال أرضي!»

«تمثل هذه السعادة احدى ميولها الارستقراطية، وهو امر لائق للغاية، لان السيدة الكيسة، المهذبة انما تتميز بحذائها الانيق وقفازها ومنديلها» اجابت (ميج) التي كان لها العديد من «الميول الارستقراطية» الخاصة بها.

«لا تهملي إبقاء الجزء الممزق من فستانك بعيداً عن الانظار يا (جو)! هل تجدين وشاحي في وضعه الصحيح؟ هل يبدو شعري رديئاً للغاية؟» تساءلت (ميج) وهي تستدير امام المرآة الموضوعة في حجرة الزينة في بيت السيدة (جاردنر) ومن بعد فترة طويلة قضتها في اصلاح هندامها والتبرج.

«ادرك بانني سوف انسى. فاذا وجدت باني اتصرف تصرفاً غير لائق فنبهيني بمجرد ايماءة او غمزة عين.

فهل تعديني بذلك؟» قالت (جو) وهي تعدل ياقة فستانها وترتب شعرها بلمسة سريعة من الفرشاة.

«كلا سوف لا اغمز لك، فالغمز لا يليق بالسيدات المهذبات. سوف اكتفي برفع حاجبي اذا ما وجدت ان هناك ثمة خطأ وسوف اومي برأسي اذا كان تصرفك لائقاً. والان عليك تفادي مد يديك للمصافحة اذا ما تم تعريفك باحد فالمصافحة لا تعتبر من الممارسات الاجتماعية اللائقة

«كيف تتمكنين من معرفة كل هذه الممارسات اللائقة؟ اني اعجز عن ذلك! الاتظنين بان هذه الموسيقى مرحة؟»

وهكذا مشت الاختان ينتابهما شعور بالتهيب اذ قلما كانتا تحضران الحفلات والدعوات. وبغض النظر عن بساطة هذه الاجتماعات فانها كانت احداثاً ذات شأن كبير بالنسبة لهاتين الفتاتين. وقد قامت السيدة (جاردنر) — وهي امرأة مهيبة وذات ابهة — باستقبالهما بلطف وكلفت كبرى بناتها الست بالعناية بهما. وكانت (ميج) على معرفة بـ (سالي) ولذلك فانها سرعان ما تحررت من قلقها وارتباكها. اما (جو) — التي لم يكن لها اي اهتمام بالفتيات ولا بما يهون تداوله من قيل وقال — فقد وقفت جانباً بعد ان ادارت ظهرها الى الحائط بحذر وهي تشعر — كما يشعر مهر في حديقة للزهور — بانها كانت في غير محلها. وفي ركن آخر من الغرفة وقف عدد من الصبيان المرحين وهم يتحدثون عن ادوات التزحلق على الجليد وقد قامت (جو) للاشتراك معهم في حديثهم اذ كان التزحلق على الجليد من بين احب الهوايات الى نفسها. وبذلك فانها رغبت في ابداء رغبتها هذه الى (ميج) ولكن حاجب الاخيرة هذه ارتفع على نحو مفزع جداً بحيث لم تجرأ (جو) بعد ذلك على القيام بأية حركة ولم يأت احد ليتجاذب معها اطراف الحديث، كما تلاشت مجاميع المدعوين التي كانت تقف قريباً منها حتى بقيت وحدها. ولم تتمكن من التجول هنا وهناك لتسلية نفسها خشية ظهور الجزء المحروق من فستانها، ولذلك اخذت تحدق في الناس ببؤس حتى ابتدأ الرقص.

وسرعان ما تقدم احدهم طالباً (ميج) للرقص فأخذ الحذاء الضيق

يخطو بخفة ورشاقة مذهلتين لم يتمكن احد من خلالها ان يحسب مقدار ما كانت تعانيه صاحبته من الم وهي تبتسم . وما ان لاحظت (جو) ان شاباً احمر الشعر ، ضخم البنية اخذ يقترب من الزاوية التي وقفت فيها حتى انسلت الى موقع تحجبه ستارة بغية النظر والتمتع بما يدور بهدوء وطمأنينة بعد ان خشيت ان يكون الشاب هذا قد جاء بنية طلب مراقصتها . ولسوء الحظ فانها اكتشفت وجود شخص خجول آخر كان قد اختار نفس الملجأ . وما ان انحسرت الستارة حتى وجدت نفسها تقف وجها لوجه امام «ابن عائلة لورنس» . «ياالهي ! لم ادرك ان احداً كان هنا» ، تلعثمت (جو) وهي تستعد للعودة بنفس السرعة التي وثبت فيها الى ذلك المحل . ولكن الفتى ضحك وقال بلطف ورقة ، بالرغم مما اعتراه من جفول :

«لاتبالي لوجودي يمكنك البقاء ان شئت ذلك»

«ألا اتسبب في ازعاجك؟»

«ابداً ! لقد لجأت الى هذا المكان لاني لاأعرف كثيراً من المدعوين فشعرت بشيء من الغرابة في باديء الامر، كما تفهمين».

«وانا كذلك. ارجوك الا تذهب من هنا ، اللهم إلا اذا كنت تفضل الذهاب».

جلس الفتى ثانية ونظر الى حذائه حتى الوقت الذي اخذت فيه (جو) تكلمه وهي تحاول أن تكون كيسة وسهلة المعشر.

«لقد تم لي شرف التمتع بمشاهدتك قبل هذه المناسبة ، على ما اظن ، فانت تسكن قربنا ، أليس كذلك؟»

«بل جاركم المباشر»، قال ذلك ونظر الى الاعلى ليطلق ضحكة صريحة بسبب هذا التكلف في الاحتشام الذي كان مضحكاً للغاية لاسيما عندما تذكر كيف اتيحت لهما فرصة التكلم عن لعبة (الكركيت) بعد ان كان قد اعاد القطة الى الدار.

وقد شعرت (جو) بالراحة بعد هذه الضحكة فضحكت هي الاخرى وهو تقول بطريقتها الاكثر مرحاً :

«لقد تمتعنا بما قدمتوه لنا من هدية جميلة في عيد الميلاد»

«لقد ارسلها جدي.»

«ولكنك انت الذي اوحيت له بذلك، اليس هذا صحيحاً؟»

«كيف حال قطتكم ايها الآنسه (مارتش)؟» سأل الفتى وهو يحاول ان يبدو رزيناً بينما كانت عيناه تشعان متعة.

«انها بخير، شكراً، ياسيد (لورنس). ولكني لست الانسة (مارتش) بل مجرد (جو)»، اجابت الشابة.

«وانا ليس (سيد لورنس) بل مجرد لوري».

«(لوري لورانس) – ياله من اسم غريب».

«اسمي الاول هو (ثيودور) ولكني لاأحبه لان اصحابي ينادوني باسم (لورا) ولذلك فاني اجبرتهم على مناداتي باسم (لوري)».

«وانا اكره اسمي ايضاً – فهو اسم عاطفي للغاية! ليت الجميع ينادونني (جو) بدلاً من (جوزفين).

كيف اجبرت الصبيان على الكف من مناداتك بـ (لورا)؟»

«لقد اشبعتهم ضرباً!».

«لايسعني اشباع العمة (مارتش) ضرباً ولذلك لابد لي، على ما اظن، من تحمل الامر»، قالت (جو) وهي تطلق آهة الاستسلام.

«هل تهوى الحفلات والدعوات»، تساءلت بعد لحظة.

«في بعض الاحيان. لابد ان تدركي بأني قضيت سنين عديدة خارج البلاد ولا املك من المعارف بالقدر الكافي الذي يمكنني من خلاله معرفة الممارسات والصيغ الاجتماعية هنا».

«خارج البلاد!» صاحت (جو)». حدثني عن هذا الجانب بالذات، فكم اهوى حديث الناس عن اسفارهم».

«لم يعرف (لوري)، على مابدا. من أين كان عليه ان يبدأ، إلا ان اسئلة (جو)، التي عكست لهفة صاحبتها واشتياقها الى الاستماع، سرعان مادفعته الى الابتداء فاخبرها كيف ذهب الى مدرسة في (فيفي)* حيث لم يعتد الطلاب لبس القبعات، وكانت لهم قوارب في البحيرة وان التمتع بالعطل المدرسية يعني قيامهم – صحبة معلميهم – برحلات في ارجاء سويسرا مشياً على الاقدام.

«ليتني زرت هذه المنطقة!» صاحت (جو). «هل زرت باريس؟»

«قضينا شتاء العام الماضي فيها»

«هل بامكانك التكلم بالفرنسية؟»

«لم يُسمح لنا التكلم بغيرها في (فيفي)»

«قل شيئاً بالفرنسية! اتمكن من القراءة بهذه اللغة ولكنني لااستطيع لفظ التعابير.»

---

*فيفي – احدى ضواحي مدينة (لوزان) السويسرية – المترجم

«من هي تلك الشابة ذات الحذاء الجميل؟» قال بالفرنسية و بطريقة ودية.

«لقد قلتها بطريقة جميلة للغاية – والآن دعني اترجم ما قلت : من هي تلك السيدة المهذبة الشابة ذات الحذاء الجميل. اليس كذلك؟»

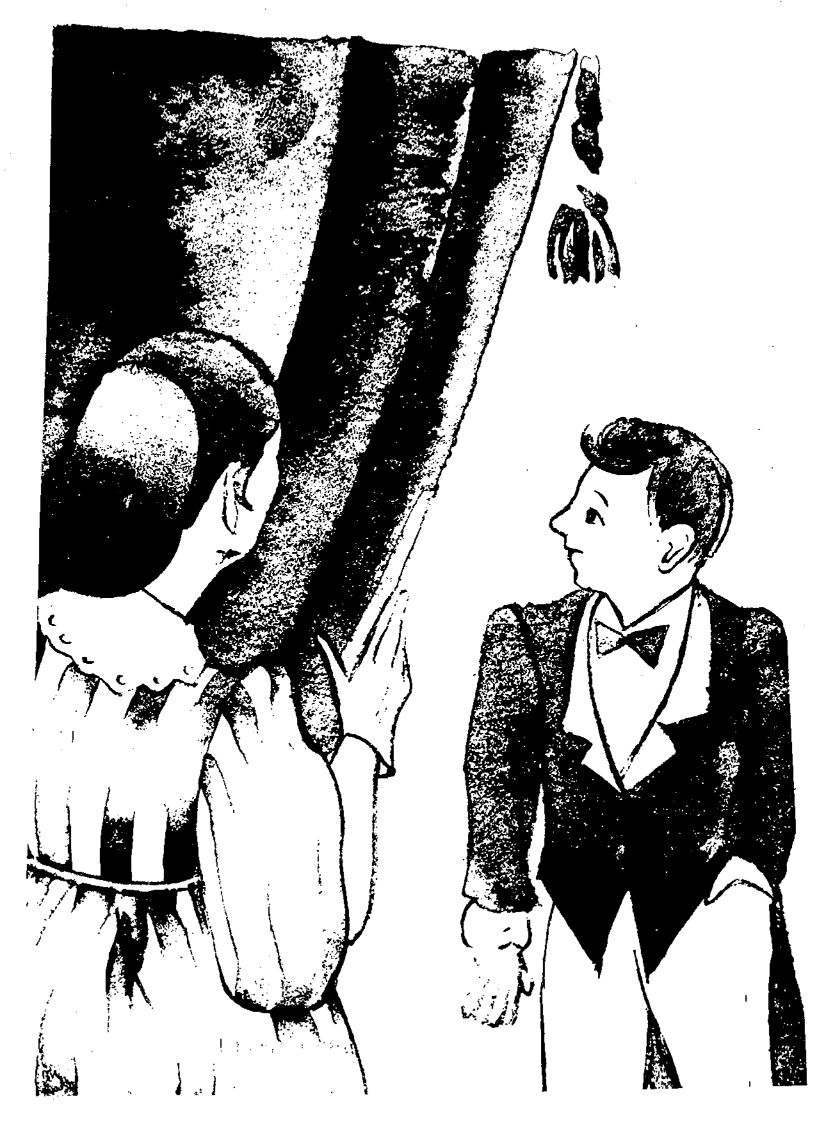
«أجل ياآنستي»، اجاب (لوري) بالفرنسية.

«انها اختي (مارجريت) وانت تعرف ذلك! هل تظنها جميلة؟»

«اجل انها جميلة، كما انها تذكرني بالفتيات الالمانيات – انها تبدو نشيطة وهادئة للغاية.

توهجت (جو) سروراً لهذا المديح الصبياني لاختها وقد حفظته عن ظهر قلب لتردده على مسامع (ميج). وهكذا اخذ الاثنان يسترقان النظر ويعلقان على ما شاهداه ويتجاذبان اطراف الحديث حتى شعرا كأنهما قد تعارفا منذ فترة طويلة. وسرعان مازال خجل لوري الذي أبهجه سلوك (جو) الرجالي وجعله يشعر بالراحة، كما استعادت (جو) بدورها مرحها الاعتيادي بعد ان نُسي امر فستانها ولم يعد هناك من يرفع لها حاجباً الى الاعلى. وقد احبت «ابن عائلة لورنس» اكثر من ذي قبل والقت عليه عدة نظرات فاحصة ليتسنى لها وصفه لاخواتها في وقت لاحق، اذ لم يكن لفتيات عائلة (مارتش) اخوان ابداً، كما لم يكن لهن من ابناء الاعمام والخالات وابناء الاخوال والعمات إلا عدد قليل جداً وبذلك كاد يكون الشبان بالنسبة لهن مخلوقات مجهولة.

«شعره اسود مجعد – بشرته سمراء – عيناه سوداوان كبيرتان – انفه جميل – اسنانه دقيقة ورائعة – يداه وقدماه كبيرتان – اطول مني –



مؤدب للغاية بالنسبة لفتى، ومرح بصورة عامة. كم يبلغ من العمر ياترى؟».

كانَ السؤال على طرف لسانها ولكنها ضبطت نفسها في الوقت المناسب. وبلباقة غير معهودة، حاولت اكتشاف ذلك بصورة غير مباشرة.

«اظنك ستنضم الى جامعة مابعد مدة قصيرة؟ اني الاحظ انكبابك على الكتب – اعني انك تدرس بجد»، قالت (جو) ثم تورد وجهها خجلاً نتيجة اندفاعها المروع هذا الذي فاتها فهم نتائجه.

تبسم (لوري) ولكنه لم يبد مذهولاً بل اجاب وهو يهز كتفيه بعدم مبالاة :

«لن اذهب قبل مضي عام او عامين، بل لن اذهب قبل بلوغي السابعة عشرة من العمر في كل الاحوال».

«هل انت في الخامسة عشرة من العمر فقط؟» تساءلت (جو) وهي تنظر الى هذا الفتى الطويل القامة الذي تصورت انه كان قد تجاوز السابعة عشرة من العمر.

«سأكمل السادسة عشرة في الشهر المقبل».

«كم أتمنى لو كنت ذاهبة للدراسة في الجامعة! لاتبدو كمن تستهويه فكرة الدراسة الجامعية».

«اني اكره الذهاب الى الجامعة – فليس فيها سوى الاجهاد في الدرس والعبث، وانا لا احب الطريقة التي من خلالها يمارس شبابنا في هذا البلد الدراسة والعبث».

«ماذا تحب اذاً؟»

«احب العيش في ايطاليا والتمتع بطريقتي الخاصة».

وقد ارادت (جو) الاستفسار عن تفاصيل طريقته الخاصة هذه لولا التهديد الذي عكسه حاجباه كلما عقدهما، ولذلك فانها ارتأت تغيير الموضوع. وبينما كان قدمها يتحرك بتزامن مع نغمة موسيقية التفتت اليه قائلة :

«انه صوت بيان رائع يأتي من الغرفة المجاورة. لماذا لاتذهب وتحاول الرقص؟»

«ساحاول اذا ما رضيت بمرافقتي»، اجاب بانحناءة كيسة.

«لايمكنني الاستجابة الى هذا الطلب، فقد وعدت (ميج) باني لن اتحرك من محلي بسبب..» وهنا توقفت (جو) وبدت مترددة : هل تضحك ام تبوح بالسر؟

«بسبب ماذا؟» تساءل (لوري) بفضول.

«اتعدني بانك لن تخبر احداً بالامر؟»

«ابداً !»

«بسبب عادتي السيئة التي تجرني الى الوقوف امام النار، فاني اتسبب بحرق فساتيني، وقد قمت فعلاً بحرق هذا الفستان. على الرغم من انه قد رتق بصورة جيدة للغاية إلا ان اثره واضح ولذلك امرتني (ميج) بعدم الحركة لكي لاينتبه اليه احد. يمكنك ان تضحك اذا شئت، فهو امر مضحك وانا ادرك ذلك».

ولكن (لوري) لم يضحك بل نظر الى الاسفل فقط. وقد حير التعبير

الذي ارتسم على وجه (جو) عندما قال بلطف : «لاتهتمي لذلك. تعالي معي رجاءً».

شكرته (جو) وتقدمت بسرور وهي تتمنى لو كان لها قفاز انيق بعد ان شاهدت القفاز البديع، ذا البياض اللؤلؤي، الذي ارتداه رفيقها.

وعندما توقف عزف الموسيقى جلسا. وكان (لوري) منهمكاً في رواية تفاصيل مهرجان طلابي كان قد اقيم في مدينة (هايدلبرغ)* عندما ظهرت (ميج) وهي تبحث عن شقيقتها. وما ان لمحتها واومأت لها بالمجيء اليها حتى هرعت (جو) خلفها بتردد. ومشت الى غرفة جانبية حيث وجدت اختها تجلس على اريكة وقد امسكت بقدمها وبدت باهتة اللون.

«لقد التوى كاحلي اثر استدارة هذا الكعب العالي السخيف الذي سبب لي هذا الالتواء المؤلم. ان كاحلي يؤلمني الى درجة اكاد لا استطيع الوقوف من جرائها، ولا ادري كيف ساتمكن من الوصول الى البيت»، قالت وهي تهتز وتئن الماً.

«ادركت بانك ستؤذين قدمك بهذا الحذاء السخيف. اني آسفة. ولكنني لاافهم كيف ستعالجين الموقف باستثناء الحصول على عربة او المبيت هنا»، اجابت (جو) وهي تفرك الكاحل البائس اثناء الكلام.

«لايمكنني الحصول على عربة دون تكبدي مصاريف باهظة، بل لايمكنني الحصول عليها في كل الاحوال. فاكثر المدعوين قد اتوا بعرباتهم الخاصة، كما ان المسافة الى الاصطبلات بعيدة جداً، ولايوجد من يمكن ارساله الى هناك».

*هايدلبرغ – مدينة جامعية تقع في جنوب المانيا وتعتبر من اجمل المدن الاوربية – المترجم

«سأذهب انا»

«لايمكنك القيام بذلك ابداً! لقد تجاوز الوقت التاسعة، كما ان الظلمة شديدة في الخارج. ثم اني لااتمكن من المبيت هنا لان الدار ممتلئة ولان (سالي) قد دعت بعض الفتيات للمبيت هنا. سوف ارتاح حتى يحين موعد قدوم (حنه) وسأبذل قصارى جهدي آنذاك لحل هذه المشكلة»

«ساطلب من (لوري) الذهاب وسوف لايمانع»، قالت (جو) وقد بدت مرتاحة لهذه الفكرة التي راودتها.

«رحمتك يارب! كلا! لاتخبري احداً او تطلبي منه المساعدة. ناوليني (الكلوش)* وضعي حذائي هذا مع بقية حاجياتنا. بعد الانتهاء من تناول طعام العشاء راقبي مجيء (حنه) واخبريني حال وصولها»

«انهم يذهبون الى العشاء الآن. سابقى معك. هذا ما افضله».

«كلا ياعزيزتي. اسرعي بالذهاب واجلبي لي قليلاً من القهوة. اني تعبة الى درجة اعجز فيها حتى على الحركة.»

وهكذا إتكأت (ميج) مستريحة، وذهبت (جو) – وهي لاتنفك عن ارتكاب الاخطاء والحماقات – متجهة الى غرفة الطعام التي لم تجدها الا بعد ان دخلت الى مخزن لحفظ ادوات المائدة الخزفية، وبعد ان فتحت باب غرفة جلس فيها السيد (جاردنر) ليتناول المرطبات بصورة خاصة. وسرعان ما وثبت الى مائدة الطعام وحصلت على القهوة التي دلقت شيئاً منها على الفور لتلوث بها مقدمة فستانها التي اصبحت اسوأ حالاً من

* الكلوش – هو حذاء فوقي مطاطي يلبس فوق الحذاء ليقيه من الاوساخ والاوحال – المترجم

جهته الخلفية.

«يالهي! تباً لي من بلهاء، كثيرة الاخطاء!»، قالت (جو) بتعجب وهي تلوث فردة قفاز (ميج) من خلال محاولاتها مسح ما اندلق من قهوة على فستانها.

«هل يمكنني مساعدتك؟»، إنبرى صوت ودود يكلمها. كان الصوت هذا صوت (لوري) الذي وقف يحمل فنجاناً في يد وصحناً من مثلجات في اليد الاخرى.

«كنت احاول جلب شيء من الطعام لـ (ميج) التي تشعر بتعب شديد عندما دفعني احدهم لاجد نفسي بهذه الحالة المزرية»، اجابت (جو) وهي تنتقل بنظرها بحزن واسى بين فستانها الملوث والقفاز الذي اكتسب لون القهوة.

«يالسوء الحظ! كنت ابحث عن شخص معين لاعطيه ما احمل. هل يمكنني حمل هذه الى اختك؟»

«آه! شكراً جزيلاً! ساريك اين هي، لااريد حملها بيدي لاني ساقع في ورطة لامحالة».

ومشت (جو) لترشده الى مكان (ميج). اما (لوري) – الذي بدا كأنه متمرس في فن خدمة السيدات والسهر على راحتهن – فانه اسرع بجلب مائدة صغيرة ووضع عليها ماحمله بيده، ثم اسرع ليجلب دفعة اخرى من القهوة والمثلجات ل(جو). وكان بتصرفه هذا لطيفاً وخدوماً حتى ان (ميج) نفسها، الصعبة الارضاء، وجدت نفسها مجبرة على الاعتراف بانه « شاب لطيف ». وهكذا قضوا وقتاً ممتعاً وهم يتناولون

الحلويات ويقرأون الشعارات والعبر، وكانوا قد بدأوا بلعبة مسلية هادئة – بالاشتراك مع ثلاثة شبان كانوا قد دخلوا الغرفة مستطرقين – وعندما ظهرت (حنه). نسيت (ميج) قدمها، فنهضت بسرعة كبيرة، إلا انها سرعان ما وجدت نفسها مجبرة على الامساك بـ (جو) وهي تطلق صرخة ألم.

«صه! لاتقولي اي شيء»، همست قائلة. ثم اضافت بصوت عالٍ «انه لاشيء على الاطلاق، فقد التوت قدمي قليلاً لاغير». ثم ظلعت الى الطابق العلوي للتهيؤ.

اخذت (حنه) تزمجر، وبدأت (ميج) تبكي ووجدت (جو) نفسها في حيرة من امرها حتى قررت اخيراً امتلاك زمام المبادرة. وبعد ان انسلت خارجة من الغرفة، هبطت الى الطابق السفلي. وما ان شاهدت احد الخدم حتى طلبت منه القيام بجلب عربة ان كان بامكانه القيام بذلك. وقد شاءت الصدف ان يكون الخادم هذا احد الخدم المؤقتين، الذين تم استئجارهم خصيصاً لاغراض هذه الدعوة، ولذلك لم يكن على معرفة بهذا الحي. وكانت (جو) تنظر ذات اليمين وذات الشمال طلباً للمساعدة عندما تقدم اليها (لوري) – الذي كان قد سمع مادار من حديث – وعرض ان يقوم بتوصيلهن بعربة جده التي كانت قد جاءت لتوها لتعودبه الى البيت.

«لايزال الوقت مبكراً. لايمكنك ان تكون قد نويت العودة الآن؟» قالت (جو) وقد انتابها شعور بالراحة ولكنها ترددت في قبول العرض. «اني دائماً اعود الى البيت في وقت مبكر. اجل، هذا ماأقوم به حقاً.

ثم انكم في طريقي كما تعلمين. ثم ان الطقس ممطر حسبما يقال».

وبذلك تمت تسوية المسألة. وبعد ان اخبرته (جو) بما حدث ل(ميج) فانها قبلت عرضه شاكرة وهرعت الى الاعلى لتأتي برفيقتيها. وكانت (حنه) تكره المطر كما تكرهه اية قطة ولذلك فانها لم تعترض ابداً. وهكذا ذهبت الأناث الثلاث الى وجهتهن المقصودة في تلك العربة المغلقة، الفخمة وهن يشعرن بالاناقة والبهجة. وقد جلس (لوري) بجنب الحوذي لكي تتمكن (ميج) من وضع قدمها الى الاعلى. وتحدثت الفتاتان عن الحفلة بحرية تامة.

«لقد قضيت وقتاً ممتعاً للغاية. فهل تم لك ذلك ايضاً؟« تساءلت (جو) وهي تُشعث شعرها الى الاعلى وتجلس جلسة مريحة.

«اجل، حتى الوقت الذي تسببت فيه باذى نفسي. ومذ وقعت موقعاً حسناً من نفس (آني موفات)، صديقة (سالي)، ولذلك فانها طلبت مني الذهاب الى دارها لقضاء فترة اسبوع عندما تقرر (سالي) الذهاب الى هناك. في الربيع عند ابتداء موسم الاوبرا. وستكون مناسبة في غاية الروعة لو تسمح لي الوالدة بالذهاب»، اجابت (ميج) وهي تشعر بانتعاش لهذه الفكرة.

«شاهدتك بصحبة الشاب ذي الشعر الاحمر الذي هربت انا منه. فهل كان لطيفاً؟»

«اجل، كان لطيفاً للغاية. ثم ان لون شعره هو بني مائل للحمرة وليس احمر. كما أنه في غاية الأدب».

«بدا مثل جندب اصابته نوبة عصبية. فلم نتمالك انا و(لوري) نفسينا

من الضحك. الم تسمعينا؟»

«كلا. ولكن الضحك هذا كان تصرفاً غير لائق منكما. ماذا كنتما تعملان وانتما تختبئان هناك كل تلك الفترة؟»

تكلمت (جو) عن مغامراتها وعندما انتهت من روايتها كانت العربة قد وصلت الى البيت، وبعد ان تقدمن بالشكر الجزيل تمنين لـ (لوري) ليلة سعيدة ودخلن متسللات الى الدار وهن يأملن عدم ازعاج احد. ولكن ما ان دخلتا الدار، وسُمع صرير الباب الرئيس، حتى برزت قلنسوتان – من النوع المعتاد لبسهما عند النوم وجاء بعد ذلك صوتان ناعسان لم يخلوا من لهفة وشوق:

«اخبرانا عن الحفلة! اخبرانا عن الحفلة!»

وكانت (جو) قد حفظت لاختيها الصغيرتين بعض قطع الحلويات التي جلبتها لهما من الحفلة. وعلى حد تعبير (ميج) فأن الفعل هذا قد عكس «نقصاً كبيراً في التصرف اللائق». وماهي الملاحظات حتى هدأت الفتاتان الصغيرتان بعد ان استمعتا الى تفاصيل اكثر احداث الحفلة إثارة.

«لابد لي ان اقول باني قد غدوت مثل شابة مهذبة، رقيقة وانا اعود من الحفلة الى البيت بعربة وقد جلست بفستان السهرة وامامي وصيفة تقوم بالسهر على راحتي»، قالت (ميج) بينما راحت (جو) تدلك قدمها بسائل (الأرنيكا)* وتمشط شعرها.

* – الأرنيكا – ويسمى كذلك (دخان الجبل) او (زهر العطاس) وهو نبات يستخرج من زهره او اوراقه او جذوره دواء للرضوض.

«لااعتقد بان الاوانس او السيدات المهذبات يمتعن انفسهن اكثر منا، او يقضين اوقاتاً اسعد من تلك التي نقضيها نحن، بغض النظر عن شعرنا الذي اصابته الحروق، وفساتيننا القديمة، وارتدائنا فردة قفاز واحدة واحذية ضيقة تلوي كاحلنا وتؤلمه عندما تدفعنا الحماقة الى ارتدائها»، قالت (جو). وهي على ما اظن، محقة فيما قالته.

الفصل الرابع





اعباء

«ياألهي ! ما اصعب الشروع بحمل امتعتنا والسير بها» ، تنهدت (ميج) صباح اليوم الذي تلا الحفلة. فبعد انتهاء العطلة ، وجدت بان الاسبوع الذي قضته بالمتعة والبهجة لم يتركها على استعداد لمواصلة القيام بالمهمة التي لم تكن تهواها ابداً.

«كم اتمنى ان يستمر عيدا الميلاد ورأس السنة الجديدة طول الوقت ، ألا يكون ذلك ممتعاً؟» ، اجابت (جو) وهي تتثاءب بكآبة.

«لن نتمتع بنصف مقدار متعتنا الآن ، ومع ذلك كم هو بديع ان يحضر الانسان دعوات عشاء صغيرة ويحصل على باقات ورد و يتردد على الحفلات و يعود الى بيته بعربة خاصة ويقرأ و يتمتع بالراحة ولا يضطر الى

العمل. ان هذا مايفعله غيرنا من الناس وأنا دائماً احسد الفتيات اللواتي يعشن مثل هذه الحياة فكم اهوى الترف والرفاهية»، قالت (ميج) وهي تحاول اختيار الفستان الاقل رداءة من بين فستانين باليين.

«لايمكننا ان نحيا مثل هذه الحياة ولذلك علينا الكف عن التذمر، وحمل اعبائنا والسير بتثاقل وبطء بمثل بشاشة امنا ومرحها. اني على ثقة بان العمة (مارتش) هي انسانة عصبية المزاج وصعبة الارضاء، ولكنني اظن انني متى ما تعودت العناية بها بلا تذمر فأنها ستتركني وشأني او تخفف من وطأة حملها علي بحيث يمكنني تحملها».

لقد دغدغت هذه الفكرة خيال (جو) ووضعتها في حالة نفسية جيدة ولكنها اخفقت في الحين ذاته في الترويح عن (ميج) ورفع الكآبة عنها : فقد بدا عبئها المتكون من اربعة اطفال مدللين اثقل من ذي قبل، وبذلك فانها لم تعبأ بالتبرج كعادتها من خلال وضع شريط ازرق اللون حول رقبتها وتصفيف شعرها بشكل لائق.

«ما جدوى الظهور بمظهر جميل عندما لايوجد من ينظر إلي سوى ثلاثة اقزام نزقين، وعندما لايهتم احد ان كنت جميلة ام لا؟» تمتمت (ميج) وهي تغلق درجها بحركة مفاجئة. «لقد كتب علي التعب والكدح طيلة ايام حياتي، باستثناء بعض مناسبات المتعة والمرح بين الآونة والاخرى، كما كتب علي العيش هكذا حتى يدركني الكبر والقبح وسوء الخلق لاني فقيرة معدومة، ولا يمكنني التمتع بحياتي كما تفعل بقية الفتيات. ياللخسارة!»

وهكذا نزلت (ميج) الى الطابق الاسفل من البيت وقد اعتلت

وجهها نظرة ألم. ولم تبد طيبة الخلق ولطيفة المعشر اثناء فترة الافطار. كما بدت كل منهن منحرفة المزاج بعض الشيء ميالة الى التذمر.

اما (بيث) التي كانت تعاني من صداع فانها استلقت على اريكة واخذت تحاول مواساة نفسها بالعبث مع القطة وقطيطاتها الثلاث... كانت (إيمي) متضايقة وقلقة لانها لم تحضر دروسها المدرسية كما اخفقت في العثور على ممحاتها. وقد اصرت (جو) على الصفير وهي تتهيأ.

وكانت السيدة (مارتش) قد انشغلت بمحاولة انهاء خطاب كان عليها ارساله على الفور. اما (حنة) فكانت هي الأخرى سيئة المزاج لان السهر في الليل لم يلائم صحتها.

«لم أشهد قط مثل هذه العائلة السيئة الطبع» ، صاحت (جو) وهي تستشيط غضباً عندما قلبت المحبرة، وقطعت قيطان حذائها وجلست على قبعتها سهواً.

«وانت اشرس انسان فيها»، اجابت (إيمي) بعد ان غسلت الدموع التي انهمرت من عينيها وتساقطت على لوح الكتابة فوق المسألة الحسابية التي كتبت عليه والتي كان حل (إيمي) لها خاطئاً.

«(بيث)! إن لم تقومي بوضع هذه القطط اللعينة في السرداب فسوف ادبر امر اغراقها»، صاحت (ميج) بغضب عندما كانت تحاول التخلص من احدى الهريرات التي كانت قد تسلقت فوق ظهرها والتي ثبتت مثل ثمرة شائكة بعيدة عن متناول يدها.

ضحكت (جو)، وزجرت (ميج)، واستعطفت (بيث) وانتحبت (إيمي) لانها لم تتمكن من استذكار حاصل ضرب العددين تسعة واثني

عشر.

«لابد من التزامكن الهدوء والسكينة، يافتياتي! لابد لي من الانتهاء من كتابة هذا الخطاب وارساله بالبريد المبكر. انكن تشتتن انتباهي بهمومكن هذه»، صاحت السيدة (مارتش) وهي تشطب الجملة الثالثة التي أُلحق بها التلف.

ثم تلا ذلك لحظة صمت سرعان ماتمزق بظهور (حنة) التي دخلت، وهي تمشي بخطوات واسعة وبطيئة، لتضع فطيرتين ساخنتين على المائدة ثم تخرج بنفس الخطى مرة اخرى. وكانت هاتان الفطيرتان تشكلان جزءاً من طعام الاسرة التقليدي، وقد اعتادت الفتيات تسمية هذا النوع من الفطائر بـ (الموفة) – التي لم تكن اي منهن تملكها – إذ انهن وجدن فيها مصدر راحة لايديهن في اوقات الصباح الباردة. ولم تغفل (حنة) عن صنع هذه الفطائر، مهما بلغ مزاجها سوءاً، اذ كان طريق الفتيات الذي توجب عليهن قطعه طويلاً واجرد، كما كانت هذه الفطائر وجبة الغذاء الوحيدة لهن، إذ قلما استطعن العودة الى البيت قبل الثانية بعد الظهر.

«عانقي قططك واشفي صداعك يا(بيثي). الى اللقاء يا(مامي). اننا مجموعة شريرات هذا الصباح ولكننا سنكون ملائكة كما هو عهدك بنا عندما نعود الى البيت. هيابنا اذاً يا(ميج)» قالت (جو) ومشت بتثاقل وهي تشعر بان الحاجّات لم يكن مستعدات للابتداء برحلتهن كما ينبغي.

كانتا دائماً تنظران الى الخلف قبل الاستدارة عند ركن الشارع وذلك لان امها كانت تقف دائماً خلف الشباك لتومىء لها، وتبتسم، وترفع يدها ملوحة. وقد بدا في بعض الاحيان بانهما لم تكونا قادرتين على قضاء

يومها بدون ممارسة هذا الطقس – فبغض النظر عما قد تكونان فيه من مزاج فان اللمحة الاخيرة من ذلك الوجه الامومي كانت كفيلة بالتأثير فيهما مثل تأثير ضوء الشمس.

«لو ان (مامي) قد هزت قبضتها لنا بدلاً من تلويح يديها مودعة لاستحقينا ذلك اذ لايوجد بين الفتيات الخبيثات من هما اكثر جحوداً منا»، صاحت (جو) وهي تشعر بارتياح يتسم بالندم وهي تسير وسط الثلج وفي الريح الشديدة البرد.

«لاتعمدي الى استخدام هذه التعابير الفظيعة»، قالت (ميج) من وراء الخمار الذي تسترت به مثل راهبة قد سئمت الدنيا.

«اني اهوى التعبيرات الجيدة، القوية التي لها مغزى»، اجابت (جو) وهي تمسك بقبعتها التي كادت تقلع من فوق رأسها تمهيداً للطيران بعيداً.

«يمكنك ان تنعتي نفسك بما شئت من نعوت. ولكنني لست بفتاة شريرة ولاخبيثة، كما لاارغب ان انعت بمثل هذه النعوت».

«انك انسان شقية حقاً، كما انك مشاكسة للغاية في هذا اليوم، اذ لايمكنك البقاء في احضان الترف طول الوقت. ياللك من مسكينة! ماعليك سوى الانتظار لحين قيامي بتكوين ثروتي وسوف تتمتعين بكل العربات والمثلجات والاحذية ذات الكعب العالي وباقات الزهور وتتحدثين مع شبان حمر الشعور».

«انك انسان مثيرة للسخرية الى حد كبير يا(جو)»، قالت (ميج)، ولكنها ضحكت لهذا الهراء وشعرت بمزاج افضل على الرغم من نفسها.

«انت سعيدة الحظ بوجودي. فلو عمدت انا الاخرى الى التظاهر بالغضب، وحاولت ان اكون كئيبة، لوصلنا الى حال قد لانحسد عليها. الحمد لله : لاني أتمكن دائماً من ايجاد ما يضحكني ويبقيني في حالة نفسية جيدة. فكفاك تذمراً وعودي الى البيت وانت مرحة كأية فتاة لطيفة».

ثم ربتت (جو) على ظهر اختها تشجيعاً لها عندما وصلتا الى النقطة التي تفترقان عندها اثناء النهار. وهكذا سلكت كل منهما طريقاً مختلفاً وهي تحتضن فطيرتها الصغيرة الدافئة وتحاول ان تبدو فرحة ومبتهجة بالرغم من الطقس الشتائي البارد، والعمل المضني والرغبات المكبوتة لشابة تهوى المتعة.

وعندما فقد السيد (مارتش) املاكه من خلال محاولة مساعدة صديق خذله الحظ، التمست الفتاتان الاكبر سناً بالسماح لهما بالعمل من اجل كسب قوتهما على الاقل. وقد وافق الوالدان ايماناً منهما بان التوجيه الى تطوير طاقة مثابرة واستقلالية فلذات الاكباد لابد ان يتم في سن مبكرة جداً. وسرعان ماهرعت الفتاتان الى العمل بنية حسنة نابعة من الاعماق وهو امر لابد ان يتكلل بالنجاح اخيراً بالرغم مما يصادفه من عقبات. وهكذا استطاعت (مارجريت) ان تجد لنفسها عملاً بصفة مربية اطفال، وقد شعرت بالغنى من خلال راتبها الشهري المتواضع. وعلى حد تعبيرها فانها كانت «تهوى الرفاهية» ولذا كان الفقر اهم مشكلة لديها. فقد وجدت بان تحمل الفقر والفاقة اشد صعوبة عليها قياساً ببقية اخواتها اذ انها كانت لاتزال تستطيع ان تذكر الاوقات التي كان فيها

بيت العائلة جميلاً والحياة مليئة باسباب الرفاه والمتعة،

اما الحاجة فكانت امراً مجهولاً تماماً. وقد حاولت ان لاتكون انساناً حسوداً ومستاءة إلا ان رغبة هذه الفتاة الشابة في الحصول على الاشياء الجميلة والصحبة المرحة والرفاهية والحياة السعيدة لم يكن امراً غير طبيعي. وفي منزل عائلة (كنج) كانت تجد امامها يومياً كل ماتريده وتتمناه : فقد دأبت الاخوات الاكبر سناً من الاطفال المكلفة برعايتهم على الخروج من الدار وبذلك كانت (ميج) في كثير من الاحيان تلقي نظرات خاطفة على الفساتين الجميلة الخاصة بالحفلات وعلى باقات الورد كما كانت تستمع الى الكثير من الكلام والدردشة عن المسارح والحفلات : الموسيقية والرحلات الجماعية بواسطة مركبات الجليد* وعن انواع التسلية والمرح الاخرى. وكانت الى جانب ذلك كله، تشهد اغداق الاموال على اشياء تافهة جداً كانت بالنسبة لها نفيسة وذات اهمية بالغة. ولكن (ميج) المسكينة قلما تذمرت، ومع ذلك فان الاحساس بالحيف كان يدفعها احياناً الى الشعور بالمرارة تجاه الجميع لانها لم تكن قد ادركت حتى ذلك الحين مدى غناها بما امتلكته من نعم وبركات من شأنها فقط ان تحقق السعادة في الحياة.

وقد قُدر ل(جو) ان تلائم متطلبات العمة (مارتش) التي كانت امرأة عرجاء تحتاج الى من يتمتع بنشاط وحيوية لرعايتها والسهر على راحتها.

وكانت هذه السيدة العجوز البتراء قد ابدت استعدادها لتبني احدى

* – مركبة الجليد – عربة لنقل الاشخاص تسير على زحافات تسحبها الخيول وهي من وسائط النقل التي كان استخدامها شائعاً في المناطق التي يكثر فيها سقوط الثلوج. – المترجم –

البنات عندما حلت المصيبة بالعائلة، وقد شعرت بالكدر والاستياء عندما رفضت العائلة الاستجابة الى طلبها. وقد قام بعض الاصدقاء باخبار السيد (مارتش) وزوجته بانهما قد فقدا كل امل في ان يكونا من بين من سينتفع من وصية السيدة العجوز الغنية، إلا ان هذين الزوجين، الزاهدين في الدنيا وما فيها من امور مادية اجابا قائلين :

«لا يمكننا التخلي عن بناتنا حتى لو اعطونا كل ثروات الدنيا. سوف نبقى سوياً في السراء والضراء وفي الفقر والغنى وسنحقق حصولنا على السعادة ببقاء بعضنا مع البعض الآخر».

وقد رفضت السيدة العجوز، لفترة من الزمن ان تكون لها اية علاقة بعائلة اخيها، إلا ان الظروف شاءت ان تهيىء لها الالتقاء بـ (جو)، عند صديقة مشتركة، لتجد في وجه الفتاة المثير للضحك، وفي تصرفاتها الطبيعية التي لم تخل من فظاظة، ثمة امر استحوذ على اعجابها، وبذلك اعلنت عن استعدادها لقبول ابنة اخيها مرافقة لها. وبالرغم من ان الامر هذا لم يلائم (جو)إلا انها وجدت نفسها مجبرة على القبول به لانها لم تحصل على فرصة افضل. ولكم دهش الجميع عندما انسجمت (جو) مع قريبتها السريعة الغضب. ولم تخل حياة هاتين الآنستين من عاصفة بين الاونة والاخرى – وفي مناسبة ما عادت (جو) الى البيت بخطوات ثابتة لتعلن للجميع بانها لم تعد قادرة على تحمل الوضع. إلا ان العمة (مارتش) كانت تسارع دائماً الى ازالة سوء التفاهم وترسل في طلب ابنة اخيها بالحاح بحيث تعجز الاخيرة. هذه عن الرفض لانها في اعماقها كانت تميل الى تلك الشيخة الحادة المزاج.

وكان مايعجب (جو) – على ما اتوقع – هو المكتبة الكبيرة التي ضمت كتباً فاخرة والتي كانت قد اصبحت مرتعاً للغبار والعناكب منذ وفاة العم (مارتش) وكانت (جو) تذكر ذلك الشيخ العطوف الذي اعتاد ان يسمح لها ببناء السكك الحديد والجسور بما لديه من معاجم كبيرة، وان يروي لها حكايات عن الصور الغريبة التي احتوتها كتبه المكتوبة باللغة اللاتينية وان يشتري لها كعك الزنجبيل كلما التقى بها في الشارع. وهكذا فان الغرفة المعتمة المغبرة، والتماثيل التي تحملق الى الاسفل وهي جاثمة فوق سطوح خزانات الكتب العالية، والمقاعد الوثيرة، والكرات الارضية وتيه الكتب – وهي افضل ما احتوته الغرفة – التي كان باستطاعة (جو) ان تجول بها الى حيث ارادت – كل ذلك قد جعل من غرفة المكتبة منطقة سعادة ونشوة وبهجة لهذه الشابة، وما ان تأوي العمة (مارتش) الى فراشها للتمتع بالقيلولة، او تنشغل مع من يأتي الى زيارتها، حتى تهرع (جو) الى هذا الملاذ الهادىء حيث كانت تتكور فوق احد المقاعد الوثيرة لتلتهم الشعر، والقصص الرومانسية، والاحداث التأريخية وسير الأسفار والصور، شأنها بذلك شأن أية دودة كتب مولعة بالقراءة بانتظام. ولكن السعادة هذه، مثل كل السعادات، لم تستمر لفترة طويلة : فما ان تصل (جو) الى قلب القصة، او الى اجمل بيت في الأغنية، او الى اخطر مغامرة يقوم بها البطل المسافر، حتى يرتفع صوت حاد منادياً : «جوزي – فين! جوزي – فين!»، فتجد (جو) نفسها مجبرة على ترك جنتها لتنصرف الى لف خيط مغزول او غسل الكلب ذي الشعر الكثيف الاجعد او قراءة مقالات (بيلشام) لساعات طويلة.

وكان طموح (جو) ينصرف الى قيامها بشيء رائع جداً، ولكنها لم تكن تعرف ماهية هذا الشيء بل تركت امر تحديده للمستقبل. وفي الوقت ذاته فانها وجدت بان مصيبتها الاعظم قد انطلقت من حقيقة عدم تمكنها من المطالعة والركض وركوب الخيل بالقدر الذي كانت تريده. وكان مزاجها الحاد، ولسانها اللاذع وعدم استقرارها يدفعون بها الى المآزق، وبذلك كانت حياتها سلسلة من التقلبات المضحكة. و المحزنة. إلا ان التدريب الذي حصلت عليه من خلال العمل في بيت عمتها كان في الواقع ضرورياً بالنسبة لها. وبالرغم من عبارة (جوزي - فين) الخالدة، فان فكرة تمكنها من اعالة نفسها قد اسعدتها الى حد كبير جداً.

وكانت (بيث) هيابة وحيية الى درجة حالت دون تمكنها من الذهاب الى المدرسة ومع ان تجربة ارسالها الى المدرسة قد تمت في الواقع، الا ان معاناتها قد ادت الى صرف النظر عن الموضوع، وقد قامت بتعلم دروسها تحت اشراف والدها في البيت. وقد استمرت، وهي تبذل قصارى جهدها، في مواصلة دراستها بكل امانة واخلاص حتى عندما ذهب ابوها الى الحرب، ودعيت امها الى تكريس طاقتها ومهارتها لخدمة جمعيات مساعدة الجنود. وكانت هذه المخلوقة الصغيرة الوديعة (ربة بيت) بكل معاني الكلمة، وقد ساعدت (حنة) في ادامة بيت مريح ومرتب للعاملات من غير ان تفكر بالحصول على اي جزاء او شكر باستثناء كسب محبة الجميع. وقد قضت اياماً طويلة، هادئة ولكنها لم تكن خلال ذلك وحيدة او عاطلة فقد اكتظ عالمها الصغير باصدقاء

وهمين،كما كانت طبيعتها تحب الانهماك في العمل. فكان عليها رعاية ست دميات وتغير ملابسهن كل صباح : لقد كانت (بيث) لاتزال طفلة تكنُ لقططها الاليفة ودمياتها المدللات محبة دائمة، ولم تكن اي من تلك الدمى سالمة من الاذى او النقص – فقد كن جميعاً منبوذات حتى الوقت الذي قامت (بيث) بايوائهن. لقد آلت ملكية هذه الدمى الى (بيث) بعد ان سئمت منها اخواتها، لان (أيمي) كانت ترفض ان يكون لديها اي شيء قديم او قبيح. ولهذا السبب بالذات، اولت (بيث) هذه الدمى رعاية واعتزازاً اكثر رقة وحناناً، وانشأت مستشفى لمعالجة الواهنات منهن. ولم تعرف الابر والدبابيس ابداً طريقها الى اجساد هذه الدمى القطنية، ولم توجه لهن الصفعات، او العبارات الخشنة، ابداً، كما لم يحزن الاهمال قلب من كانت الاكثر اثارة للاشمئزاز بينهن. وهكذا تمتعت جميعهن بالمأكل والملبس والرعاية والمداعبة بحنان مستمر.

وكان لدى (جو) دمية بائسة تركت حطاماً في كيس الخرق البالية بعد ان عاشت حياة عاصفة. وقد انقذتها (بيث) من هذا الملجأ الكئيب لتضمها الى مأواها. ولأن رأس الدمية هذه كان عارياً تماماً، فقد ألبستها (بيث) طاقية صغيرة وانيقة. ولما كانت قد فقدت اطرافها العليا والسفلى فقد عمدت منقذتها الى اخفاء هذه النواقص بغطاء لفتها به، ثم اختارت احسن فراش لديها لتهبه لهذه الدمية المقعدة التي كانت تعاني من مرض عضال. ولو ادرك اي انسان مقدار ما اولته (بيث) من رعاية لهذه الدمية لاثر ذلك في نفسه، على ما اظن، تأثيراً بالغاً حتى اثناء ضحكه من الامر هذا : فقد كانت (بيث) تجلب لهذه الدمية اجزاء من باقات الورد،

وتقرأ لها من بطون الكتب، وتخرج بها الى الفضاء لتشم الهواء النقي، وهي تخفيها تحت معطفها، كما كانت تهدهد لها قبل النوم. ولم تذهب (بيث) الى فراشها من غير ان تعمد الى تقبيل وجه دميتها القذر وهي تهمس في اذنها برقة : «آمل ان تصبحي على خير ياعزيزتي المسكينة».

وكان ل(بيث) نصيبها من المشاكل شأنها في ذلك شأن اخواتها. ولانها لم تكن ملاكاً، بل فتاة صغيرة، انساناً، كانت في اغلب الاحيان - وعلى حد تعبير (جو) - «تبكي بكية صغيرة» لانها لم تتمكن من الحصول على دروس في الموسيقى وهي تمتلك آلة بيان جيدة. وكانت تحب الموسيقى كثيراً، وتحاول التعلم بكل ما اوتيت من امكانية وطاقة، وتمارس العزف على آلتها القديمة الرنانة بصبر، بحيث بدا ان هناك من كان عليه القيام بمساعدتها (دون التلميح الى شخص العمة مارتش). إلا ان احداً لم يتقدم لمساعدتها، كما لم يشهد احد (بيث) وهي تمسح دموعها من على مفاتيح البيان الصفراء - تلك المفاتيح التي طالما رفضت ان تمن على (بيث) بدرجة النغم الصحيحة - عندما كانت تجلس للعزف بمفردها وكانت تغني مثل قبّرة صغيرة، وهي تقوم باعمالها المنزلية، ولم تسأم من العزف ل(مامي) والبنات، وكانت يوماً بعد يوم، تقول لنفسها بتفاؤل : «ادرك باني ساتمكن من العزف بصورة جيدة في يوم ما ان كنت فتاة صالحة».

هناك العديد من الفتيات من امثال (بيث) في هذه الدنيا - فتيات يتميزن بالهدوء والخجل، ويقبعن في زواياهن حتى تدعو الحاجة الى ظهورهن، ويعشن من اجل اسعاد الآخرين بلطف وبشاشة بحيث لا

*يدرك احد مقدار ما يقدمنه من تضحيات حتى تنطفئ جذوتهن ، ويتلاشى وجودهن المشرق ، اللطيف ليتركن الظل والصمت وراءهن .

ولو كان قد قدر لاحد الطلب من (إيمي) تحديد اكبر محنة لديها لاجابته على الفور قائلة : «أنفي» . وقد حدث اثناء فترة طفولتها ان قامت (جو) قضاءً وقدراً ، باسقاطها في دلوٍ للفحم . وهو ما جعل (ايمي) تصر لاحقاً على ان سقوطها على هذا الحد قد اتلف انفها الى الابد . ولم يكن الانف هذا في الواقع كبيراً او احمر كانف (بيترا) المسكينة بل كان مسطحاً الى حد ما فقط . وقد اخفقت كافة محاولات قرصه والكبس عليه ، لاعطائه حداً ارستقراطياً . وباستثناء (ميج) شخصياً لم يلتفت احد لهذا الانف الذي حاول جهده النموْ . ولكن (إيمي) شعرت بضرورة امتلاكها انفاً اغريقياً ، وقد دأبت على مسك الكثير من الاوراق برسوم لانوف اغريقية لتواسي نفسها فقط .

وكان لـ (روفائيل الصغير) – وهو الاسم الذي دأبت الاخوات اطلاقه على (ميج) – موهبة للرسم لا شك فيها ، وكانت تشعر بغبطة عظيمة وهي تقوم برسم الورود ، او تصميم اشكال للحوريات ، او برسم صور توضيحية لمختلف القصص من خلال خلق اشكال فنية غريبة . وكان القائمون على تدريسها وتهذيبها في المدرسة يتذمرون من قيامها بملئ لوحتها المدرسية برسوم تمثل مختلف اشكال الحيوانات بدلاً من التركيز على حل المسائل الحسابية ، كما استخدمت الصفحات الفارغة في اطلس الخرائط الخاص بها لاستنساخ الخرائط .

ولطالما ظهرت اغرب انواع الصور الكاريكاتورية على صفحات

كتبها ودفاترها المدرسية في لحظات غير مواتية . وقد قامت بالنهوض باعباء دروسها قدر المستطاع ، كما تمكنت من تفادي العقوبات بدأبها على ان تكون مثالا للتصرف اللائق . وكانت في الواقع مفضلة من قبل زميلاتها لوداعتها ولما لديها من ملكة سعيدة في ارضاء الجميع من دون اي جهد . كما تمتاز مظهرها واسلوبها في التصرف من جانب ، وحسن معشرها وكياستها من جانب اخر ، اضافة الى ما لديها من مواهب ، اعجاب الجميع الى حد بعيد جداً . فالى جانب موهبتها في الرسم ، كان بامكانها عزف اثني عشر لحناً موسيقياً ، والحبك (بابرة معقوفة) والقراءة باللغة الفرنسية بدون ان تخطئ بلفظ اكثر من ثلثي ما تقرأه من عبارات . اما نبرة صوتها التي كانت تشوبها مسحة حزن وكآبة كلما قالت : «عندما كان بابا ثريا : كنا نعمل كذا وكذا» فكانت مؤثرة للغاية . وكانت العبارات الطويلة التي طالما لجأت الى استخدامها «قمة في اللباقة» على حد تعبير زميلاتها .

كانت (ايمي) في الواقع قد قطعت شوطاً بعيداً في مضمار الفتيات اللواتي افسدهن الدلال – فقد عمد الجميع الى ملاطفتها وتدليلها ، وسرعان ما بدأ زهوها وانانيتها بالنمو بسرعة . ومع ذلك فقد كان هناك ما من شأنه اخماد نار زهوها وكبريائها : فقد اضطرت الى لبس ملابس ابنة عمها ، (فلورنس) ، التي خلت نبرة صوتها وهي تقول (ماما) من كل ذرة للذوق . وقد عانت (ايمي) بشدة لاضطرارها الى لبس قبعة حمراء بدلاً من قبعة زرقاء والى لبس فساتين غير لائقة ومآزر لم تلائم مقاسها . وبالرغم من ان الملابس هذه كانت جيدة القماش والتفصيل ،

ولم تستعمل كثيراً ، الا انها لم تحظَ برضى (ايمي) التي وجدت بان عينيها قد ابتليتا ، لا سيما هذا الشتاء بالذات ، بلون فستانها المدرسي الارجواني القاتم – ذلك الفستان ذي النقط الصفراء ، الخالي من الزركشة .

وقد قالت لـ (ميج) والدموع في عينيها : «ان عزائي الوحيد هو عدم لجوء الوالدة الى ثني فساتيني كلما اسأت التصرف كما تفعل ام صديقتي (ماريا باركس) . انه لامر فظيع حقاً يا عزيزتي ، فاحياناً تقوم (ماريا) باساءة التصرف الى درجة تجد معها ان فستانها قد انحسر الى الركبتين الامر الذي يحول دون مجيئها الى المدرسة . وعندما افكر بهذه الاهانة اشعر باني استطيع تحمل حتى انفي المنبسط ، والفستان الارجواني ذي الاسهم النارية الصفراء»

وكانت (ميج) موضع ثقة (ايمي) ومرشدتها ، ومن خلال انجذاب الشخصيات التي على طرفي نقيض بعضها الى البعض الآخر فقد كانت (جو) هي الاخرى موضع ثقة (بيث) الوديعة ومرشدتها . وكانت هذه الطفلة الحبيبة تلتفت الى (جو) لتخبرها تفاصيل ما كانت تراودها من افكار . وقد مارست (بيث) بدورها ، وعلى نحو غير ارادي تأثيراً على اختها الطائشة المشهورة يفوق تأثير اي شخص آخر في العائلة . وكان لكل من الفتاتين الكبيرتين اهمية بالغة عند الاخرى ومع ذلك فقد احتضنت كل منهما احدى اختيهما الصغيرتين وخصتها برعايتها بطريقتها الخاصة . وقد سميت هذه الممارسة بـ «تمثيل دور الام» وبذلك وضعت كل منهما الاخت التي اختارت لتتولى رعايتها – بدلاً من الدمى التي

اهملتها – بالغريزة الامومية للنساء الصغيرات

«هل لدى اي منكن اي خبر؟ لقد قضيت يوماً كئيباً للغاية و بذلك فاني اتوق الى شيئ من التسلية» ، قالت (ميج) عندما جلست الاخوات تلك الامسية وانهمكن بالخياطة .

«لقد قضيت وقتاً غريباً مع العمة هذا اليوم . وبما اني كنت سيدة الموقف فسوف اروي لكن التفاصيل» ، بدأت (جو) قائلة ، وهي التي طالما احبت سرد الروايات . «كنت اواصل قراءة مقالات (بيلشام) التي لا تنتهي ، وانا الفظ التعابير بنبرات رتيبة كعهدي دائماً ، واذا بالعمة تغط بسبات عميق مما دفعني الى اختيار كتاب شيق والانهماك في مطالعته حتى استفاقت . وقد عمدت الى التظاهر بالنوم . وقبل ان تبدأ بالايماءة بالرأس فغرت فمي متثائبة بشكل دفعها الى سؤالي عن سبب قيامي بفغر فمي الى الحد الذي يمكنني من ابتلاع الكتاب ! »

«ليتني تمكنت من ذلك وانتهيت من الموضوع» ، هكذا اجبتها وانا احاول ان لا ابدو قليلة الحياء.

«ثم قامت بالقاء محاضرة طويلة حول ذنوبي وامرتني بمحاولة التمعن في امرها اثناء غيابها عني لفترة ما» . ولكنها لم تعد من غيبتها بعد فترة قصيرة . وما ان لاحظت بداية ميلان قلنسوتها كزهرة الدهلية ذات الجزء العلوي الثقيل حتى اسرعت الى اخراج رواية «قس وايكفيلد» من جيبي لاواصل قراءتها . وكنت اقرأ بعين واراقب عمتي بالعين الاخرى . وما ان وصلت الى الموضع الذي فيه يقع الجميع في الماء حتى نسيت نفسي واطلقت ضحكة مدوية . سرعان ما استفاقت عمتي على اثرها .



ولانها تكون اعتيادياً اكثر وداعة واكثر دماثة بعد غفوتها ، فانها طلبت مني مواصلة القراءة ليتبين لي نوع العمل التافه الذي اميل الى تفضيله على عمل (بيلشام) الهادف ، القيم . وقد بذلت اقصى جهدي في القراءة على نحو جيد بحيث حازت الرواية على اعجابها على الرغم من انها اكتفت بمجرد قولها . «لا أفهم فحوى هذه الرواية . عودي الى بدايتها» .

وهكذا عدت ثانية لاواصل القراءة ، وقد عمدت الى اظهار عائلة (برمروز) بشكل يثير الاهتمام جداً . وفي مناسبة بلغ بي الخبث الى حد دفعني الى التوقف في مجال مثير للغاية لاقول لها : اخشى من ان تبعث فيك السأم ، ياسيدتي . اليس من الافضل لي ان اتوقف؟»

امسكت بشغل الحياكة ، الذي كان قد سقط من يدها ، وحدجتني بنظرة حادة من خلال نظارتها وقالت بطريقتها المغتضبة : «اكملي الفصل ايتها الآنسة ولا تكوني وقحة!»

«هل اعترفت بانها قد أحبت الموضوع؟» تساءلت (ميج) .

«آه ليبارك الله ، كلا! ولكنها أنعمت على صاحبها (بيليشام) بشيئ من الراحة . وعندما اسرعت عائدة اليها عصر اليوم لأستعيد قفازي . وجدتها منهمكة في قراءة رواية «القس» هذه الى حد لم تتمكن من خلاله ان تسمع ضحكي ونا امارس رقصة (الجك) في ردهة البيت احتفالاً بالايام السعيدة القادمة . فما اسعد الحياة التي يمكن لهذه العمة ان تعيشها لو انها فقط شاءت ذلك . فبالرغم من كل ثروتها فانا لا انظر اليها بعين الحسد : ان هموم الحياة التي يعاني منها الاغنياء لا تقل ، على كل حال ، عما يعانيه الفقراء ، على ما اظن» ، اضافت (جو) قائلة .

«يذكرني هذا الكلام بما اريد اخباركن به» ، قالت (ميج) . «انه ليس امراً مضحكاً كالقصة التي روتها لنا (جو) ، ولكنني فكرت به كثيراً اثناء عودتي الى البيت . فعندما ذهبت الى منزل العائلة (كنج) صباح اليوم وجدت الجميع مضطربين ، وقد اخبرتني احدى الصغيرات بان الأخ الاكبر قد ارتكب ذنباً مشيناً للغاية وبان الاب قد طرده من البيت نتيجة ذلك . وقد سمعت السيدة (كنج) تبكي والسيد (كنج) يتكلم بصوت عالٍ . وقد اشاحت (جريس) و (أيلين) بوجهيهما عني عند مرورهما لكي لا اتبين شدة احمرار عينيهما . وبطبيعة الحال فاني احجمت عن التساؤل ، ولكني تأسفت لهذه الحال وحمدت الله لانه لم يرزقنا باخوة طائشين يمكنهم القيام باعمال شريرة من شأنها الأساءة الى سمعة العائلة» .

«ان ما يحصل عليه الانسان من اهانة هو اشد بلاءً ، على ما اظن ، من اي من اعمال السوء التي قد يرتكبها الاولاد» قالت (ايمي) وهي تهز برأسها وكأن تجربتها في الحياة كانت عميقة للغاية . لقد جاءت (سوزي بيركنز) الى المدرسة اليوم وقد وضعت في اصابعها خاتماً جميلاً من العقيق الاحمر . لقد تمنيته حقاً . لا بل تمنيت ان اكون انا (سوزي) بكل جوارحي . ثم انها قامت برسم صورة للاستاذ (وايفز) بانف فظيع الشكل وحدبة ، ثم كتبت التعليق الآتي : «ايتها الاوانس المهذبات : ان عيني ترعاكن !» وقد وضعت التعليق هذا وسط شكل يشبه المنطاد الذي صورته وهو ينطلق من فم الاستاذ هذا . وكنا جميعاً نضحك من هذا الامر عندما وقعت عينا الاستاذ علينا فجأة وامر (سوزي) بجلب

لوحتها له . لقد شعرت بشلل ينتاب كل جسمها من شدة الخوف ، ولكنها دهبت اليه . اتعلمين ما فعله؟ لقد امسك بها من اذنها – اجل اذنها! فبامكانكن تصور فظاعة ان تجد الفتاة نفسها في مثل هذا المأزق! وهكذا فانه سحبها من اذنها وامرها بالوقوف فوق المنصة لفترة نصف ساعة وهي تحمل اللوحة بيديها لكي يتمكن الجميع من مشاهدتها .

«هل اضحك الرسم هذا الفتيات» . تساءلت (جو) التي استساغت هذا المأزق .

«ضحكن! كلا! لم تضحك اية واحدة منهن ، بل جلسن بدون حركة كالفئران . اما (سوزي) فقد بكت كثيراً . اجل اني اعلم مقدار ما ذرفته من دموع . ولم انظر اليها بعين الحسد في تلك اللحظة – فقد شعرت بان ملايين الخواتم ، وما بها من عقيق احمر ، تعجز عن تحقيق السعادة لي بعد تلقي مثل هذه الاهانة ، لا بل لا يمكنني بالمرة التغلب على ما اعاني منه نتيجة تعرضي لمثل هذه الاهانة المؤلمة» . قالت (ايمي) ذلك وراحت تواصل عملها وهي فخورة بادراكها للفضيلة وبتمكنها من التفوه بعبارتين طويلتين بلا توقف .

«شاهدت شيئاً استحوذ على اعجابي ، صباح اليوم . وقد عزمت على اخباركن بامره اثناء تناول وجبة العشاء ، ولكني نسيت» ، قالت (بيث) وهي تعيد ترتيب محتويات سلة (جو) التي تناثرت رأساً على عقب .

«عندما ذهبت لابتياع كمية من المحار لـ (حنة) وجدت بان السيد (لورنس) كان هو الاخر في محل بيع الاسماك ، ولكنه لم يتمكن من

رؤيتي لاني تعمدت الوقوف خلف برميل كما انشغل هو بالحديث مع صاحب المحل ، السيد (كتر) . واثناء ذلك دخلت امرأة فقيرة الحال تحمل دلواً وممسحة وطلبت من السيد (كتر) السماح لها بمسح الارض وتنظيفها لقاء حصولها على شيئ من السمك لتطعمه لاطفالها لانها لم تتمكن من الحصول على عمل هذا اليوم وليس لديها ما تطعمه لاطفالها . وكان السيد (كتر) على عجل من امره فاجابها بالرفض بطريقة لم تخل من غضب .

وكانت في طريقها الى الخروج من المحل ، وقد بدت آسفة وجائعة ، عندما قام السيد (لورنس) بتعليق سمكة كبيرة في النهاية المعقوفة لعصاه وقدمها لها .

وبمزيج من الفرح والتعجب تلقت الامرأة السمكة في احضانها وهي تكرر شكرها له بينما وقف هو يقول لها : اذهبي واطهيها . فذهبت مسرعة تكاد تطير فرحاً . الاتعتقدن بانه قام بعمل خيرٍ؟ ثم ان منظرها كان مضحكاً للغاية وهي تضع السمكة الكبيرة ، بين ذراعيها وتدعو من الله ان يوفق هذا المحسن العطوف .

وما ان توقفت الفتيات عن الضحك بعد انتهاء قصة (بيث) حتى التفتن الى الام يطلبن منها ان تروي لهن قصة . وبعد ان تروت قليلاً ، قالت بجد ورصانة :

«كنت منهمكة في قص قطعة من قماش صوف الفانيلة الازرق لخياطة عدد من الستر ، وأنا اجلس في الغرفة المخصصة لهذه الاعمال ، عندما داهمني شعور بالقلق ازاء أبيكن ، وفكرت في نفسي : ترى كم سنكون

وحيدات ، لاحول لنا ولا قوة ، اذا ما تعرض ابوكن لمكروه؟ وبالرغم من اعتقادي بان الاستسلام لمثل هذه الهواجس يخرج عن دائرة العقل والحكمة ، فاني لم اتوقف عن القلق حتى دخل رجل عجوز يحمل طلباً لبعض الملابس .

وقد جلس هذا الرجل ، الذي بدا بائساً ومتعباً وقلقاً قربي وبدأ يكلمني .

«هل لديك اولاد في الجيش؟» سألته – فالمذكرة التي جاء بها لم تكن موجهة لي – «اجل يا سيدتي. كان لدي اربعة اولاد ، استشهد اثنان منهم ووقع الثالث في الاسر وانا الان في طريقي لزيارة الرابع الذي يرقد مريضاً في احدى مستشفيات واشنطن» ، اجاب بهدوء .

«لقد قدمت الكثير لوطنك ياسيدتي» ، قلت له بعد ان تبدل شعوري نحوه من العطف الى الاحترام .

«لم اعط شعرة واحدة اكثر مما يفرضه علي الواجب . واني لعلى استعداد للتضحية بنفسي لو ادرك باني اتمكن من تقديم اية خدمة نافعة . وبما انني عجوز فاني اهب اولادي ، واهبهم دون مقابل ، فداءً للوطن» .

«لقد تكلم باسلوب مرح للغاية ، وبدا صادقاً فيما قاله وفرحاً للغاية باعطاء كل ما لديه للوطن ، بحيث شعرت بالخجل من نفسي : لقد اعطيت رجلاً واحداً وظننت ان في ذلك الكثير في حين أنه اعطى أربعة من أبنائه دون ضير . كما أنعم في البيت بوجود بناتي الاربع اللواتي يؤمن لي الراحة في حين كان ابنه الاخير ينتظر اباه ، على بعد أميال واميال ،

ربما لمجرد ان يودعه بعبارة مع السلامة! لقد شعرت باني غنية للغاية ، وسعيدة للغاية ، وأنا افكر بما لدي من نعم بحيث اعطيته صرة كبيرة وبعض النقود وشكرته على ما اعطاني من عظة»

«إحك لنا قصة اخرى ، يا اماه — قصة ذات مغزى كهذه . اني احب استعادة تفاصيل مثل هذه القصص في وقت لاحق ، لاسيما اذا كانت قصصاً حقيقية تخلو من المبالغة في الوعظ والنصح» ، قالت (جو) بعد فترة صمت قصيرة .

ابتسمت السيدة (مارتش) وبدأت على الفور . فهي قد اعتادت ، لسنين عديدة ، رواية القصص على هذه المجموعة الصغيرة من المستمعات، وعرفت جيداً كيف ترضيهن.

«في سالف العصر والاوان عاشت اربع فتيات ممن توفر لهن ما يكفي من المأكل والمشرب والملبس، وتمتعن بالملذات والمسرات وحظين بصديقات كريمات وبابوين احباهن كثيرا.

ومع ذلك لم تكن هؤلاء الفتيات راضيات. (وهنا اخذت المستمعات يسترقن النظر بعضهن الى البعض الاخر ليبدأن بعد ذلك الخياطة بدأب ومثابرة). ولقد حرصن على ان يكنّ فتيات صالحات ،واتخذن عدداً من القرارات الصائبة لهذا الغرض، ولكنهن كنّ يخفقن في الالتزام بقراراتهن ويقلن دائما: لو كان لنا مجرد ذلك الشيئ او لو اننا فقط تمكنا من عمل ذلك، متناسيات مقدار ما كان لديهن، ومقدار ما كان يمكنهن فعلا القيام به. وذات يوم سألن امرأة كبيرة السن عن نوع السحر الذي يمكنهن استعماله لتتحقق لهن السعادة ، فأجابتهن قائلة :

عندما تشعرن بعدم الرضا، عليكن استذكار مقدار ما لديكن من النعم لتكونن من الشاكرات. (وهنا رفعت (جو) بصرها الى الاعلى واطلقت نظرة سريعة، كأنها ارادت ان تتكلم، ولكنها سرعان ما غيرت فكرها بعد ان ادركت بان القصة لم تنته بعد).

ولأنهن كن فتيات مدركات فقد قررن محاولة الاخذ بنصيحتها. وكم كانت دهشتهن عظيمة عندما اكتشفن مقدار غناهن. فقد اكتشفت الاولى ان الثروة لا تمنع الخزي والحزن من الوصول الى بيت الاغنياء. واكتشفت الثانية انها كانت – على الرغم من فقرها – اكثر سعادة بشبابها وصحتها ومعنوياتها الجيدة من امرأة معينة، كبيرة السن عجزت عن التمتع بما لديها من اسباب الرفاه لانها كانت ضعيفة، كثيرة الاستياء. واكتشفت الاخت الثالثة بان التعاون في سبيل الحصول على وجبة عشاء ربما لا يكون امرا مستساغا الا ان التسول للحصول عليه كان امرا اكثر صعوبة بكثير. اما الاخت الرابعة فقد وجدت ان حتى خواتم العقيق الاحمر لم تكن اكثر قيمة من الاخلاق الحميدة والتصرف اللائق. وهكذا قررت الفتيات الاربع التوقف عن التذمر والتمتع بالنعم التي كانت بحوزتهن ومحاولة التصرف بما يشير الى انهن جديرات بها خشية ان يفقدنها كليا بدلا من حصولهن على المزيد منها. وعلى ما اظن، فانهن لم يندمن ابدا، ولم يصبن بخيبة امل، نتيجة قرارهن الاخذ بنصيحة تلك المرأة العجوز».

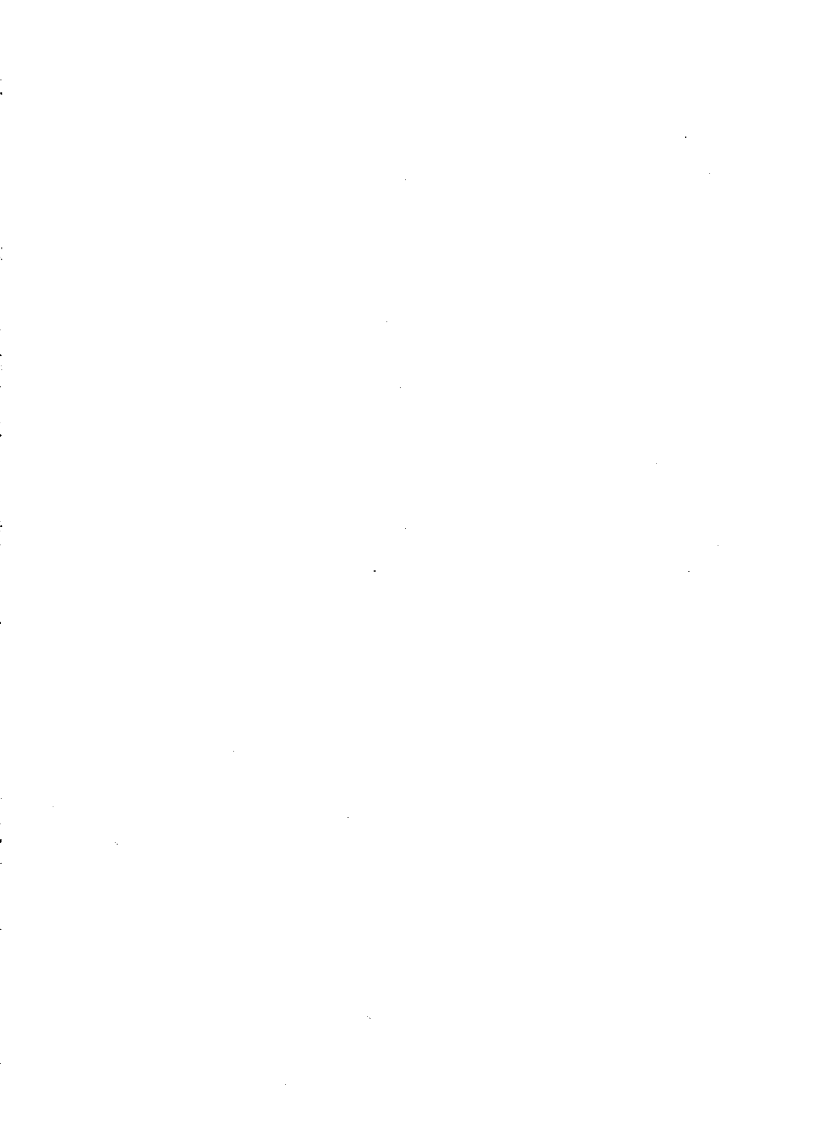
«والان يا(مامي) انه حقا لدهاء منك ان تستغلي قصصنا لتستخلصي منها مواعظ موجهة لنا، وتلقين علينا عظة بدلا من ان تروي لنا قصة

عاطفية». صاحت (ميج).

«يستهويني هذا النوع من المواعظ. انها من طراز المواعظ التي اعتاد ابوناالقاءها علينا»، قالت (بيث) بتأمل وهي تضع الابر مباشرة على وسادة (جو).

«اني لا اتذمر بقدر تذمر بقية الفتيات، وسأكون اكثر تقيدا وحرصا في المستقبل بعد التحذير الذي تمثل بنكبة (سوزي)»، قالت (ايمي) بحكمة.

«كنا بأمس الحاجة لهذه العبرة، ولن ننساها واذا ما قدر لنا ان ننساها فما عليك سوى ان تقولي لنا كما قال العجوز (كلوي) في قصة (العم توم): تذكروا ما لديكم من نعم، ايها الاطفال، تذكروا ما لديكم من نعم»، اضافت (جو) قائلة بعد أن ابت الا ان تجد جانباً للمرح والتسلية في هذه العظة، بالرغم من ان مدى تأثرها بها لم يقل عن مدى تأثر بقية المستمعات.



الفصل الخامس

مراعاة حسن الجوار

«ترى ماذا ستفعلين الآن يا (جو)؟» تساءلت (ميج) عصر احد الايام المثلجة عندما جاءت اختها (جو) وهي تدك ارض غرفة الجلوس بجزمتها المطاطية وقد لبست معطفها وقلنسوتها وحملت مجرفة بأحدى يديها ومكنسة باليد الاخرى.

«اني ذاهبة للقيام ببعض التمارين الرياضية» اجابت (جو) وقد لمعت عيناها ببريق شيطاني.

«ان قيامك صباح اليوم بنزهتين، مشياً على الاقدام، بحد ذاته رياضة كافية على ماعتقد. ان الطقس بارد ومعتم، ولذلك فاني انصحك بالبقاء داخل المنزل، كما افعل انا، حيث الدفء والجفاف

قرب النار» ، قالت (ميج) برجفة .

«اني لاآخذ بنصيحة احد ابداً! لايمكنني البقاء داخل الدار من دون حركة طيلة اليوم . وبما انني لست بقطة فلا اجد لدي اية رغبة للنوم قرب النار . بل اهوى المغامرات وسأقوم بالبحث عن شيء منها» .

بعد ذلك عادت (ميج) لتواصل تحميص قدميها على النار ولتستأنف مطالعة رواية (آيفانهو)* . أما (جو) فقد أخذت تجرف الجليد بطاقة كبيرة لتشق ممرات للسير . ولما كانت طبقات الجليد خفيفة ، فقد تمكنت (جو) من كنس الجليد بسرعة وشقت مجالاً للسير حول الحديقة لتتمكن (بيث) من السير فيه عند ظهور الشمس ولحاجة المعوقات من الدمى الى الخروج الى الهواء الطلق . وقد فصلت الحديقة بين منزل العائلة (مارتش) ومنزل السيد (لورنس) . وقد كان المنزلان يقعان في احدى ضواحي المدينة والتي كانت لاتزال تحافظ على طابعها الريفي . كما كان فيها من غابات الاشجار ، والمروج والحدائق الغناء ، والشوارع الهادئة . وقد فصل بين المنزلين سياج واطئ من الشجيرات انتصب على احد جانبيه منزل قديم ، بني اللون ، بدا عارياً ،، حقيراً لاسيما بعد ان تخلت عنه النباتات المتسلقة التي كانت تغطي حيطانه الخارجية في الصيف والزهور التي كانت تكثر حوله . اما في الجانب الآخر من هذا السياج فقد شمخ قصر حجري فخم للغاية ، يدل بوضوح على احتوائه كل اسباب الراحة والرفاهية ابتداءاً من المبنى الخاص لايواء المركبة والمساحة المحيطة بالدار المعتنى بها

---

* رواية تأريخية بقلم الكاتب البريطاني الشهير (السير والتر سكوت) وهي تصور الحياة في بريطانيا ابان فترة الحروب الصليبية .

للغاية وانتهاءً بالغرفة الزجاجية الملحقة بالمنزل وما تقع عليه عين المشاهد من اشياء جميلة تظهر له من بين الستائر الفخمة التي تنسدل وراء الشبابيك . ومع ذلك فقد كان المنزل هذا موحشاً يفتقر الى الحياة : فلا اطفال يمرحون فوق عشب حدائقه ولاتنعم شبابيكه بوجه امومي يطل من خلفها مبتسماً . ولم يتردد عليه إلا قلة من الناس باستثناء السيد العجوز وحفيده .

وقد حور خيال (جو) الخصب هذا البيت الفخم قصراً مسحوراً احتوى على الكثير من اوجه الابهة والبهجة التي لم يتمتع بها أحد . وقد ارادت منذ وقت طويل ان تحتوي بنظرها على كل هذه الروائع ، وان توثق معرفتها بـ «ابن عائلة لورنس» الذي بدا هو الآخر راغباً في ذلك لو انه فقط كان يعرف كيف يبدأ الوصول الى هدفه . ومنذ ليلة الحفلة أصبحت (جو) اكثر لهفة لتعزيز معرفتها به ، وقد وضعت عدة مخططات لهذا الغرض . وبسبب غيابه عن الأنظار في الفترة الأخيرة ، كادت (جو) تظن بانه لربما كان قد رحل حتى لمحت في احد الايام وجهاً اسمرَ يطل من خلف احدى نوافذ الطابق العلوي . وكان هذا الوجه ينظر بلهفة الى حديقة منزل عائلة (مارتش) حيث انشغلت (بيث) و (إيمي) في قذف احداهما الاخرى بكرات الثلج .

«يعاني هذا الشاب من رغبته في الحصول على الرفقة واللهو» ، قالت (جو) لنفسها . «ان جده لايدرك بالضبط مايسعد حفيده ويفرحه كما انه يبقيه بعزلة تامة عن بقية الناس . وبذلك فان ما يحتاجه هذا الشاب هو نخبة مرحة من الاصدقاء او شخص يافع يمتاز بالحيوية وخفة الدم . اجد

نفسي مدفوعة لمقابلة السيد العجوز واطلاعه على ذلك!» .

وقد وقعت هذه الفكرة موقعاً حسناً من نفس (جو) ، التي كانت تهوى القيام بالمهمات الجريئة والتي كانت دائماً تثير استنكار (ميج) باعمالها الفاضحة والغريبة . وهكذا بقيت فكرة «العبور الى الجهة الثانية» عالقة في فكرها ، وعندما حل عصر ذلك اليوم المثلج قررت (جو) القيام بما يمكنها من عمل . وما ان شاهدت السيد (لورنس) يغادر منزله حتى سارعت الى شق مسار لها عبر الثلج الى السياج الفاصل بين البيتين حيث توقفت برهة لاستعراض الوضع بصورة عامة . كان كل شيء هادئاً – الستائر مسدلة على نوافذ الطابق الارضي كافة واختفى كل الخدم عن الانظار ، ولم يعد ثمة انسان يُرى عدا رأساً ، شعره اسود مجعد ، كان ينحني فوق يد رقيقة في الشباك العلوي . «هاهو» ، فكرت (جو) في نفسها . «ياللفتى المسكين! انه وحيد ومريض في هذا اليوم الكئيب . ياللاسف! سأقذف بكرة جليد الى الاعلى لاسترعي انتباهه واحييه بعبارة لطيفة» .

وهكذا ارتفعت الى الاعلى حفنة من الثلج الناعم ، فاستدار الرأس فوراً ليُظهر وجهاً فقد نظرته المتواكبة في لحظة عندما تلامعت العينان الكبيرتان وابتدأ الفم يبتسم . هزت (جو) رأسها وضحكت ، ثم لوحت بمكنستها وهي تنادي بصوت جهوري :

«كيف حالك؟ هل أنت مريض؟» .

فتح (لوري) النافذة ونعق بصوت اجش كصوت الغراب وهو يقول : «شكراً . اشعر بتحسن . لقد اصبت بزكام حاد اضطرني الى

الانقطاع عن العالم لمدة اسبوع من الزمن» .

«يؤسفني سماع ذلك . كيف ترفه عن نفسك؟» .

ليس لدي اي شيئ ارفه به عن نفسي . والجو هنا يشع بكآبة القبور ورتابتها» .

«الا تقرأ؟» .

«ليس كثيراً ، فانهم لايدعوني اقوم بذلك» .

«الا يمكن لاحد ان يقرأ لك؟» .

يقوم جدي بذلك احياناً إلا ان كتبي لاتثير اهتمامه ، كما اني اكره ان اطلب من (برووك) القيام بذلك دوماً» .

«اختر لنفسك رفيقاً يأتي لزيارتك» .

«لايوجد من احب ان اراه . فالصبيان يميلون الى الضجة والصخب ، واني ماازال اشعر بضعف» .

«الا توجد هناك ثمة فتاة لطيفة يمكنها ان تقرأ لك وتجلب لنفسك المتعة؟ فالفتيات هادئات كما انهن يرغبن في القيام بدور الممرضات» .

«ولكني لااعرف اية فتاة ابداً» .

«انك على معرفة بنا ..» ، بدأت (جو) ولكنها سرعان ما ضحكت وتوقفت عن الكلام .

«اجل! اني على معرفة بكن . هل توافقين على المجيئ لزيارتي من فضلك» ، صاح (لوري) .

«اني لست بفتاة هادئة ولطيفة ، ومع ذلك لامانع لدي من المجيئ ان وافقت والدتي على ذلك . سأذهب للاستئذان منها . وعليك الآن

اغلاق النافذة وانتظار مجيئي» .

وبعد ان انتهت (جو) من حديثها مع (لوري) تنكبت مكنستها ومشت بخطى واسعة وثابتة الى الدار وهي تتأمل ما عسى ان يكون موقف امها واخواتها من هذه المبادرة . اما (لوري) فكاد يطير من فرط الاثارة ، وسرعان ماانهمك في الاستعداد لهذه الزيارة لأنه – على حد تعبير السيدة (مارتش) – كان «سيداً مهذباً» . ومن باب الاحتفاء بزائرته المرتقبة فانه عمد الى تصفيف شعره ، ولبس ياقة* نظيفة واهتم بترتيب وتنظيم غرفته التي كانت أبعد ماتكون عن ذلك بالرغم من وجود عدد كبير من الخدم . وماهي إلا دقائق معدودات حتى سمعت رنة جرس اعقبها صوتٌ حازم يطلب مقابلة «السيد لوري» ويدفع احد الخدم الى الاسراع باعلام السيد الصغير ، بشيء من التعجب ، عن وجود شابة مهذبة تطلب مقابلته .

«حسناً دعها تتفضل بالمجيئ الى هنا ، انها الانسة (جو)» ، قال (لوري) وهو يتوجه الى باب الغرفة لاستقبال (جو) التي ظهرت متوردة الوجه ، لطيفة ! متحررة من كل قلق او ارباك ، وقد حملت اناء مغطى باحدى يديها ، وهريرات (بيث) الثلاث باليد الاخرى .

«ها قد جئتك بقضي وقضيضي» ، قالت بنبرة سريعة ونشيطة . «ترسل امي اطيب تمنياتها ، ويسرها تمكني من اداء اية خدمة لك . وقد ارادت مني (ميج) جلب شيئ من المهلبية التي كانت قد صنعتها – فهي

* كانت الياقات الخاصة بالقمصان الرجالية مفصولة ولم تكن ثابتة كما هو عليه الحال في يومنا هذا ، وبذلك كان بامكان الرجل ان يستبدل ياقة القميص فقط دون اضطراره الى استبدال القميص باكمله .

تجيد ذلك جداً – كما ظنت (بيث) بان هريراتها قد يتمكن من اضفاء جو من المتعة . لقد ادركت انا بانك ستضحك من الامر هذا ولكني لم اتمكن من رفض طلبها لانها كانت تواقة جداً للمساهمة في مهمة الترفيه عنك» .

وقد شاءت الظروف ان لوري كان بأمس الحاجة لمبادرة (بيث) هذه ، إذ بمجرد ما ضحك فانه نسي مااعتراه من خجل وارتباك وبدأ على الفور يزداد مودة وإلفة .

«انها اجمل من ان تؤكل» ، قال وهو يبتسم فرحاً عندما ازاحت (جو) الغطاء عن الاناء وظهرت المهلبية وهي محاطة باكليل من الاوراق الخضراء ومن ورود (إيمي) القرمزية اللون .

«انها هدية متواضعة ولكنها تعبر عن مقدار ما نكن لك من شعور ودي . ارجو ان تخبر الخادمة للقيام بجلبها لك مع وجبة الشاي ، فهي سهلة الاكل وستتمكن من ابتلاعها من غير ان تؤذي بلعومك . ما اجمل غرفتك هذه!» .

«قد تكون جميلة حقاً لو يتم الاهتمام بترتيبها . ولكن الخادمات كسولات وانا لا ادري كيف ادفعهن الى الاهتمام بها وهذا ما يقلقني» .

«سأعالج لك الموقف في ثوانٍ معدودات . فالغرفة هذه لاتحتاج سوى تنظيف الموقد بهذه الطريقة ، وترتيب مافوق رفّه من اشياء على هذا النمط ، ووضع الكتب هنا ، والقناني هناك ، وابعاد اريكتك عن الضوء مع تنظيم ما عليها من وسائد لتسويتها بعض الشيء . وبذلك تجد أن كل شيء قد ترتب» .

وهذا ماوجده فعلاً : فاثناء كلام (جو) وضحكها فانها اعادت ترتيب الغرفة وبذلك اضفت عليها جواً مختلفاً للغاية. وقد راقبها (لوري) اثناء ذلك بصمت مشوب بالاحترام. وعندما طلبت منه الجلوس على الاريكة فانه جلس وهو يشعر برضى تام وهو يقول بامتنان :

«ماألطفك وما اكرمك! اجل، هكذا اريد ان تبدو غرفتي دائماً. الآن تفضلي بالجلوس على الكرسي الكبير ودعيني اقوم بتسليتك».

«كلا! فاني جئت لأسليك. هل تريدني ان اقرأ لك بصوت عالٍ؟». قالت (جو) وهي تنظر بود وحنان الى مجموعة من الكتب المشوقة التي وجدتها على قرب منها.

«شكراً. لقد قرأتها جميعاً. اني افضل التحدث معك ان لم يكن لديك مانع»، اجاب (لوري).

«لامانع لدي ابداً. ستجد ان لي قابلية على الكلام طول اليوم اذا ما شجعتني على ذلك! تقول (بيث) باني لااعرف التوقف عن الكلام».

«هل (بيث) هي الفتاة ذات الطلعة المشرقة، التي تمكث في الدار دائما ولاتخرج إلا احياناً وهي تحمل سلة بيدها؟»، تساءل (لوري) باهتمام.

«اجل هذه هي (بيث). انها فتاتي المدللة وهي بنت طيبة».

«ان الجميلة هي (ميج) والفتاة ذات الشعر المجعد هي (إيمي) على ماأظن، أليس كذلك؟»

«كيف اكتشفت كل ذلك؟»

احمر (لوري) خجلاً ولكنه اجاب بصراحة قائلاً : اني اسمعكن في

اغلب الاحيان وانتن تنادين بعضكن البعض الآخر، وعندما اكون بمفردي هنا لايسعني سوى النظر الى بيتكن حيث تظهرن دائماً مبتهجات. استميحك عذراً لتطفلي هذا ولكنكن تغفلن احياناً عن اسدال الستائر على الشبابيك حيث تضعن الزهور. وعندما تنار الاضواء يصبح الحال كمن ينظر الى لوحة جميلة تصور النار والمائدة التي تجلسن حولها مع والدتكن التي يظهر وجهها امامي مباشرة فيبدو انيساً، لطيفاً خلف الزهور، ولاتمالك نفسي من استمرار النظر اليه. فليس لدي ام كما تعلمين» . قال (لوري) وهو ينكز نار الموقد بالمسعر محاولاً اخفاء الرجفة التي اعترت شفتيه، والتي لم يتمكن من السيطرة عليها.

وقد نفذت تلك النظرة الوحيدة، الجائعة، التي انطلقت من عينيه الى قلب (جو) الدافىء. وكان تهذيبها قد تم ببساطة لم تترك اي مجال لتوغل اللغو والامور السخيفة الى فكرها وبذلك كانت لها براءة الاطفال وصراحتهم بالرغم من بلوغها الخامسة عشرة من العمر. وكان (لوري) يعاني من الوحدة، ومن المرض، بينما وجدت (جو)نفسها غنية بما كان لديها من الحب العائلي والسعادة اللذين حاولت ان يشاركها (لوري) فيهما. وقد كان وجهها ودوداً للغاية، وصوتها الحاد لطيفاً على غير عادته، عندما قالت :

«سوف لا نسدل الستائر بعد الآن، وانا اخولك النظر الينا ما شئت، ولكني اتمنى لو انك تحاول ان تأتي لزيارتنا بدلاً من ان تسترق النظر الينا. سوف تجد ان امنا امرأة لطيفة وكريمة للغاية، وسترحب بك للغاية، وستغني لك (بيث) -- بعد ان التمس منها القيام بذلك —

وسترقص لك (ايمي). اما انا و(ميج) فسوف نقوم باضحاكك من خلال ادوارنا المسرحية، وسنقضي جميعاً وقتاً ممتعاً للغاية. ألا يسمح لك جدك بالقدوم الينا؟»

«اعتقد بانه سيسمح لي بذلك ان كلمته امك، فهو رجل لطيف وكريم للغاية وان لم يبدُ عليه ذلك. كما انه يسمح لي بالقيام بما اشاء. إلا انه يخشى من احتمال قيامي بازعاج الغرباء»، قال (لوري) وقد بدأ يزداد ابتهاجاً.

«لسنا أغراباً بل نحن جيران، ثم لا يوجد هناك اي سبب لكي تتصور بانك ستكون مصدر ازعاج لنا. اننا نريد التعرف اليك وقد حاولت انا ذلك منذ فترة. وبالرغم من أن وجودنا هنا لم يمض عليه فترة طويلة فقد تمكنا من التعرف على كل جيراننا عداكم».

«عليك ان تفهمي بان جدي يعيش وسط ماالديه من كتب ولايهمه ابداً مايدور خارج عالمه هذا من احداث. اما معلمي الخاص، السيد (برووك)، فانه لايسكن هنا، كما اني افتقر الى الرفيق الذي يمكنني قضاء الوقت معه وبذلك اجد نفسي مضطراً للبقاء في الدار وتمضية الوقت كيفما اتفق».

«هذا امر سيء للغاية. وعليك إن تبذل جهداً لتلبية دعوة كل من يدعوك لزيارته وبذلك ستتمكن من التعرف على العديد من الاصدقاء ومن ايجاد الكثير من الاماكن المبهجة التي يمكنك التردد عليها. ولاتعر خجلك وتهيبك اي اهتمام، فسرعان ما سيتم لك تجاوزهما اذا ماواصلت القيام بزياراتك هذه».

ومرة اخرى علت وجه (لوري) حمرة ولكنه لم يشعر بكدر وامتعاض وهو يواجه تهمة الخجل والكسوف. فقد وجد في كلام (جو) من حسن النية مايتعذر على المستمع ان يجد في صراحته غير ما انطوى عليه حقاً من براءة ولطف.

«هل تحبين مدرستك؟» تساءل الصبي وهو يغير موضوع الحديث بعد توقف قصير حدق من خلاله في النار المستعرة في الموقد بينما نظرت (جو) حولها وقد بدت في راحة تامة.

«اني لااذهب الى المدرسة. فانا رجل اعمال. اقصد فتاة اعمال. اقوم برعاية عمة ابي السيدة العجوز الكثيرة التذمر»، اجابت (جو).

فتح (لوري) فمه في محاولة لطرح سؤال آخر، ولكنه تذكر، في الوقت المناسب، ان المبالغة في الاستفسار عن شؤون الناس لاتنسجم مع التصرف اللائق، فسكت ثانية وبدا متضايقاً. اما (جو) فقد استحسنت تربيته العالية ولم تجد اي بأس في التندر بموضوع العمة (مارتش) ولذلك فانها اعطت (لوري) وصفاً دقيقاً لهذه السيدة الكبيرة السن، الكثيرة التذمر، ولكلبها الصغير، البدين، وببغائها التي كانت تتكلم اللغة الاسبانية ولم تنس ان تصف المكتبة العامرة حيث كانت تجد متعتها الكبيرة. وقد وجد (لوري) في ذلك كله متعة كبيرة. وعندما اخبرته عن السيد العجوز، المهذب الذي جاء في مناسبة معينة ليخطب ود العمة (مارتش) -- وكيف قام الكلب (بولي)، اثناء انهماك الرجل هذا في خطاب جميل، بنزع فروة الشعر المستعار التي كان العجوز يضعها فوق رأسه -- استلقى (لوري) على ظهره من شدة الضحك وقد انهمرت

الدموع من عينه. واثناء ذلك مدت احدى الخادمات رأسها الى داخل الغرفة في محاولة للوقوف على ماكان يدور من امر.

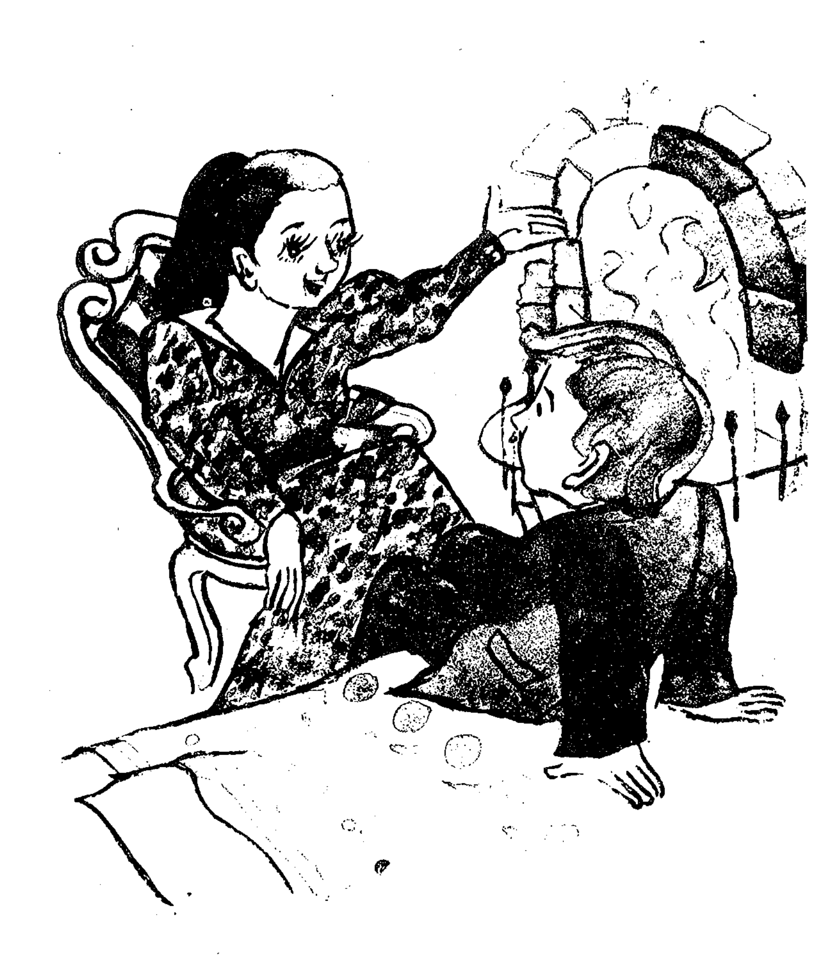
«آه! كنت بحاجة ماسة الى مثل هذا الضحك والترويح عن نفسي. ارجو ان تروي لي مزيداً من هذه الاخبار». قال (لوري) وهو يرفع وجهه من بين وسائد الاريكة وقد اصطبغ حمرة وتلامع من شدة المرح والابتهاج.

ونتيجة ابتهاجها وفرحتها بما حققت من نجاح قامت (جو) فعلاً برواية المزيد من الاخبار المؤنسة: فقد اخبرت لوري عن المسرحيات والخطط. وعن الآمال التي يتعلقن بها والمخاوف التي تعصف بهن بخصوص والدهن كما اخبرته عن اكثر الاحداث اثارة في ذلك العالم الصغير الذي كن يعشن فيه. ثم جرهما الكلام عن الكتب. وكم كان سرور (جو) عظيماً عندما ادركت بان (لوري) كان هو الآخر يهوى الكتب والمطالعة وبانه كان في الواقع قد قرأ اكثر منها.

«اذا كنت تهوين الكتب بهذا القدر فتعالي الى الطابق الارضي وشاهدي مالدينا من كتب. ولا تخشي امر جدي فهو خارج المنزل». قال (لوري) وهو ينهض واقفاً.

«لاأخشى اي شيء بالمرة». اجابت (جو) وهي ترد رأسها الى الوراء بحركة مفاجئة.

«لااعتقد بانك تخافين شيئاً ابداً!». قال (لوري) وهو ينظر اليها باعجاب وان ظن في نفسه انه قد يكون لها مايبررخوفها من الرجل العجوز اذا ماالتقته وهو يمر في بعض حالاته النفسية.



كان الطابع الصيفي يغمر جو البيت. وقد قاد (لوري) ضيفته من غرفة الى اخرى تاركاً لها حرية التوقف وتفحص كل ماأثار اهتمامها واثر في نفسها من الاشياء الموجودة. واخيراً وصلا الى المكتبة : هنا صفقت (جو) بيدها ومشت بخطوات طويلة وثابتة كعهدها عند شعورها بالغبطة بوجه خاص. فقد كانت المكتبة مرصوفة بالكتب اضافة الى مافيها من صور وتماثيل وانواع من الخزانات الصغيرة المذهلة التي ضمت مختلف قطع النقود المعدنية والتحفيات. وقد احتوت المكتبة كذلك على عدد من الكراسي الوثيرة والموائد ذات الاشكال الغريبة والتماثيل البرونزية. وكان اجمل مافيها هو ذلك الموقد الجميل الذي احاطت به قطع الآجر الجميلة.

«ياله من غنى !» تنهدت (جو) وهي تغطس الى اعماق كرسي مخملي وتنظر حولها بارتياح تام «يجب ان تكون اسعد صبي في العالم يا(ثيودور لورنس)». اضافت (جو) باعجاب منقطع النظير.

«لايمكن للفرد ان يعيش على الكتب فقط» قال (لوري) وهو يهز رأسه عندما جلس فوق المائدة المقابلة. وقبل ان يتمكن من اضافة المزيد من القول، رن جرس، فانتفضت (جو) قائلة : «ياللهول ! انه جدك !»

«وماذا لو كان هو جدي فعلا؟ فانك لاتخشين اي شيء». اجاب الفتى بنبرة لم تخل من خبث.

«اظنني اخافه بعض الشيء ولكنني لااجد سبباً لذلك. لقد وافقت امي على قدومي ولم تظن باني ساصاب باي اذى نتيجة ذلك»، قالت

(جو) وهي تستعيد رباطة جأشها وان واصلت تركيز نظراتها على الباب.

«اني ممتن جداً لقدومك الذي حقق لي راحة كبيرة، ولكني اخشى من ان تكوني قد سئمت الحديث معي. لقد كانت في الواقع زيارة لطيفة الى درجة لايسعني تحمل امر انتهائها»، قال (لوري) بامتنان.

«جاء الطبيب لزيارتك»، قالت الخادمة وهي تومىء اليه بالمجيء.

«هل تمانعين لو تركتك وحدك لحظة؟ لابد لي من مقابلته على ماأظن»، قال (لوري)

«لاتهتم بامري. فانا في أسعد حال هنا»، اجابت (جو)

وهكذا ذهب (لوري) تاركاً ضيفته تمتع نفسها بطريقتها الخاصة. وكانت تقف امام لوحة زيتية متقنة للسيد العجوز عندما انفتحت الباب ثانية، من غير ان تلتفت الى الخلف فانها قالت بحزم: «اني واثقة الآن من اني يجب ان لا اخافه أبداً، فله عينان عطوفتان وان كان فمه قاسياً بعض الشيء. ويبدو كمن له ارادة حديدية. انه ليس وسيماً كجدي ولكنني استلطفه».

«شكراً ياسيدتي»، قال صوت اجش جاء من خلفها. وهناك وقف، يالخيبة أملها، السيد (لورنس).

واحمرت (جو) المسكينة خجلاً الى الحد الذي لم يعد بامكانها ان تكون اكثر حمرة، وبدأ قلبها يخفق بسرعة غير مريحة للغاية عندما استذكرت ماكان قد صدر منها من كلام. ومرت لحظة تملكتها رغبة في الهروب بعيداً، ولكنها ادركت جبن هذا الموقف وما سيستدره من ضحك الفتيات عليها ولذلك قررت الصمود والخروج من هذا المأزق.

ومن خلال نظرة ثانية ألقتها على السيد العجوز تبين لها ان العينين المتقدتين، تحت الحاجبين الكثيفين، كانتا في الواقع اكثر رقة من تلكما اللتين صورتهما اللوحة الزيتية، كما كان فيهما بريق ماكر كان من شأنه تقليل مخاوفها الى حد كبير. وبدا الصوت الاجش اكثر غلاظة من قبل عندما تكلم الرجل العجوز بلهجة حادة. بعد ذلك التوقف الرهيب قائلاً : «اذاً انت لاتخافيني اليس كذلك؟»

«لاأخافك كثيراً ياسيدي».

«ولاتظنينني وسيماً كجدك؟».

«ليس بالوسامة نفسها!»

«ولدي ارادة قوية جداً، اليس كذلك؟»

«قلت اني اظن ذلك فقط»

«ولكنك تستلطفينني على الرغم من ذلك كله»

«اجل اني استلطفتك»

لقد اثلج هذا الجواب صدر السيد العجوز ، فصدرت منه ضحكة قصيرة . ثم هز يدها مصافحاً ووضع اصابع اليد الاخرى تحت حنكها ورفع وجهها الى الاعلى وتفحصه بامعان ثم تركه قائلاً وهو يومئ برأسه : «لديك شجاعة جدك وان لم تملكي وجهه . كان رجلاً كريماً ياعزيزتي . والافضل من ذلك فانه كان رجلاً شجاعاً واميناً وكنت فخوراً بصداقته»

«شكراً لك ياسيدي».

وشعرت (جو) براحة بعد ذلك لارتياحها التام لما قاله .

«ماذا كنت تفعلين بولدي هذا؟»
جاء السؤال المقتضب الاخر .
«كنت اقوم بمراعاة حسن الجوار فقط ، ياسيدي»
قالت (جو) ثم اخبرته كيف تم لها القيام بهذه الزيارة .
«تعتقدين انه بحاجة الى بعض الابتهاج والمرح، اليس كذلك ؟»
«اجل ياسيدي ، اذ يبدو عليه وحيداً بعض الشيء وقد يرتاح كثيراً الى رفقة ناس يافعين . اننا مجرد فتيات ومع ذلك سيسرنا القيام بما نستطيعه لو تمكنا من ذلك لاننا لاننسى ماقدمته لنا من هدية رائعة في عيد الميلاد» قالت (جو) بحماس .
«كفاك كلاماً! كان ذلك امراً يخص الفتى. كيف حال المرأة البائسة؟«
«انها تتماثل للشفاء بسرعة» . وانطلقت (جو) تتكلم بسرعة وهي تعطي السيد العجوز تفاصيل اخبار عائلة (هوميلف) التي استقطبت عن طريق السيدة (مارتش) امها اهتمام اصدقاء اكثر غنى منهن .
«تسلك امك سبيل المعروف ذاته الذي كان يسلكه ابوها . سوف آتي لزيارة والدتك في يوم ما ، فارجو ان تخبريها بذلك . ها انا اسمع صوت الجرس الخاص بوجبة الشاي. اننا نتناول هذه الوجبة في وقت مبكر بسبب الفتى (لوري) . فتعالي معي الى الطابق السفلي واستمري بمراعاة حسن الجوار».
«يسرني ذلك اذا ماوافقت على قدومي اليكم» .
«لو لم اوافق على قدومك لما طلبت منك ماطلبت» .

ثم مد السيد (لورنس) ذراعه لها بطريقته المؤدبة المحافظة .

«ماعسى ان تقول (ميج) لو انها تشهد هذا المنظر؟» فكرت (جو) في نفسها . اثناء قيام السيد العجوز باستصحابها ، بينما رقصت عيناها فرحاً وهي تتصور كيف سيتم لها رواية هذه التفاصيل بعد عودتها الى البيت .

«ماهذا؟ ماذا حل بهذا الفتى ؟» تساءل السيد العجوز عندما شاهد (لوري) يهبط سلم الدار مستعجلاً ويقف مذهولاً ازاء هذا المنظر الغريب : فهذه (جو) تمشي وقد وضعت ذراعها على ذراع جده المروع .

«لم ادرك بانك قد عدت الى البيت ياسيدي» قال الفتى ذلك وقد حدجته (جو) بنظرة انتصار خاطفة .

«هذا واضح من طريقة نزولك الصاخبة . تفضل معنا لتناول وجبة الشاي ، ياسيدي ، وحاول ان تتصرف مثل سيد مهذب» قال السيد (لورنس) وبعد ان شد على شعر رأس الفتى بحنان استمر في سيره بينما قام الفتى بعدد من الحركات المضحكة ؛ وهو يسير خلفهما وكادت تدفع هذه الحركات (جو) الى الانفجار بضحكة عالية .

لم يتكلم السيد العجوز كثيراً اثناء تناول فناجينه الاربعة من الشاي ، ولكنه اخذ يراقب هذين اليافعين الذين سرعان ما تحدثا كصديقين قديمين ولم يفته في الحين ذاته ملاحظة ماطرأ على حفيده من تغير واضح فقد اكتسى وجهه باللون والحيوية والضوء وظهر النشاط والحيوية في تصرفاته والمرح الصادق في ضحكته .

«انها على حق . فالفتى يعاني من الوحدة . سأرى ما اذا كان بامكان تلكم الفتيات الصغيرات ان يعملن من اجله» فكر السيد (لورنس) في

نفسه عندما كان يراقب ويستمع .

لقد استهوته (جو) التي وقع تصرفها الصادق الغريب موقعاً حسناً من نفسه ، كما كادت تفهم الشاب على مابدا ، بصورة جيدة كما لو كانت نفسها شاباً لافتاة .

لو كان الجد والحفيد حقاً «متزمتين ومزعجين» كما كانت (جو) قد وصفتهما لما تمكنت من الانسجام معهما أبداً اذ انها كانت تشعر بخجل وعدم ارتياح ازاء المتزمتين والمزعجين من الناس . وعندما وجدتهما ليني العريكة ومتحررين فانها تصرفت تصرفاً مماثلاً وهكذا تمكنت من ان تفوز باعجابهما .

وعندما نهضوا بعد الانتهاء من وجبة الشاي ، استأذنت (جو) بالانصراف ولكن (لوري) اخبرها بان هناك ثمة شيئاً آخر اراد يريها اياه وبذلك فانه اخذها معه الى الغرفة الزجاجية الخاصة بالزهور والنباتات والتي كانت قد تمت اضاءتها من اجل (جو) شخصياً . وقد بدت لها هذه الغرفة مسحورة وهي تسير في ارجائها وتمعن نظرها في جدرانها المزدهرة على الجانبين وفي اضوائها الخافتة والهواء الرطب العليل وشتى المزروعات والاشجار التي تدلت فوقها ، وكان صديقها الجديد منهمكاً في قطف الزهور التي ملأت يديه والتي رتبها جميعاً في حزمة وناولها ل(جو) قائلاً ، وقد بدت عليه تلك النظرة السعيدة التي كانت (جو) تهوى رؤيتها ، «ارجوك اهدي هذه الزهور الى والدتك واخبريها باني ارغب في الدواء الذي ارسلته لي جداً . جداً» .

وعندما دخلا غرفة الجلوس الكبرى وجدا السيد العجوز واقفاً امام

الموقد ، الا ان انتباه (جو) كان قد تركز كله على البيان الكبير الذي توسط الغرفة مفتوحاً .

«هل تستطيع عزف البيان» تساءلت (جو) بعد ان التفتت الى (لوري) وقد بدا على وجهها سيماء الاحترام .

«احياناً» ، اجاب بتواضع .

«ارجوك ان تعزف الآن . . اود سماع عزفك لكي اخبر (بيث)» .

«هل لك ان تعزفي انت الاول ؟»

«لا استطيع العزف ولايمكنني التعلم لفرط غبائي ! ولكني اعشق الموسيقى كثيراً» .

وعزف (لوري) .. واستمعت (جو) وهي تدفن انفها بين ورود الشاي وعباد الشمس . وقد زاد احترامها وتقديرها ل «ابن عائلة لورنس» لانه عزف البيان على نحو جيد للغاية . ومن غير ان يتيه بنفسه . وكم تمنت لو تمكنت (بيث) من الاستماع الى عزفه ولكنها لم تفصح عن امنيتها هذه بل اكتفت باطرائه كثيراً حتى احمر وجهه خجلاً وتدخل جده لانقاذه قائلاً : «هذا يكفي ايتها الانسة المهذبة فالمبالغة في المديح لاتعود عليه بالفائدة . ان عزفه جيد ولكني آمل ان لايقل اداؤه جودة في مجالات اخرى اكثر اهمية . هل انت ذاهبة ؟

اني ممتن لك للغاية وآمل ان تتكرر زياراتك لنا .

تصبحين على خير يادكتورة (جو)» .

وهز يدها مصافحاً ولكنه بدا كأن شيئاً لم يسره . وعندما وصلا الى الردهة الرئيسية سألت (جو) جارها (لوري) ماذا كان قد بدر منها شيً

غير لائق ، ولكنه هز رأسه بالنفي وقال :
«كلا ، ان الامر يخصني انا فهو لايرغب في سماع عزفي».
«ولماذا ؟»
«ساخبرك في يوم ما . سوف يصطحبك (جون) الى منزلك لعدم تمكني من القيام بذلك» .
«لاداعي لذلك . لست بشابة صغيرة ، كما ان البيت قريب جداً . ارجو ان تعتني بنفسك اليس كذلك ؟»
«اجل . ولكنني آمل ان تزورينا مرة اخرى ؟»
«اذا وعدت بالمجيء لزيارتنا بعد ان تتماثل الى الشفاء» .
«سأفعل ذلك» .
«تصبح على خير يا(لوري) «
«تصبحين على خير يا (جو) تصبحين على خير» .
وبعد ان تم سرد تفاصيل مغامرات مابعد الظهر شعرت كل واحدة من افراد العائلة بميل للذهاب مع البقية لزيارة بيت عائلة (لورنس) التي وجدت كل منهن فيه شيئاً يجذبها لرؤيته او يحفزها على زيارة ذلك القصر المنيف الذي يقع في الطرف الآخر من السياج النباتي :
فالسيدة (مارتش) ارادت التحدث مع السيد العجوز عن ابيها الذي لم ينسه جارها هذا ، وتاقت (ميج) للسير في الغرفة الزجاجية الخاصة بالزهور والنباتات ، وتحسرت (بيث) لهفة لمشاهدة البيان الكبير اما (ايمي) فقد تاقت الى مشاهدة الصور والتماثيل .
«لماذا لايريد السيد (لورنس) ان يعزف (لوري) البيان يا اماه ؟»

تساءلت (جو) التي امتلكت حب الاستطلاع .

«لست متأكدة بالضبط ولكنني اظن ان السبب يعود الى قيام ابنه ، ابو (لوري) من الزواج من سيدة ايطالية ، كانت موسيقية ، وكان هذا امراً اغضب السيد العجوز ، الأبي . وكانت هذه السيدة فاضلة وجميلة ومدبرة للغاية الا انها لم تقع من السيد العجوز موقعاً حسناً ولذلك فانه لم يلتق بابنه منذ زواجه. وقد مات الزوجان عندما كان (لوري) طفلاً ومن اجل ذلك فقد قام جده برعايته . ولا اظن ان الفتى هذا ، الذي ولد في ايطاليا ، هو شخص قوي البنية وسليم الصحة وهذا مايبرر حرص الجد على صحته وسلامته خوفاً من فقدانه . ان حب (لوري) للموسيقى هو امر طبيعي ، لانه يشبه امه في ذلك ، ولذلك يخشى الجد من احتمال رغبة (لوري) في ان يصبح موسيقاراً . وفي كل الاحوال فان براعة حفيده في الموسيقى وفي العزف يذكرانه بالسيدة التي لم يحبها ابداً ولذلك نجده يحملق على حد تعبير (جو) » .

«يا الهي ! يالها من قصة عاطفية» علقت (ميج) قائلة .

«انه امر لايخلو من السخافة !» قالت (جو) «ليصبح موسيقاراً ان شاء ذلك وهذا افضل من ارساله الى الكلية في الوقت الذي لايرغب فيه سلوك هذا الطريق».

«هذا مايبرر ان له عينين سوداوين جميلتين وسلوكاً مؤدباً للغاية ، اظن ان الايطاليين طيبون دوماً » قالت (ميج) التي كانت عاطفية بعض الشيء .

«وماذا تعرفين عن عينيه وعن سلوكه ؟ انك بالكاد كلمته» صاحت

(جو) التي لم تكن عاطفية .

«لقد التقيته في الحفلة . ثم ما اخبرتنا عنه يدل على انه يحسن التصرف . فلقد احسن التعبير عندما تكلم عن الدواء الذي ارسلته امنا»

«أعتقد انه كان يقصد المهلبية».

«ما اغباك ايتها الطفلة ! انه يقصدك انت بطبيعة الحال» .

«حقاً ؟» تساءلت (جو) وحملقت بعينيها وكأن الامر لم يخطر على بالها ابداً .

«لم اشهد مثل هذه الفتاة ابداً ! انك لاتدركين المديح عندما تسمعينه» قالت (ميج) بطريقة شابة مهذبة قد خبرت كل هذه الامور .

«ليست الامور العاطفية سوى كلام فارغ على ماأظن ، وارجو منك الكف عن التصرف بحماقة لافساد مفعول الوقت الذي قضيته . ان (لوري) فتى لطيف وانا استلطفه ولا اريد الاستماع الى الامور العاطفية المتعلقة بالمديح وغير ذلك من الهراء . سوف نسلك معه سلوكاً لطيفاً لانه يتيم الام وقد يأتي لزيارتنا اليس كذلك ياامامي»

«اجل يا (جو) . اننا نرحب بصديقك الشاب وآمل ان تتذكر (ميج) دائماً بان على الاطفال ان يبقوا اطفالاً ما استطاعوا» .

«لااعتبر نفسي طفلة ، ولم ابلغ سن المراهقة بعد»

علقت (ايمي). « ماهو رأيك يابيث ؟»

«كنت افكر بـ (رحلة الحاج) الخاصة بنا»

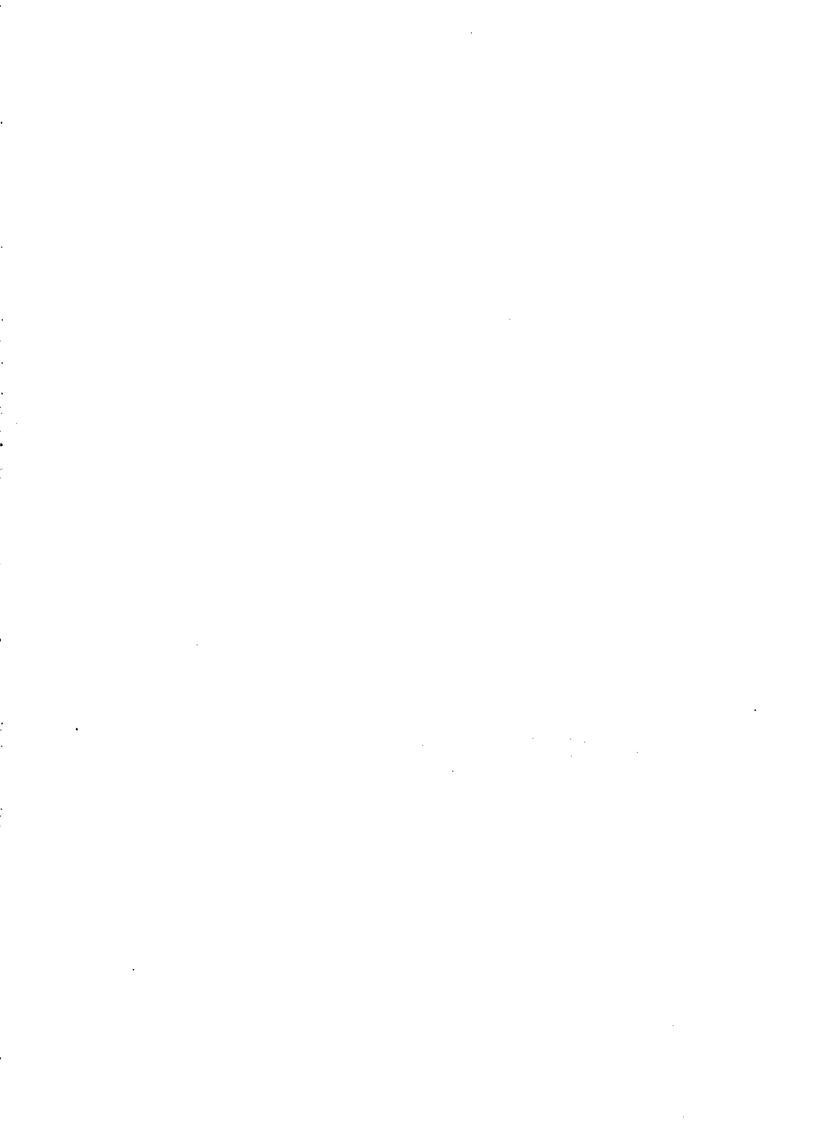
اجابت (بيث) التي لم تكن قد سمعت شيئاً مما دار من حديث .

«وكيف خرجنا من (المستنقع) ونفذنا من (البويب) من خلال عزمنا على الالتزام بالفضيلة وكيف تمكنا من تسلق التل الشديد الانحدار باصرارنا .

ولعل البيت الكبير هناك سيكون في الواقع (قصرنا الجميل) »

«علينا تجاوز الأسود اولاً»قالت (جو) كأن الفكرة قد راقت لها .

الفصل السادس





(بيث) تجد القصر جميلاً

لقد ثبت بان البيت الكبير هو في الواقع (القصر الجميل) على الرغم من الوقت الطويل الذي مر قبل ان تتمكن كافة عضوات عائلة (مارتش) من دخوله ، كما ان (بيث) قد وجدت بان اجتياز الاسود لم يكن امراً سهلاً . وكان السيد (لورنس) العجوز اكبر هذه الاسود . ولكن بعد ان تم له زيارة عائلة (مارتش) ومخاطبة كل من الفتيات بعبارة لطيفة او مضحكة ، وبعد ان استذكر مع الام بعض الاحداث القديمة ، لم تعد اية واحدة منهن تهابه ، او تحسب له حساباً باستثناء (بيث) المتهيبة . اما الاسد الاخر فتمثل بحقيقة كونهن عائلة فقيرة بينما كان السيد (لورنس) غنياً . وهذا ماجعلهن متحفظات ازاء قبول افضال لايمكنهم

ردها ، الا انهن وجدن بعد فترة من الزمن ، أن السيد (لورنس) كان يعتبرهن شخصياً هن المتفضلات وبانه كان عاجزاً عن التعبير عن امتنانه ازاء ترحاب السيدة (مارتش) العطوف ، ورفقتهن المؤنسة اللطيفة ومقدار ما كان يجده من متعة وراحة في بيتهن المتواضع . وسرعان مانسيت الفتيات وامهن كبرياءهن وافتخارهن وانهمكن مع جارهن في تبادل اللطف والافعال الكريمة من غير الالتفات الى اعتبار اي من الجانبين كان الاكبر .

وقد شاءت الظروف ان يحدث عدد من الامور السعيدة في هذا الوقت بالذات — فقد نمت الصداقة بين البيتين نمو الاعشاب في الربيع . لقد احبت الفتيات وامهن (لوري) الذي قام بدوره باخبار معلمه الخاص بان «بنات عائلة (مارتش) هن فتيات رائعات للغاية» . وهكذا احتضنت هذه الفتيات هذا الصبي الوحيد بحماس الشباب المبهج ، وركزن عليه اهتمامهن واغرقنه بحنانهن . وقد وجد هو بدوره شيئاً ساحراً في الصحبة البريئة لتلكم الفتيات الساذجات ، الطيبات . وسرعان ماشعر بما مارسن تجاهه من تأثيرات وهو الذي لم يعرف اماً ولااخوات . وازاء طريقة معيشتهن المفعمة بالنشاط والحيوية شعر بالخجل من الحياة الكسولة المتوانية التي كان يحياها. ولقد سئم الكتب الى حد بعيد جداً بعد ان وجد بان مخالطة الناس قد استقطبت اهتمامه الى الحد الذي اضطر معلمه الخاص ، السيد (بروك) الى رفع تقرير غير مرض عنه — لقد كان دائم التهرب من دروسه ، والتغيب عنها بسبب تفضيله الذهاب لزيارة آل (مارتش) .

«لابأس . دعه يتمتع باجازة . سيعوض ما يفوته من دروس في وقت لاحق» قال السيد العجوز .

«تقول جارتنا ، السيدة الفاضلة ، انه يرهق نفسه في الدروس انه بحاجة الى رفقة شابة وشيئ من المتعة والترفيه والرياضة . اظنها صادقة ، كما اظن اني قد تعاملت معه كما لو كنت جدته لاجده ، فدعه يعمل مايشاء طالما يشعر بالسعادة من جراء ذلك اذ لايمكنه التورط في امر سيئ طالما هو في دير الراهبات هذا ، كما ان ماتفعله السيدة (مارتش) يفوق مانتمكن نحن القيام به » .

وكانوا فعلاً يقضون اوقاتاً سعيدة للغاية :

يقيمون العروض الاستعراضية ، والمشاهد التمثيلية الحية ، ويقومون برحلات للتزلج والتزحلق ويقضون اوقاتا ممتعة في ردهة البيت السعيد ويحيون الحفلات احياناً في البيت الكبير . وكانت (ميج) تذهب لزيارة الغرفة الزجاجية الخاصة بالزهور والنباتات متى شاءت لتنعم بمنظر الورود فيها ، كما كانت (جو) تستعير ماشاءت من الكتب لمطالعتها لتعمد بعد ذلك الى هز السيد العجوز بما تقدمه من نقد لكل منها .

وكانت (ايمي) تقوم باستنساخ الصور وتمتع نظرها بما تشاهده من مظاهر الابهة والجمال في البيت الكبير اما (لوري) فكان يقوم بدور «سيد البيت» بطريقة مبهجة للغاية .

وعلى الرغم من ان (بيث) كانت تتوق للعزف على البيان الكبير فانها لم تملك مايكفي من الشجاعة للذهاب الى «بيت السعادة» على حد تعبير (ميج) .

وقد ذهبت مع (جو) في مناسبة معينة فوجدت ان السيد العجوز يدقق النظر فيها من تحت حاجبيه الكثيفين ، دون ان يدرك ما كانت تعانيه من عجز ، وانه كان ينادي الاخرين بصوت عالٍ مما افزعها الى درجة جعلت «اقدامها لاتثبت على الارض» على حد تعبيرها ، عندما عادت لتخبر امها بالامر . وقد وجدت نفسها مضطرة الى الهرب من البيت الكبير نتيجة ذلك والى الاعلان بانها قد قررت عدم الذهاب الى هناك مرة اخرى ، حتى من اجل العزف على البيان الكبير . ولم تفلح كل الاقناعات في تجاوز مخاوفها . وقد شاءت الظروف ان يطرق الامر هذا اسماع الرجل العجوز بطريقة غامضة فقرر في حينه العمل على تصحيح الامور . واثناء احدى زياراته الخاطفة تطرق الى موضوع الموسيقى ، وتكلم عن المغنين والمغنيات الذين عرفهم وشاهدهم في حياته ، وعن الالات الموسيقية التي كان قد استمع الى عزفها . كما تطرق الى امور مسلية للغاية بحيث لم تتمكن (بيث) من الاستمرار في عزلتها بل اخذت تتقرب شيئاً فشيئاً لان الحديث قد فتنها للغاية . بحيث وقفت خلف المقعد الذي جلس عليه السيد العجوز تستمع الى ما كان يقوله وقد اتسعت عيناها وتوردت وجنتاها من شدة تأثرها بهذه التجربة غير الاعتيادية . وان السيد العجوز تجاهلها عن عمد كما لو كانت حشرة غير جديرة بالاهتمام ، وراح يتكلم عن دروس (لوري) ومدرسيه . ثم التفت فجأة الى السيدة (مارتش) ، كمن داهمته الفكرة على نحو عرضي ، ليقول:

«اجد بان الولد بدأ يهمل دروسه الموسيقية الآن وهو امر يفرحني للغاية اذ كانت الموسيقى تستحوذ على كل تفكيره ، ولكن البيان المسكين

قد فقد من يرعاه ويعزف عليه . فهل تجد اي من بناتك الرغبة في المجيئ عندنا والعزف على هذا البيان بين الفينة والفينة فقط لمجرد ان تبقى اوتاره مدوزنة ، ياسيدتي ؟»

تقدمت (بيث) خطوة الى الامام ، ثم ضغطت يديها بشدة لكي تمنعها من التصفيق ، لانها وجدت فيما يقال اغراء لا يمكنها مقاومته ، فقد قضت فكرة العزف على هذه الآلة الرائعة على انفاسها . وقبل ان تتمكن السيدة (مارتش) من الاجابة ، واصل السيد العجوز كلامه بهزة رأس صغيرة ، بابتسامة غريبة ، قائلاً :

«وبطبيعة الحال فانهن غير مجبرات على التكلم او الالتقاء مع احد بل مجرد العزف . فانا مشغول في مكتبي الذي يقع في الطرف الآخر من البيت ، و (لوري) خارج البيت دائماً . اما الخدم فلا يدنون من غرفة الجلوس بعد الساعة التاسعة الا نادراً» .

وهنا نهض السيد العجوز ، كأنه يريد الانصراف ولكن (بيث) قررت الكلام فقد وجدت في الاجراء الاخير هذا الفرصة المطلوبة . ثم واصل الرجل كلامه قائلا : «ارجو ان تخبري الاوانس بما قلته لك فان كن غير مهتمات ، او يرفضن المجيئ ، فلا بأس في الامر» . وهنا امتدت يد صغيرة الى يده ونظرت اليه (بيث) نظرة مليئة بالامتنان وهي تقول بطريقتها الصادقة المتهيبة :

«بل انهن مهتمات ياسيدي .. مهتمات جداً جداً !»

«وهل تهوين الموسيقى؟» تساءل من غير ان يبدو مستغرباً دون ان يتكلم بصوت عالٍ وهو ينظر اليها بحنان ولطف .

«انا (بيث) . اهوى الموسيقى جداً ، واريد المجيء اذا ما تأكد لي عدم وجود من سيسمع عزفي وينزعج من جراء ذلك» قالت (بيث) وهي تهز رأسها مخافة ان تكون قد تفوهت بكلام جارح وكانت ترتعش خوفاً من جرأتها على الكلام

«لن يسمعك احد ابداً ، ياعزيزتي ، فالبيت خال نصف اليوم ، فتعالي واعزفي ماشئت وساكون ممتناً لك» .

«كم انت كريم ياسيدي» .

واحمرت (بيث) ، كالوردة ، بتأثير النظرة الحنونة التي ارتسمت على محيا السيد العجوز . ولكنها تجاوزت خوفها ، وضغطت بيدها على اليد الكبيرة لأن لسانها عجز عن التعبير عن امتنانها للهدية الغالية التي قدمها لها . وربت الرجل عليها بحنان ، ثم انحنى ليطبع قبلة حنونة على خدها وليقول بلهجة لم يسمعها سوى قلة من الناس :

«فيما مضى كانت لي ابنة لها مثل عينيك ياعزيزتي ! اتمنى لك يوماً سعيداً ياسيدتي» ثم انصرف على عجل .

ابتهجت (بيث) مع امها ثم اسرعت الى الطابق العلوي لتعلن النبأ السعيد على مجموعة الدميات الكسيحات التي بعهدتها لان اخواتها كن قد خرجن الى اعمالهن . وقد غنت بفرح تلك الامسية ، كم ضحكت اخواتها منها عندما أيقظت (ايمي) من نومها بعد ان قامت وهي نائمة بممارسة العزف باصابعها على وجهها . وفي اليوم التالي ، وبعد ان شاهدت السيدين العجوز والشاب يخرجان من البيت ، قامت (بيث) ، بعد ان ترددت مرتين او ثلاث ، بدخول البيت الكبير من باب جانبي ،

ومشت بهدوء الفأر الى غرفة الجلوس حيث جثم معبودها . وبصورة عرضية « بطبيعة الحال ، كانت هناك عدة نوطات موسيقية على البيان . وبعد تردد وانصات والتفات هنا وهناك للتأكد من عدم وجود احد قامت اخيراً بلمس الالة الكبيرة باصابع مرتعشة . وما ان تم لها ذلك حتى نسيت مخاوفها ، ونسيت نفسها بل نسيت كل شيئ ، باستثناء مااعترتها من بهجة لاتوصف وهي تسمع صوت الموسيقى الذي كان بمثابة صوت صديق حبيب .

وبقيت (بيث) في البيت الكبير حتى الوقت الذي جاءت فيه (حنه) لاستصحابها الى البيت لتناول طعام الغداء . ولكنها كانت غير راغبة في ذلك ولم يسعها سوى الجلوس والنظر الى اخواتها بابتسامة وهي في سعادة طوباوية.

صارت القلنسوة السمراء تنسل يومياً تقريباً من خلال سياج الشجيرات ، واخذت غرفة الجلوس الضخمة في البيت الكبير تشهد حضور روح موسيقية كانت تغدو وتروح غير مرئية . ولم تدرك ابداً بان السيد (لورنس) كان يفتح باب مكتبه في اغلب الاحيان ليسمع القطع الموسيقية القديمة التي كان يعشقها ولم تشهد ابداً كيف كان (لوري) يقف خفيراً في الردهة ليدفع الخدم بعيداً عن غرفة الجلوس ، كما لم تشك ابداً بان كتب التمارين الموسيقية ، ونوطات الاغاني الجديدة ، التي كانت تجدها على رف البيان انما وضعت هناك لفائدتها هي بالذات .

وعندما كان السيد العجوز يحدثها عن الموسيقى في بيتهن كانت تقول في نفسها مااكرم هذا الرجل الذي يحدثها عن امور تساعدها في ممارستها

العزف . وهكذا اخذت (بيث) تقضي اوقاتاً سعيدة وقد اكتشفت مالم يكن عليه الحال دائماً وهي ان امنيتها المتحققة كانت في الواقع كل ما أملت الحصول عليه . ولربما كان الامر كذلك لان امتنانها لهذه النعمة كان قد بلغ حداً افاض عليها نعمة اخرى .

وفي كل الاحوال كانت جديرة بالنعمتين .

«لقد قررت ان اصنع خفاً للسيد لورنس .

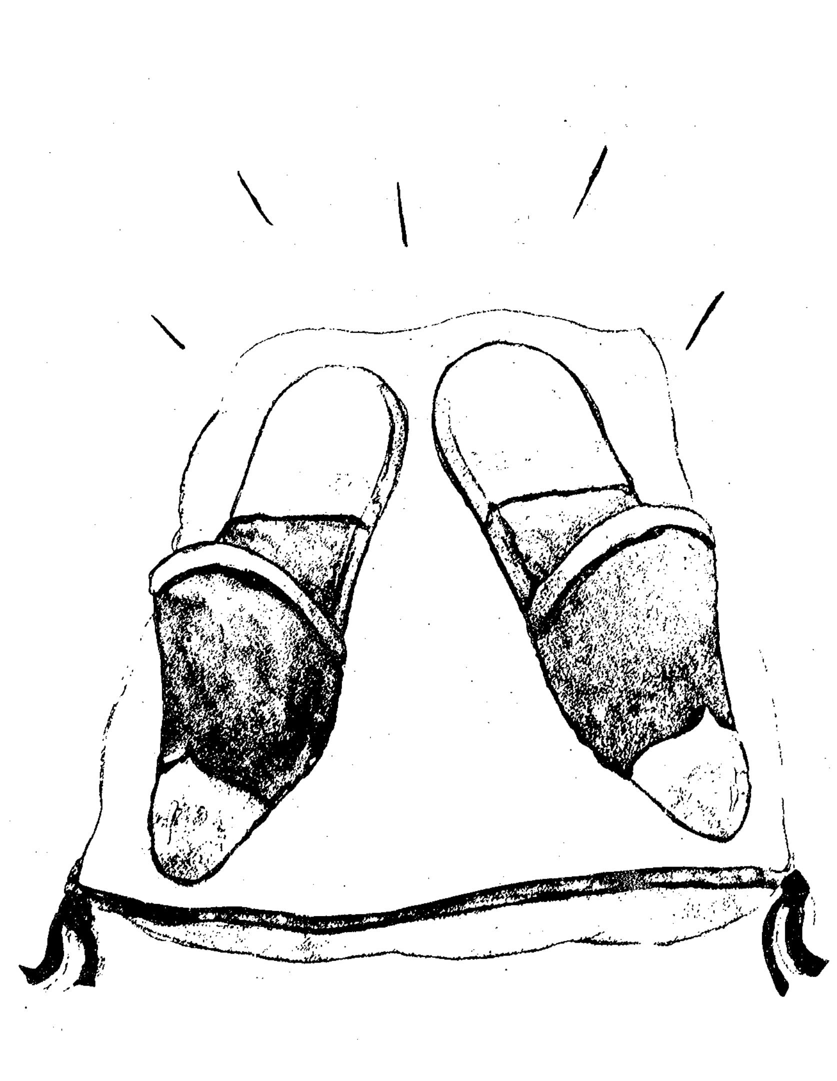
لقد اغرقتني بكرم يتوجب علي شكره ، ولااعرف غير هذه الطريقة التي اخترتها . فهل يمكنني عمل ذلك؟» تساءلت (بيث) بعد بضعة اسابيع من زيارته المباركة آنفة الذكر .

«اجل ياعزيزتي . سوف يسعده هذا الامر الى حد كبير . كما انها طريقة بديعة للاعلان عن امتنانك وشكرك . ستساعدك اخواتك وساقوم انا بدفع مايترتب على الامر من مصاريف» اجابت السيدة (مارتش) التي كانت تجد متعة غريبة في الاستجابة الى مطالب (بيث) لانها قلما طلبت اي شيئ لنفسها .

وبعد العديد من المناقشات الجادة مع (ميج) و (جو) ، تم اختيار الشكل وشراء المواد المطلوبة لصنع الخف . وهكذا بدأ العمل . وقد تقرر وضع عنقود قاتم – ولكنه بهيج المنظر – من زهور الثالوث(*) على ارضية ارجوانية غامقة باعتباره لائقاً وجميلاً . وقد انهمكت (بيث) في العمل في كل الاوقات ولم تقبل المساعدة الا في الاجزاء الصعبة جداً .

وكانت عاملة دؤوبة للغاية . وهكذا انجز العمل قبل ان تتمكن اية واحدة منهن من الشعور بالملل . وبعد ذلك قامت بكتابة رسالة قصيرة ،

زهور الثالوث : نوع من البنفسج



وبمساعد لوري تم تهريب الهدية الى البيت الكبير ووضعها على المنضدة في مكتبة اليد العجوز ، في صباح يوم ما ، قبل نهوضه من الفراش .

وعندما انتهت موجة الاثارة هذه وهدأت اخذت (بيث) تترقب النتيجة . ومضى ذلك اليوم وكذلك جزء من اليوم الذي تلاه دون ان تستلم اي اشعار بالاستلام .

وبدأت تظن: لربما انها قد جرحت شعور صديقها ، ذي النزوات والافكار الغريبة . وبعد ظهور اليوم الثاني خرجت للقيام بمهمة معينة ولاعطاء (جوانا) ، دميتها المقعدة ، فرصة الخروج الى الهواء الطلق ، وبينما كانت تسير في الشارع ، عند عودتها ، شاهدت ثلاثة ، لابل اربعة رؤوس تبرز وتختفي من شباك غرفة الجلوس في بيتهن . وما ان شوهدت (بيث) حتى برزت عدة ايدي ملوحة وسمعت عدة اصوات تصيح :

«هذه رسالة من السيد العجوز . اسرعي وأقرأيها !»

«آه يا (بيث) ، لقد ارسل لك – بدأت (ايمي) تتكلم وتومئ بيدها بطاقة غير معهودة ، ولكنها لم تستطع الاسترسال في حديثها اذ قطعتها (جو) باغلاق النافذة.

هرعت (بيث) وقد انتابتها رعشة قلق وحيرة وما ان وصلت باب البيت حتى اخذتها اخواتها الى غرفة الجلوس بمسيرة الابتهاج بالنصر وهن يشرن ويقلن بصوت واحد: «انظري هناك .. انظري هناك !» والقت (بيث) نظرة ولكن لونها امتقع من شدة فرحتها ودهشتها : لقد وقف امامها بيان صغير وجدت فوق غطائه اللماع ظرفاً كتب عليه

«الى الانسة اليزابيث مارتش» .

«اهذا لي انا ؟ » تساءلت (بيث) لاهثة ، ثم امسكت بـ (جو) وهي تشعر بضعف كاد يطيح بها ارضاً — لقد كانت مفاجأة غامرة .

«اجل انه لك ، ايتها الغالية ! اليس هذا كرم عظيم منه ؟ الاتظنين انه اعز رجل في الدنيا ؟

يكمن مفتاح المفاجئة هذه في الرسالة . لم نفتح الرسالة بعد ولكننا نتحرق شوقاً للاطلاع على ماكتب فيها»

صاحت (جو) وهي تعانق اختها وتسلمها الرسالة .

«اقرأيها انت ! لايمكنني قراءتها ! اذ ينتابني شعور غريب جداً ! يالها من مفاجأة جميلة للغاية» ،قالت (بيث) ثم دفعت رأسها لتخفي وجهها في مئزر (جو) بعد ان اثارتها هذه الهدية.

فضت (جو) مظروف الرسالة وبدأت تضحك لان الكلمات الاولى التي وقعت عيناها عليها كانت:

الآنسة مارتش

سيدتي العزيزة

«ماجمل وقع هذه الكلمات ! ليتني اجد من يكتب لي بهذا الاسلوب» ، قالت (ايمي) التي ظنت ان هذه الطريقة المحافظة في توجيه الرسائل كانت انيقة ورائعة للغاية .

«لقد سبق لي الحصول على ازواج كثيرة من الاخفاف في حياتي ولكنني لم احصل على زوج منها راق لي بالشكل الذي راقني الزوج الذي ارسلته» واصلت (جو) قراءتها . «ان زهور الثالوث هي زهوري المفضلة

وهي التي ستذكرني دوماً بالواهبة الكريمة . وبما اني اود دائماً تسديد مابذمتي من ديون ، فاني ادرك بانك ستسمحين للسيد العجوز بان يرسل لك شيئاً كانت ملكيته تعود الى حفيدته الصغيرة التي فقدها . ارجو قبول امتناني وتمنياتي الطيبة وسابق دائماً ، صديقك الشاكر ، وخادمك المتواضع ، المخلص

جيمس لورنس

«هذا شرف يستحق ان تفخري به يا (بيث) . اني واثقة من ذلك . لقد اخبرني (لوري) عن مدى الحب الذي كان السيد (لورنس) يكنه للطفلة التي توفيت ، وقد تعمد المحافظة على كافة ما كان لديها من اشياء وصيانتها .

فيمكنك تصور مقدار حبه لك بعد أن اهداك البيان الخاص بها . وهذا بسبب عينيك الزرقاوين ، وحبك الموسيقى ،» قالت (جو) وهي تحاول التخفيف عن (بيث) التي كانت ترتجف والتي بدت اكثر اهتياجاً من قبل

«لاحظي : مابرع شكل حاملتي الشموع ، وهذا القماش المخملي ، الاخضر اللون الذي طرزت عليه ورود بخيوط ذهبية ، وحاملة النوطات الموسيقية والمقعد – كل شيئ كامل » قالت (ميج) وهي تفتح الآلة وتعرض نقاط جمالها .

«تصوري : خادمك المتواضع – جيمس لورنس – ياالها من طريقة جميلة في المخاطبة . سوف اخبر جميع زميلاتي في المدرسة ، سيذهلهن الامر وسيظنن بانه شيئ رائع جداً ،

قالت (ايمي) وقد حازت الرسالة على اعجابها

«هيا ، ياحبيبتي ، حاولي العزف لنسمع هذا البيان الطفل» قالت (حنة) التي كانت دوماً تشارك العائلة افراحها واحزانها.

وهكذا جلست (بيث) وجربت هذه الآلة الجديدة ، وقد شهد الجميع بان لهذا البيان افضل ماسمعن من اصوات . ومن الواضح ان اوتاره قد تم دوزنتها مؤخراً ، مما جعل الآلة هذه في احسن حال .

وبغض النظر عن جماله وكماله ، فان الفتنة الحقيقة تكمن على ماظن ، في اكثر الوجوه سعادة – ذلك الوجه الذي انحنى يعزف على البيان . وهكذا راحت (بيث) تلمس بحنان مفاتيحه البيضاء والسوداء وتدوس بقدميها على الدواستين المتلامعتين

«يتوجب عليك الذهاب لشكره» قالت (جو) وهي تمزح لان فكرة ذهاب هذه الطفلة لم تكن من الامور التي كان بامكان (جو) تصورها .

«اجل ، اني عازمة على القيام بذلك . افضل الذهاب الآن ، على ماظن ، قبل ان انثني عن عزمي لما قد يولده تفكيري بالامر من خوف لدي . » وكم كانت دهشته أزاء هذه العائلة كبيرة عندما نهضت (بيث) ومشت بعزم من خلال الحديقة والسياج النباتي ، الى باب بيت (لورنس) .

«ياالهي ! هذا أغرب ماشاهدت في حياتي ! لقد افقدها هذا البيان توازنها » علقت (حنة) قائلة وهي تتبع (بيث) بنظرها ، بينما وقفت اخواتها مذهولات من هول هذه المفاجئة ، لابل المعجزة .

ولربما ازداد عجبهن وحيرتهن اكثر لوانهن شاهدن ماقامت به (بيث)

بعد ذلك . فاذا تصدقني ايها القارئ الكريم ، فانها ذهبت وطرقت باب مكتب السيد (لورنس) قبل ان تعطي نفسها فرصة للتفكير . وعندما صاح الصوت الاجش «ادخل» فانها دخلت ومشت الى السيد (لورنس) ، الذي بدا مذهولاً للغاية ، ومدت يدها قائلة ، وقد انتاب صوتها رعشة صغيرة فقط :

«جئت اشكرك ياسيدي على — » . ولكنها لم تنه ماقالت . فقد بدا الرجل العجوز ودوداً الى الحد الذي انساها ماجاءت لتقوله . ولم يبق في ذهنها سوى الفتاة الصغيرة التي كان يحبها والتي فقدها ولذلك فانها طوقت رقبته بذراعيها وقبلته .

ولو قدر لسقف الغرفة ان يهوي متداعياً في تلك اللحظة لما وجد السيد العجوز نفسه اكثر دهشة . ولكن الامر راق له للغاية — وقد اثرت في نفسه هذه القبلة الصادقة ، وفرح بها ، الى درجة فقد من خلالها كل خشونته وصلابته . وهكذا اجلس السيد (لورنس) (بيث) فوق ركبتيه وضغط خده المجعد على خدها الوردي ، الاملس وهو يشعر بانه قد استرد حفيدته ثانية .

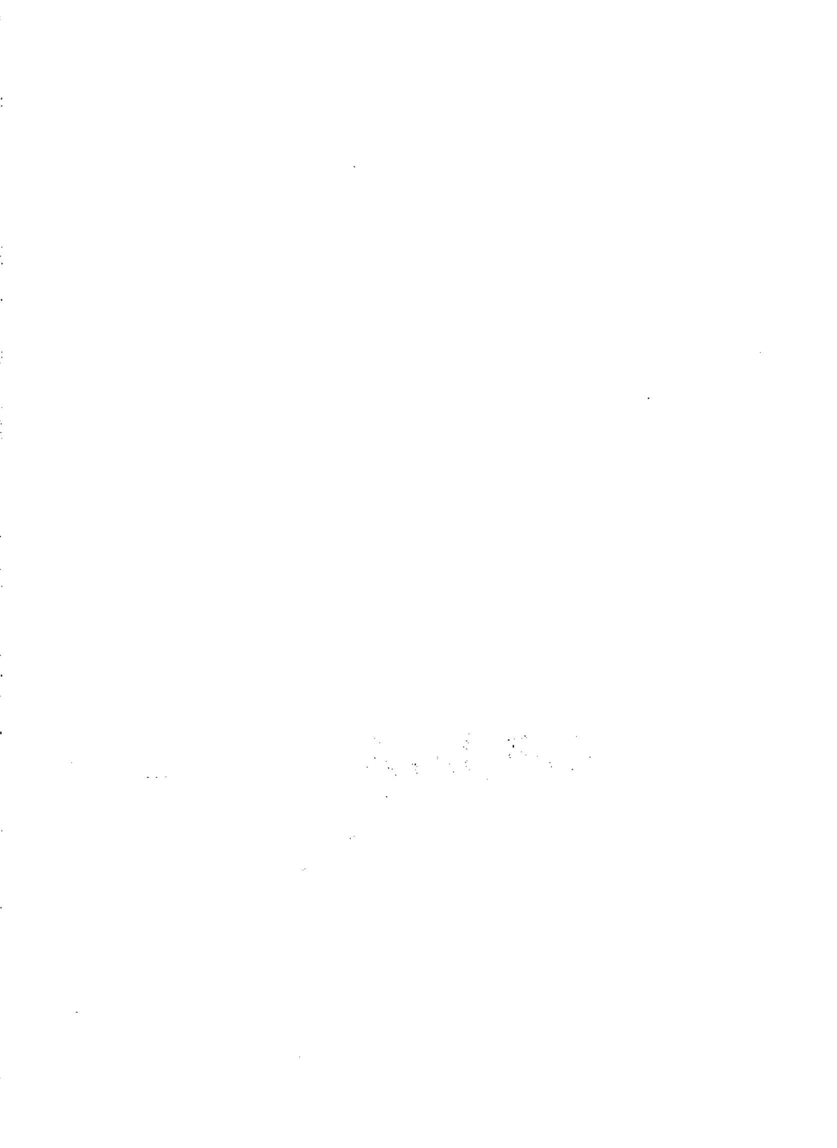
ومنذ تلك اللحظة بالذات توقفت (بيث) عن الخوف منه وجلست حيث هي تتجاذب معه اطراف الحديث برقة وبادب وكأنها قد عرفته طوال حياتها . فالحب يطرد الخوف والشكر يدحر الكبرياء . وعندما انصرفت عائدة الى البيت ، مشى السيد (لورنس) معها الى بوابة حديقة بيتها ، ثم هز يدها مصافحاً بادب ورقة ولمس قبعته مودعاً قبل استدارته للعودة الى البيت وقد بدا جليلاً ، منتصباً كجندي وسيم ، كبير السن ،

وهذا ماكان في الواقع .

وعندما شاهدت الفتيات مادار امامهن ، رقصت (جو) طرباً تعبيراً عن رضاها ، وكادت (ايمي) تهوي من الشباك ساقطة من شدة المفاجئة ، بينما علقت (ميج) قائلة ، وهي ترفع يدها الى الاعلى :

«اعتقد ان العالم يقترب من نهايته» .

الفصل السابع





تجربة اي - مي المهنية

«ان هذا الفتى سيكلوب(*) مثالي أليس كذلك؟» قالت (ايمي) باعجاب في احد الايام وهي تشاهد (لوري) يمر من امام البيت وقد امتطى جواداً واخذ يلوح بسوطه في الهواء .

«كيف يمكنك ان تصفه بهذا الشكل وهو لايزال يحتفظ بعينين - ويالهما من عينين جميلتين» صاحت (جو) التي كانت ترفض اي عبارة جارحة توجه ضد صديقها .

«لم اقل شيئاً عن عينيه . ولاافهم لغضبك سبباً . اني فقط اعبر عن اعجابي بفروسيته» .

(*) - السيكلوب - (في الاسطورة اليونانية) عملاق من جيل العمالقة ذو عين واحدة وسط الجبين .

«ياالهي ! هذه الفتاة الساذجة تقصد إنه قنطور (*) (*) بينما قالت انه سيكلوب» ، علقت (جو) قائلة ثم انفجرت ضاحكة . «لاداعي لان تكوني بهذه الدرجة من الفظاظة ، انها مجرد (هفوة لسان) على حد تعبير الاستاذ(ديفز) باللاتينية»اجابت (ايمي) وهي تضع حداً لما قد يبدو من (جو) من تعليقات باستخدامها هذه العبارات اللاتينية . «ليتني املك جزء من النقود التي يبذلها (لوري) في سبيل هذا الحصان» اضافت كأنها تخاطب نفسها ولكنها تمنت ان تسمعها اخواتها .

«لماذا؟» تساءلت (ميج) بلطف لان (جو) قد انفجرت ضاحكة ، مرة اخرى ، في اعقاب خطأ (ايمي) الثاني .

«لاني بحاجة ماسة لهذه النقود ، فاني انوء تحت وطأة دين ثقيل ، وسوف لايحين دوري لكي اكون مسؤولة عن مبلغ المصاريف النثرية الا بعد مضي شهر واحد» .

«دين ثقيل ؟ ماهذا يا (ايمي) ؟ ماذا تعنين ؟» تساءلت (ميج) وقد ارتسمت على وجهها نظرة جادة .

«اني مدينة باثنتي عشرة ليمونة من الليمون الحامض ولايمكنني تسديد ديني هذا الابعد حصولي على بعض المال لاسيا وان (مامي) قد حرمت علي الشراء من حانوت المدرسة بالدين» .

«اخبريني بالامر كله . هل اصبح الليمون هو المادة المرغوبة هذه الايام . لقد كان المطاط ، الذي يستخدم لصناعة الكرات ، هو المرغوب فيه قبل فترة من الزمن»

(*) (*) – القنطور – (في الاسطورة اليونانية) كائن خرافي نصفه رجل ونصفه الآخر فرس

تساءلت (ميج) وهي تحاول ضبط نفسها تجاه (ايمي) التي بدت جادة ، ذات شأن .

«تقوم الفتيات كافة بشراء الليمون الحامض ، واذا ماارادت تفادي ان يقال انك بخيلة فعليك القيام بذلك ايضاً . ان الليمون الحامض هو الشيئ المتداول هذه الايام : اذ تحتفظ التلميذات كافة بكميات منها داخل الرحلات المدرسية ، كما يستخدمنها في المقايضات للحصول على اقلام الرصاص ، او القلائد الخرزية او الدمى الورقية او غير ذلك . وتتم هذه المقايضات اثناء الفرص واذا مااستلطفت تلميذة زميلة لها اعطتها ليمونة واذا مااغضبتها تعمدت تناول ليمونة امامها دون السماح لها حتى بامتصاص شيئ من عصيرها . وتتم الاستعاضة بالتناوب . ولقد تناولت الكثير من الليمون من زميلاتي الا انني لم ارد الضيافة لحد الآن . لابد لي من رد الضيافة لانها مسألة شرف ، كما تعلمين» .

«كم يتطلب لتسديد ديونك ويعيد لك فخرك»

تساءلت (ميج) وهي تخرج حافظة نقودها .

«يغطي مبلغ ربع دولار النفقات كافة ويزيد عنها بعض الشيئ بما يكفي لشراء بعض الليمون لك . الا تحبينه ؟»

«لا استسيغه كثيراً . ويمكنك اخذ حصتي ان شئت».

«خذي المبلغ وحاولي ان تكتفي به لاطول فترة ممكنة لانه ليس مبلغاً كبيراً كما تعلمين» .

«شكراً لك ياعزيزي . ماأجمل ان يكون لدى الانسان مصروف جيب! سوف اقيم وليمة كبيرة لاني لم اذق ليمونة واحدة هذا الاسبوع .

وقد شعرت بشيء من الاحراج تجاه قبول شيء منها من صديقاتي لعدم تمكني من الرد بالمثل وقد عانيت الكثير من هذه الحالة» .

وفي اليوم التالي وصلت (ايمي) الى المدرسة متأخرة بعض الشيء ، ولكنها لم تتمكن من مقاومة اغراء عرض رزمة الورق الاسمر ، الرطبة ، التي حملتها بيدها قبل ان تودعها في غياهب الجزء المغلق من رحلتها المدرسية .

وماهي الا لحظات حتى شاع خبر الليمونات الاربع والعشرين ، اللذيذات ، التي جاءت بها (ايمي مارتش) – لقد اكلت واحدة منها اثناء مجيئها الى المدرسة – وهي تنوي توزيعها على زميلاتها . وسرعان ما انتشر الخبر بين معارفها وصديقاتها واستقطب اهتمامهن استقطاباً منقطع النظير ، فما كان من (كايتي براون) سوى القيام فوراً بدعوتها لحضور حفلتها المقبلة . اما (ماري كنجزلي) فقد اصرت على اعارتها ساعتها لحين موعد الفرصة . كما قررت (جيني سنو) على الفور – وهي الشابة الساخرة التي طالما وجدت في اخفاق (ميج) في الحصول على الليمون لتسوية مايترتب، عليها من ديون موضوعاً لسخريتها اللاذعة – قررت عقد صلح مع (ايمي) كما تبرعت بالقيام بمساعدتها في حل بعض المسائل الحسابية الصعبة .

ولكن (ايمي) لم تكن قد نسيت ملاحظات الانسة (سنو) الجارحة عن «البعض اللواتي لاتكف انوفهن عن شم مالدى زميلاتهن من ليمون واللواتي لم يأبين من استجداء البعض منها» . ولذلك قررت ان تخيب آمال «ابنة (سنو)» هذه من خلال برقية مهلكة طيرتها لها مفادها :

«لاداعي للتظاهر بالادب واللياقة على نحو فجائي فلن تحصلي على ليمونة واحدة».

ولقد شاءت الظروف ان يزور المدرسة ذلك الصباح شخصية مرموقة، ولاحظ الخرائط المتقنة التي كانت (ايمي) قد رسمتها فابدى استحساناً وثناء منقطعي النظير. وقد حز هذا الشرف في نفس عدوتها التي لم يرق لها هذا النجاح الذي دفع بالانسة (مارتش) الى ان تتخذ لنفسها سيماء الطاووس المجد، المولع بالدراسة. وياللاسف! .

اجل، ياللاسف! فالكبرياء يسبق الأفول: فقد قامت (سنو) المنتقة بقلب الموازين بنجاح فادح، وخيم العاقبة. فما ان انتهى الزائر من تقديم تهانيه وتمنياته البالية، الاعتيادية وانحنى باحترام عند خروجه، حتى قامت (جني)، بحجة طرح سؤال هام، باخبار المعلم السيد (ديفز) بان الانسة (مارتش) لديها بعض الليمون الذي قد وضعته في رحلتها.

وكان السيد (ديفز) قد حرم جلب الليمون واعتبره من الاشياء المهربة واقسم ان يعاقب بالمقرعة علانية اول من يجدها تخرج على هذا القانون. وقد نجح هذا الرجل الشديد المعاناة في محاربة العلك بعد جهاد طويل وعنيف واضرم النار في مجموعة من الروايات والصحف التي تمكن من مصادرتها، كما وضع الحظر على دائرة بريد خاصة ومنع منعاً باتاً تحريف الوجه وتشويهه كما منع استخدام الكنى والالقاب ورسم الكاريكتيرات. وبقدر مايمكن لاي رجل ان يحققه بمفرده فقد تمكن من فرض سيطرته على خمسين فتاة متمردة. واذا ماعلمنا بان الصبيان يجهدون الانسان ويرهقون صبره لابد لنا ان ندرك بان الفتيات يشكلن

عبئاً اثقل ومشكلة اعقد لاسيا بالنسبة للرجال عصبي المزاج ، اصحاب النزعات الاستبدادية ، الذين لايملكون من موهبة التدريس اكثر مما يملكه الدكتور (بلمر[*]) . وكان للسيد (ديفز) المام محدود باللغتين الاغريقية واللاتينية وبمبادئ الجبر و بعض العلوم الاخرى ولذلك قيل انه استاذ فاضل . اما الآداب والاخلاق والمشاعر والعبر فلم يعرها اهمية خاصة .

وكانت لحظة غير ملائمة جداً تلك التي تم فيها تأنيب (ايمي) وشجب ماقامت به . وكانت (جيني) تدرك ذلك جيداً . ومن البديهي ان السيد (ديفز) كان قد تناول صباح ذلك اليوم قهوة مركزة للغاية ، كما كانت الرياح في ذلك اليوم شرقية تؤثر سلباً على المه العصبي ، ولم تكن تلميذاته قد قدرن ماشعر باستحقاقه من فضل كان له عليهن . ولذلك ، وعلى حد تعبير احدى التلميذات – بالرغم من كونه تعبيراً غير مهذب فانه كان معبراً للغاية – و «كان عصبياً كالساحرة وغاضباً كالدب» . وكانت عبارة «الليمون» مثل النار التي تلامس البارود : فقد توهج وجهه الاصفر . الكالح ، وضرب بيده على منضدته بطاقة وقوة دفعتا (جيني) الى القفز الى موضع جلوسها بسرعة غير معهودة .

«انتباه من فضلكن ايتها الفتيات المهذبات!»

وبهذا الايعاز الشديد اللهجة توقف الطنين فوراً ، واستقطب وجهه المرعب خمسين زوجاً من العيون الزرقاء والسوداء والرمادية والبنية – عيون حدقت جميعها فيه باذعان تام .

(*) – الدكتور بلمر وابنته (كورنيليا) : شخصيتان من شخصيات رواية (دومبي وابنه) للكاتب الروائي الشهير (جارلس ديكنز) المترجم

«آنسة (مارتش) ! تعالي الى المنضدة !»

نهضت (ايمي) لتستجيب بهدوء ظاهري ، ولكن شعوراً خفياً بالخوف كان يضطهدها لان الليمون كان يرهق ضميرها .

«اجلبي معك مالديك من ليمون تخفيه في رحلتك» .كان هذا ايعاز غير متوقع شل حركتها قبل ان تتمكن من الخروج من رحلتها .

«لاتعطه كل مالديك» همست احدى جاراتها وكانت شابة مهذبة تتمتع بحضور البديهة .

وبسرعة قامت (ايمي) باخفاء مايقرب من الست ليمونات ثم وضعت المتبقي منها تحت انظار السيد (ديفز) وهي تشعر بان اي رجل يملك قلباً انسانياً لابد ان يرق بعد ان تصل الى انفه رائحة الليمون اللذيذة .

ولكن السيد (ديفز) ، واأسفاه ، كان يمقت رائحة الليمون بصورة خاصة وبذلك اضيف الى غضبه شعور بالاشمئزاز والنفور .

«هل هذا كل مالديك ؟»

«ليس بالضبط» ترددت (ايمي)

«اذاً اجلبي البقية على الفور !»

وبنظرة يائسة القتها على الليمونات الست التي كانت قد أبقتها ، امتثلت للامر .

«انت واثقة بعدم وجود المزيد منها؟»

«اني لا اكذب ابداً ياسيدي» .

«هذا واضح . والآن التقطي زوجاً بعد زوج من هذه الليمونات والقي بهما خارج النافذة» .

وبذهاب آخر امل لهن ، وتأكدهن من انهن قد حرمن من الوليمة التي تاقت شفاههن الى تذوقها ، اطلقت الفتيات حسرات متزامنة وكأنها ادت الى هبوب ريح فجائية . وهكذا اخذت (ايمي) تميل الى الامام تارة والى الخلف تارة اخرى ست مرات رهيبة وهي تلقي بليموناتها خارج الشباك وقد اعترت وجهها حمرة الغضب والعار .

وكلما اطلقت من يديها المترددتين زوجاً من الليمونات — التي بدت ، وأسفاه ، مكتنزة ريا للغاية — اتتها بالمقابل صيحة من الشارع كانت تزيد من لوعة الفتيات اللواتي ادركن بان وليمتهن قد اصبحت من نصيب الاطفال الايرلنديين الذين كانوا اعداءهن اللدودين وكان هذا الامر اكثر مما تمكنت الفتيات المهذبات من تحمله ومعاناته ولذلك اطلقت عيونهن ومضات غضب او التماس باتجاه السيد (ديفز) العنيد الذي لايرحم ، وقد انفجرت احدى عاشقات الليمون باكية لهذا المصاب الاليم .

وبعد ان انتهت الانسة (مارتش) تنحنح السيد (ديفز) بطريقة تنذر بالسوء . ثم تكلم على نحو مهيب ومؤثر للغاية قائلاً : «انكن تذكرن ، ايتها الاوانس ، ماقلته قبل اسبوع . ان ماحدث اليوم هو امر يؤسفني جداً ولكنني لا اسمح ، ولن اسمح ابداً ، بالتجاوز على انظمتي وتعليماتي كما انني لا اتراجع عما اقوله . مدي يدك يا آنسة (مارتش) !»

حدقت (ايمي) النظر برهة ثم وضعت يديها خلفها وهي تنظر الى المعلم نظرة توسل وتضرع اغنت عن كل مايمكنها ان تقول من كلام . وكانت (ايمي) بصورة عامة من المفضلات لدى «ديفز العجوز» — كما كان يلقب من قبل التلميذات . وانا اومن شخصياً بانه كان على استعداد



للرجوع عن كلامه لولا السخط الذي لم تتمكن احداهن من التغلب عليه والذي وجد لنفسه متنفساً في هسيس استهجان انطلق منها .

وبالرغم من ضعف صوت هذا الهسيس فانه اثار هذا السيد الغضوب وقرر مباشرة مصير المذنبة .

«مدي يدك ياآنسة (مارتش !» كان هذا الجواب الوحيد لالتماسها الصامت . ولانها كانت فتاة ابية لاترضى لنفسها اللجوء الى التضرع والتوسل فانها اطبقت فكيها باحكام ، ودفعت رأسها الى الخلف بتحدٍ ، وتحملت وطأة عدد من الضربات الموجعة التي توالت على راحة يدها الصغيرة دون احجام او اجفال .

ولم تكن هذه الضربات كثيرة ولامؤثرة الا ان ذلك لم يغير من الامر شيئاً ابداً .

فقد كانت هذه المرة هي المناسبة الاولى التي تضرب فيها (ايمي) وقد عكست عيناها شعوراً بالعار كاد يطيح بها ارضاً لشدة وطأته عليها .

«والآن عليك الوقوف فوق المنبر حتى تحين الفرصة»

قال السيد (ديفز) الذي قد قرر انهاء الامر بشكل تام ومؤثر بعد ان بدأ العمل به .

كان هذا امراً فظيعاً للغاية . فان رجوعها الى مقعدها ومشاهدة وجوه صديقاتها التي ارتسمت عليها نظرات الرأفة والرحمة ، ووجوه عدواتها التي ظهرت عليها نظرات الرضى والتشفي -- كان امراً سيئاً بحد ذاته . اما وقوفها امام الجميع وهي تحمل عارها هذا فبدا امراً مستحيلاً لايطاق . ولاول مرة شعرت بانها ستهوي ساقطة لتسحق قلبها بالبكاء

ولكن شعورها وتفكيرها بـ (جيني سنو) ، مكناها من التحمل . وهكذا اخذت محلها في ذلك الموقع سيئ الصيت وركزت انظارها على مدخنة المدفئة فوق مابدا لها الآن بحراً من الوجوه ، ووقفت هناك بلا حركة ، وقد شحب لونها ، بحيث وجدت زميلاتها صعوبة كبيرة في التركيز على الدراسة وقد مثل امامهن هذا الشكل البشري المؤلم .

وخلال الخمس عشرة دقيقة التي تلت عانت هذه الفتاة الابية ، الحساسة عاراً والماً لم تنسهما ابداً . ولربما بدا الامر للبعض من زميلاتها تافهاً ، عديم الاهتمام اما بالنسبة لها فقد كان تجربة قاسية ، مرة . فمن خلال سني حياتها الاثنتي عشرة لم تعرف سوى الحب والرقة وان تجربة من هذا النوع لم تكن قد عرفت طريقها اليها . وفي خضم ذلك اللسع الذي داهم تفكيرها نسيت ما اصاب راحة يدها من الم ، وماعصف في قلبها من اوجاع : «يتوجب علي ان اقص على افراد عائلتي تفاصيل هذا اليوم ، وسيصبن بخيبة امل نتيجة ذلك» .

وبدت الخمس عشرة دقيقة كأنها ساعة ولكنها سرعان ما انتهت اخيراً ولم يكن لكلمة «الفرصة» وقتاً اجمل في الماضي .

«يمكنك الانصراف يا آنسة (مارتش) » قال السيد (ديفز) وقد بدا – كما كان يشعر – متضايقاً .

ولم ينس تلك النظرة التأنيبية التي حدجته بها (ايمي) اثناء خروجها . وعندما خرجت توجهت الى الحجرة المؤدية الى الصف من غير ان تكلم احداً من زميلاتها .

وبعد ان اخذت حاجياتها تركت المكان «الى الابد» كما اعلنت في

نفسها بانفعال . عندما وصلت الى البيت كانت في حالة نفسية سيئة : وبعد ان عادت اختاها الكبريان الى البيت تم على الفور عقد اجتماع ساخط .

لم تتكلم السيدة (مارتش) كثيراً ، ولكنها بدت منزعجة وقد حاولت تعزية ابنتها الصغيرة المبتلاة ، بارق ماتمكنت من عبارات . اما (ميج) فقد دعكت اليد المهانة بشيء من الغلسرين والدموع . وقد شعرت (بيث) بان هريراتها عاجزات عن توفير الراحة لاختها الكبرى او ان يصبحن مرهماً لمثل هذه الآلام .

ولكن (جو) اقترحت ، بشيء من الغضب . وجوب القاء القبض على السيد (ديفز) فوراً وبدون اي توانٍ .

ولوحت (حنة) بقبضتها وهي تتوعد هذا المجرم وقامت بهرس شيء من البطاطا لوجبة الغداء بقوة وعنف كما لو كان السيد (ديفز) قد وضع شخصياً تحت مطرقة الهاون .

لم يبال احد بهروب (ايمي) باستثناء رفيقاتها ولكن الاوانس الحادات النظر ، القويات الملاحظة اكتشفن بان السيد (ديفز) لم يكن شديد الرحمة بعد ظهر ذلك اليوم فحسب بل عصبي المزاج بشكل غير طبيعي كذلك . وقبل انتهاء الدوام الرسمي في المدرسة ظهرت (جو) وقد اعتلت وجهها نظرة صارمة ، ثم سارت نحو منضدة الاستاذ لتسلمه رسالة من امها .

وبعد ان جمعت مايعود ل(ايمي) من حاجيات غادرت المدرسة دون ان تهمل ازالة الطين من اسفل جزمتيها على الممسحة الخاصة بذلك

وكأنها تزيل غبار المكان من على قدميها .

«أجل يمكنك التمتع بعطلة من المدرسة ، ولكني اريد منك المواظبة على الدراسة قليلاً كل يوم مع (بيث) قالت السيدة (مارتش) تلك الامسية . «اني لا اقر العقوبة البدنية ، لاسيما بالنسبة للبنات ، اني لا استسيغ طريقة السيد (ديفز) في التدريس ، كما لا اعتقد بان من تخالطين من الفتيات يعدن عليك باية فائدة ولذلك سوف استشير اباك قبل ارسالك الى اي مكان آخر».

«هذا اجراء جيد ! اتمنى ان تقوم الفتيات كافة بترك هذه المدرسة وافساد كل اجراءات السيد (ديفز) . ان مجرد التفكير بهذه الليمونات الجميلات يدفع الانسان الى الجنون» تنهدت (ايمي) وهي تبدو كمن يعاني الاماً عظيمة .

«اني لست متأسفة على فقدانك هذه الليمونات لانك لم تلتزمي بالتعليمات ولانك استحقيت شيئاً من العقاب لقاء عصيانك» . كان هذا هو الجواب القاسي الذي سبب لهذه الفتاة بعض الخيبة ، لاسيما انها لم تتوقع سوى التعاطف معها .

«هل افهم من ذلك انك مسرورة لما عانيت من اهانة امام المدرسة كلها ؟» صاحت (ايمي) متسائلة .

«لو كنت انا المسؤولة لما اخترت مثل هذه الطريقة لتصحيح خطأ وقع » اجابت امها «ولكنني لست متأكدة من انها اقل جدوى من طريقة اكثر ليناً . لقد بدأت تميلين نحو الكبرياء والغطرسة ياعزيزتي ، وقد حان الوقت لكي تتداركي نفسك وتصلحي امرك . فلديك عدد من الفضائل

والمواهب الحميدة ومع ذلك لاداعي للتبجح بهما واستعراضهما امام الناس فالغطرسة تفسد افضل نابغة وعبقري . كما ان الموهبة الحقيقية والطيبة لفترة طويلة . وحتى اذا ماحصل ذلك ، فان وعي الفرد بامتلاك الموهبة او الطيبة واستغلالها الاستغلال الامثل يكون بالضرورة مجزياً ، وان سر كل قوة هو التواضع» .

«هو كذلك !» صاح (لوري) الذي كان يجلس في زاوية يلعب الشطرنج مع (جو) : «كنت على معرفة بفتاة كانت تملك موهبة موسيقية أصيلة ولكنها لم تكن تدرك ذلك ولم تعلم ماكانت تستطيع تأليفه من قطع موسيقية عندما كانت بمفردها ولو اخبرها احد بهذه الحقيقة لما صدقته ابداً» .

«ليتني تعرفت الى هذه الفتاة اللطيفة ، لربما تمكنت من مساعدتي لانني شديدة الغباء» قالت (بيث) التي وقفت بقربه وهي تنصت باهتمام بالغ .

«بل انت تعرفينها وهي تساعدك افضل من اي شخص آخر» اجاب (لوري) وهو ينظر اليها بنظرة ماكرة ذات مغزى تشع من عينيه السوداوين المرحتين . وقد احمرت (بيث) خجلاً واخفت وجهها بين وسائد الاريكة بفعل اكتشافها غير المتوقع .

تعمدت (جو) اعطاء (لوري) فرصة الفوز في اللعب ثمناً للاطراء الذي وجهه ل(بيث) التي لم تجد معها الالتماسات كافة لدفعها للعزف اثر ماسمعته من مديح . وقد بذل (لوري) قصارى جهده ، وانشد اغنية رائعة ، لانه كان في مزاج رائع . وقد يتعمد اخفاء مزاجه المتقلب كلما

كان بصحبة آل (مارتش) وبعد ذهابه الى البيت ، قالت (ايمي) التي بقيت مستغرقة في تفكير متأمل طيلة الامسية على نحو فجائي كمن داهمتها فكرة جديدة: «هل ان (لوري) هو فتى ذو مواهب متعددة؟»

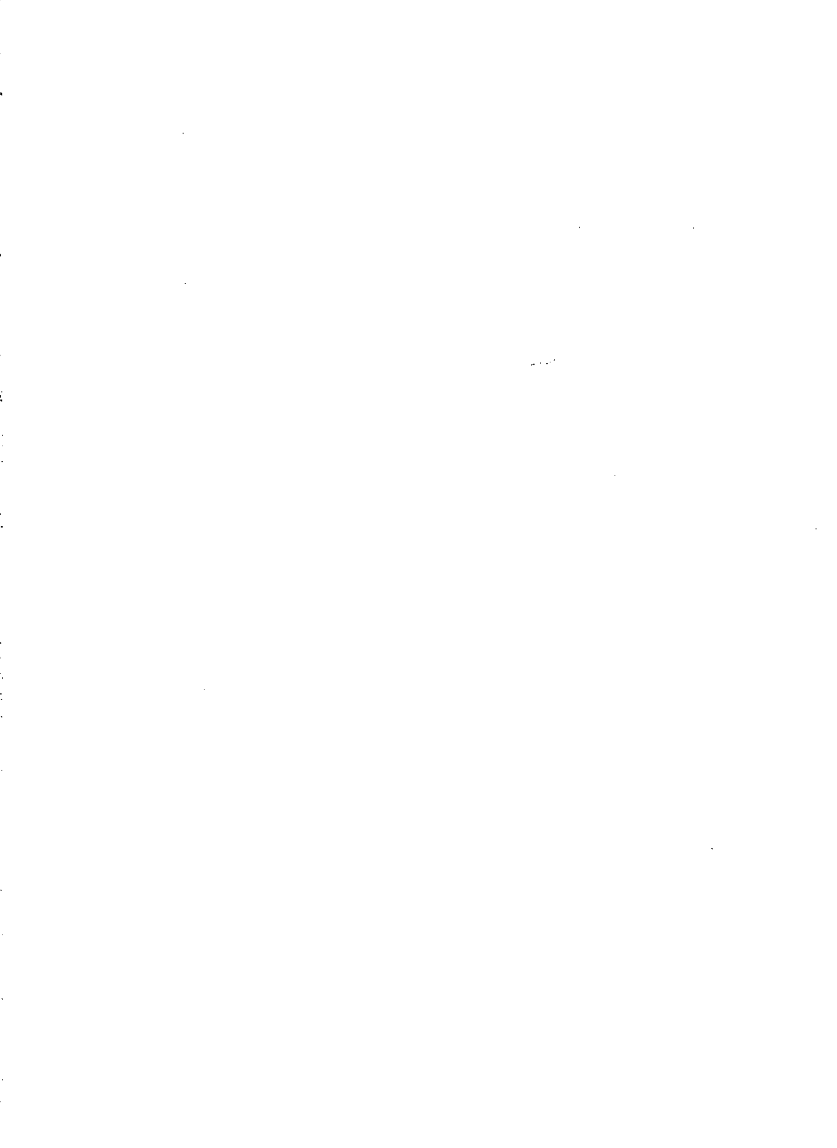
«اجل فلقد تثقف ثقافة ممتازة، ولديه مواهب كثيرة وسيكون رجلاً عظيماً اذا لم يفسده الدلال»، اجابت امها.

«وهو ليس مبتكرا، اليس كذلك؟» تساءلت (ايمي) «كلا! ولذلك فهو محبوب وكيس، كما اننا نستلطفه ونحبه جداً».

«فهمت. ما احلى ان يكون الانسان بارعاً وذا مواهب متعددة، اضافة الى كونه وسيماً على ان يتظاهر ويبالغ في ابراز اهميته»، قال (ايمي) بتأمل.

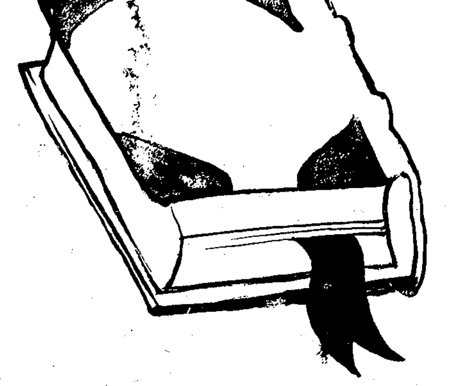
«يمكن اكتشاف هذه الصفات في الفرد من خلال تصرفاته وكلامه دائماً، اذا ما تم استخدامه لها بتواضع. ولكن ليس من الضروري له ان يقوم بالتباهي بها»، قالت السيدة (مارتش).

«مثلما لا يليق بك ان تلبسي كل ما لديك من قبعات وفساتين وشرائط في نفس الوقت لكي تشعري الناس بانك تملكين هذا القدر منها»، اضافت (جو)، وانتهت المحاضرة بضحكة.



الفصل الثامن





(جو) تلتقي بـملاك

الهاوية

«الى اين انتما ذاهبتان؟» تساءلت (ايمي) بعد ان دخلت غرفة اختيها الكبيرتين فوجدتهما منشغلتين بالتأهب للخروج على نحو يوحي بالسرية مما اثار فضولها .

«لاداعي لهذا السؤال ، فليس من حق الفتيات الصغيرات طرح الاسئلة» ، اجابت (جو) بحدة .

في الواقع ، لايوجد هناك ما يجرح شعورنا ، ويهين كرامتنا ، اثناء الطفولة ، قدر سماعنا ما سمعته (ايمي) من اختها (جو) . والاكثر اهانة هو سماعنا عبارة : «هيا يا عزيزي او عزيزتي ، اذهبي من هنا» . كبحت (ايمي) جماحها ، وضبطت اعصابها ، تجاه هذه الاهانة ولكنها قررت في

نفسها التوصل الى معرفة هذا السر باي ثمن . ثم التفتت الى (ميج) ، التي لم تحرمها من شيئ لفترة طويلة ابداً ، وقالت بتملق : «اخبريني من فضلك ، لاني اعتقد باحتمال موافقتكما على اصطحابي معكما . فـ (بيث) مشغولة ببيانها وانا لااجد شيئاً يشغلني ولذلك اشعر بوحدة قاتلة» .

«لا يمكنني ذلك ، ياعزيزتي ، لانك لست مدعوة» ، بدأت (ميج) الاجابة ولكن (جو) قاطعتها بنفاد صبر قائلة : «اسكتي يا (ميج) وإلا افسدت كل شيئ . لايمكنك الذهاب يا (ايمي) . فكفاك التصرف مثل طفلة واللجوء الى التشكي والانين» .

«انكما ذاهبتان الى مكان ما مع (لوري) . فانا ادرك ذلك . لقد كنتم تتهامسون وتضحكون ، مع بعضكم ، وانتم تجلسون على الاريكة ليلة امس ، ثم توقفتم عن الهمس عند دخولي الغرفة . ألستما ذاهبتان معه؟» .

«اجل ، اننا ذاهبتان معه . والآن اسكتي وكفي عن مضايقتنا» .

توقفت (ايمي) عن مواصلة الكلام واكتفت باستخدام عينيها فلاحظت ان (ميج) قد دست في جيبها مروحة يدوية .

«عرفت! عرفت! انكما ذاهبتان لمشاهدة تمثيلية «القلاع السبع» . صاحت ، ثم اضافت قائلة بعزم ، «وسأذهب انا كذلك فقد اخبرتني امنا بموافقتها على قيامي بذلك . كما انني املك النقود لهذا الغرض . وان اخفاء كما الامر عني كان امراً لم يخل من خبث» .

«انصتي لما اقول ، ياعزيزتي ، وكوني فتاة عاقلة» ، قالت (ميج) وهي تحاول استرضاءها . «لا ترغب الوالدة في ذهابك هذا الاسبوع لان عينيك لاتزالان بحالة غير جيدة مما لا يمكنهما تحمل شدة اضاءة انوار

المسرح . ويمكنك الذهاب والتمتع بمشاهدة التمثيلية مع (بيث) و (حنة) في الاسبوع المقبل» .

«لايستهويني الذهاب معهما بقدر نصف رغبتي في الذهاب معكما ومع (لوري) . ارجوكما اسمحا لي بالمجيء معكما فقد سئمت هذا الزكام الذي اصابني والذي اجبرني على ان اكون حبيسة الفراش والبيت لفترة طويلة . اني اتوق الى شيء من المتعة . ارجوك يا (ميج) . سأكون في غاية العقل والهدوء» ، التمست (ايمي) وهي تحاول ان تبدو في وضع يثير اكبر مقدار من العطف والشفقة .

«لماذا لانصطحبها معنا؟ لااعتقد بان امنا ستعارض اذا ما احسنا تدثيرها» .

«سوف ارفض الذهاب ان ذهبت (ايمي) ، واذا عدلت عن الذهاب فسوف لا يرضى (لوري) بذلك .

وسيخرج الامر من حدود اللياقة اذا ما اصطحبنا (ايمي) معنا لان الدعوة مقصورة علينا ، نحن الاثنتين ، فقط . وقد ظنت انها تكره زج نفسها حيث لا يكون وجودها فيه مرغوباً ، قالت (جو) بغضب لانها لم تكن تستسيغ تحمل عبئ رعاية طفلة كثيرة الحركة والتذمر في وقت كانت تود فيه التمتع دون اية منغصات .

وقد اغضب سلوك (جو) ولهجتها (ايمي) التي بدأت تلبس جزمتها وهي تقول بطريقة تثير الغضب جداً : «سأذهب معكما . لقد سمحت لي (ميج) بذلك واذا ما تحملت كلفة التذكرة فلا دخل لـ (لوري) بالأمر» .

«لا يمكنك الجلوس معنا لان مقاعدنا محجوزة ، ولا يمكنك الجلوس

بمفردك مما سيضطر (لوري) الى اعطائك مقعده الامر الذي سيفسد بهجتنا لامحالة . وخلاف ذلك فانه سيضطر الى تأمين مقعد آخر لك وهذا امر غير لائق ، لان الدعوة لم تشملك بالدرجة الاولى . وبذلك لايمكنك التحرك خطوة واحدة من هنا فمن الاجدى بك البقاء حيث انت » صاحت (جو) مؤنبة وقد ازدادت غضباً اثر وخز اصبعها بابرة نتيجة عجلتها .

جلست (إيمي) على الارض ، بعد ان انتهت من لبس فردة واحدة من جزمتها ، واخذت تبكي . وكانت (ميج) تحاول اقناعها بالعدول عن عزمها عندما نادى (لوري) من تحت واسرعت الفتاتان بالنزول تاركتين اختهما تملأ الدنيا صراخاً وعويلاً وهي التي كادت تنسى احياناً تصرفات الكبار الناضجة لتتصرف كالطفلات اللواتي افسدهن الدلال . وكانت المجموعة على وشك الانصراف عندما نادت (ايمي) من اعلى السلم قائلة بلهجة تهديد : «ستندمين على ما فعلت يا (جو مارتش) ، تأكدي من ذلك» .

«هراء!» اجابت (جو) ثم أغلقت الباب بقوة خلفها .

قضبت الفتاتان و (لوري) وقتاً سعيداً للغاية لان «قلاع البحيرة الماسية السبع» كانت تمثيلية بلغت من الروعة والجمال ما يتمناه قلب الانسان . ولكن على الرغم من العفاريت الحمر المضحكة ، والاقزام الممتلئتين نشاطاً وحيوية والامراء البديعين والاميرات الرائعات كانت بهجة (جو) وفرحتها مشوبة بشيئ من المرارة . فقد ذكرتها الضفائر الشقراء لملكة الجان باختها (ايمي) كما استذكرت خلال الفترات التي

تخللت الفصول المسرحية ما قالته (ايمي) وتأملت ما عسى ان يكون هذا الامر الذي سيجعلها تندم على ما فعلت . فقد دارت بينها وبين (ايمي) عدة مناوشات اثناء حياتهما ، اذ انهما كانتا عصبيتي المزاج وميالتين للعنف اذا ما اثيرتا . وكانت (ايمي) تضايق (جو) بمداعباتها ومزاحها بينما كانت (جو) تغيظ (ايمي) فتنفجر بينهما الحروب على نحو كاد يكون مستمراً لينتهي دائماً بخجلهما وشعورهما بالخزي من هذا التصرف . وعلى الرغم من ان (جو) كانت هي الاخت الاكبر فانها كانت الاقل سيطرة على اعصابها والاقل قابلية على ضبط نفسها ، وكانت تجد صعوبة في كبح جماح مزاجها الحاد الذي كان يدفعها دوماً الى المشاكل . ولم يكن لغضبها ديمومة طويلة ، فمتى ما اعترفت بخطأها بتواضع فانها كانت تتوب نادمة وتعد بتحسين وضعها . وكانت اخواتها يملن الى اثارتها لانها كانت تعود لتصبح ملاكاً بعد هدوء ثورتها . وقد حاولت (جو) المسكينة بكل ما اوتيت من قوة ان تكون فتاة هادئة وجيدة ولكن عدوها اللدود كان دائماً على استعداد للوقوف ثائراً ولدحرها بالنتيجة . وقد تطلب امر السيطرة على هذا العدو سنوات طويلة من الجهد الصبور .

وعندما عادت الاختان الى المنزل وجدتا (ايمي) تطالع وهي جالسة في غرفة الاستقبال وقد اتخذت لنفسها مظهر من جرح شعورها اثناء دخولهما : انها لم ترفع رأسها عن الكتاب ولاطرحت عليهما اي سؤال ابداً . ولربما تمكن حب الاستطلاع من التغلب على الاستياء والحقد لو لم تكن (بيث) هناك لتستمع الى وصف حي لتفاصيل التمثيلية . وعندما ذهبت (جو) الى الطابق العلوي لتضع احسن قبعاتها في مكانها المألوف .

فانها وجهت نظرتها الاولى صوب منضدة الكتابة الخاصة بها وذلك لان (ايمي) كانت قد اطفأت نار غضبها . اثناء آخر خصام كان لها مع (جو) ، من خلال قيامها بقلب جرارة منضدة (جو) رأساً على عقب مما ادى الى سقوط محتوياتها على الارض . ولكن (جو) وجدت هذه المرة بان كل شيء كان في مكانه الطبيعي . وبعد ان القت نظرة خاطفة على مختلف الخزانات والحقائب والصناديق قررت (جو) بان (ايمي) لابد ان تكون قد غفرت . ونسيت . ما اصابها من حيف .

ولكن (جو) كانت مخطئة للغاية – ففي اليوم التالي اكتشفت ما ادى الى نشوب عاصفة هوجاء . فقد كانت (ميج) و (بيث) و (ايمي) جالسات في وقت متأخر من عصر ذلك اليوم عندما اندفعت (جو) الى الغرفة وقد بدت عصبية وهي تطالب لاهثة : «هل اخذت اية واحدة منكن كتابي؟» .

اجابت (ميج) و (بيث) بعبارة «كلا» على الفور وبدتا مبهوتتين . اما (ايمي) فاخذت تحرك جمر الموقد بالمسعر الذي امسكته بيدها ولم تجب . وقد لاحظت (جو) تبدل سحنتها فتوجهت لها على الفور قائلة :

«لقد اخذته انت يا (ايمي)!»

«كلا لم اخذه» .

«اذاً تعلمين مكانه بالتأكيد» .

«كلا لااعلم مكانه» .

«هذه كذبة !» صاحت (جو) وامسكت باختها من كتفيها وحدجتها بنظرة شرسة تكفي لارعاب فتاة اشجع من (ايمي) بكثير .

«انها ليست بكذبة . فان الكتاب ليس لدي ، ولا اعلم مكانه الآن ولايهمني اين يكون» .

«انك تعرفين شيئاً عن امره ومن الاجدى لك ان تخبريني على الفور والا اضطررت الى اجبارك»قالت (جو) وهزت اختها هزة خفيفة .

«اشتمي مااستطعت فسوف لا ترين كتابك السخيف بعد الآن» صاحت (ايمي) التي بدأت تغضب .

«وماسبب ذلك ؟»

«لاني احرقته»

«ماذا ! كتابي الصغير الذي اهواه كثيراً والذي اجهدت نفسي في كتابته وعمدت الى الانتهاء منه قبل وصول ابينا . هل احرقته حقاً ؟» تساءلت (جو) التي شحب لونها واتقدت عيناها شراً وامسكت يداها (ايمي) بعصبية .

«اجل لقد احرقته . قلت لك ساجعلك تدفعين الثمن لقاء معاكستك لي ليلة الامس ، وقد نفذت وعدي ...»

ولم تتمكن (ايمي) من مواصلة كلامها فقد تمكن الغضب من (جو) التي اخذت تهز اختها ، حتى بدأت اسنان الاخيرة تصطك ، وهي تصرخ من شدة حزنها وغضبها قائلة :

«ايتها الفتاة الشريرة . لن اتمكن من اعادة كتابته ، ولن اغفر لك مافعلت طيلة عمرك» .

هرعت (ميج) لانقاذ (ايمي) ونهضت (بيث) لتهدئة (جو) ولكن الاخيرة هذه لم تتمالك نفسها من شدة الغضب . وبعد ان دعت اختها

بصفعة على اذنها هرعت خارجة من الغرفة تنشد اريكتها القديمة في العلّيه لتنهي معركتها بمفردها .

وسرعان ماهدأت العاصفة في الجزء السفلي من الدار بعد ان عادت اليه السيدة (مارتش) التي ما ان سمعت تفاصيل القصة حتى قامت بتأنيب (ايمي) موضحة لها ماقامت من به خطأ تجاه اختها. فقد كان كتاب (جو) هذا موضع اعتزازنا الذي كانت الاسرة تنظر اليه بفخر وتتوقع له مستقبلاً باهراً على الرغم من انه لم يضم سوى ست قصص للاطفال فان (جو) قد وضعت فيه عصارة قلبها وتمنت ان يجد في يوم ما طريقه الى دور النشر . وكانت قد انتهت لتوها من استنساخ نصوص هذه القصص بعناية فائقة وقد اتلفت المسودة وبذلك فان المحرقة التي اضرمتها (ايمي) قد قضت على نتاج سنين عديدة من العمل الدؤوب . ولربما بدت هذه الخسارة ضئيلة للبعض من الناس ولكنها كانت بالنسبة ل (جو) كارثة رهيبة وقد شعرت حينذاك بان خسارتها لن تعوض ابداً . وقد حزنت (بيث) حزنها على هريرة ميتة . كما رفضت (ميج) الدفاع عن اختها المدللة . اما السيدة (مارتش) فبدت حزينة ومهمومة . وشعرت (ايمي) بانها لن تحظى بغفران احد الا بعد ان تقوم بطلب السماح على مااقترفته من اثم بعد ان اسفت اكثر من اي واحدة في العائلة على قيامها به .

وعندما دق الجرس معلناً ابتداء وجبة الشاي ظهرت (جو) وقد بدت صارمة لايمكن الوصول الى التفاهم معها ، او محادثتها بحيث تطلب بكل مالدى (ايمي) من عزم وشجاعة لكي تتمكن من قول :

«ارجو ان تغفري لي ، فاني آسفة جداً» .

«سوف لا اغفر لك ابداً». هكذا كان جواب (جو) الصارم ، القاسي ، وقد اهملت (ايمي) منذ تلك اللحظة .

ولم تتكلم اي منهن عن هذه المشكلة الكبيرة — حتى السيدة (مارتش) — لانهن قد تعلمن بالتجربة بان الحديث مع (جو) كان غير مجدٍ عندما تكون في مزاج كهذا وبان السبيل الامثل كان الانتظار لحين وقوع شيئ مايعمل على تخفيف غضب (جو) أو الى حين ان يدفعها عنصرها الطيب الى نسيان ماحدث وتسوية الخلاف . وبذلك لم تكن تلك الليلة مناسبة سعيدة . وعلى الرغم من انهن جلسن سوياً وانشغلن بما كان لديهن من اعمال الخياطة ، وعلى الرغم من قيام السيدة (مارتش) بالقراءة بصوت عال من (كتب) (بريمر) و (سكوت) و (ايدجورت) كان هناك ثمة شيئ ناقص ، بل مفقود ، مما عكر أمن البيت وافسد صفاءه . وقد شعرن بهذا الجانب بصورة خاصة عندما حان وقت الانشاد : فقد اقتصر دور (بيث) على العزف ، بينما وقفت (جو) بصمت يشبه صمت الاصنام ، وانهارت (ايمي) .

وبذلك لم تنشد سوى (ميج) والام . وبالرغم من محاولتهما الغناء ببهجة البلابل وانطلاقها فقد انفقد الانسجام الاعتيادي بين صوتيهما الشبيهين بصوت الناي فانعدم التناغم والتآلف بينهما نتجية ذلك .

وعندما حان الوقت الذي اعتادت فيه (جو) على استلام قبلة المساء من امها ، همست السيدة (مارتش) في اذنها قائلة : «لاتدعي اليوم ينتهي ، ياعزيزتي وانت لاتزالين في غضبك . فاغفرا لبعضيكما وساعدا

احداكما الاخرى وابدأ بداية جديدة يوم غد .

وارادت (جو) ان تضع رأسها على ذلك الصدر الحنون لتغسل بدموعها ماعانته من حزن وغضب ولكن الدموع كانت ضعفاً لايليق بالرجال كما انها شعرت بانها كانت معتدى عليها . وانها لم تكن مستعدة بعد للغفران . ولذلك فانها غمزت عينها بقوة وهزت رأسها وقالت بلهجة صارمة ، لان (ايمي) كانت تنصت: «كان امراً مريعاً للغاية ، وانها لاتستحق الغفران» .

وبعد ان اكملت هذه العبارة مشت بخطوات ثابتة الى الفراش . ولم يسمع في تلك الليلة اي همس بهيج ، او سري بين الاخوات .

شعرت (ايمي) بانها قد اسيئ اليها ، وبان مبادراتها للوصول الى سلام مع اختها قد ردت ولذلك فانها بدأت تتمنى لو انها لم تذل نفسها وتشعر بانها كانت مهانة اكثر من ذي قبل وتتباهى بما لديها من فضائل خارقة بطريقة تثير السخط والغضب بشكل خاص. واستمرت (جو) تبدو كسحاب ينذر بقرب هطول مطر شديد ولم تسر الامور بخير طيلة اليوم . لان البرد شديد ذلك الصباح ، وقد تركت معطفها يسقط في بالوعة في جانب الطريق ، كما داهمت العمة (مارتش) نوبة من التململ والغضب . وكانت (ميج) مشغولة البال ، حزينة ، حين جاءت (بيث) الى البيت وهي تبدو كعادتها متألمة وتعلو وجهها نظرة تشوبها اللهفة والكدر . اما (ايمي) فواصلت تعليقها حول من يدعين بان لهن الرغبة في ان يكن كريمات ومؤدبات ولكنهن لايحاولن تحقيق هذه الرغبة عندما يوجد هناك من يحاول ان يكون لهن قدوة حسنة .

«ان الجميع هنا مكروهون ، سأطلب من (لوري) الذهاب للتزحلق على الجليد . فهو الانسان الوحيد الذي يمتاز بالطيبة والمرح في كل الاوقات وهو الوحيد الذي بامكانه ان يجعلني في مزاج افضل اني ادرك ذلك جيداً» قالت (جو) في نفسها ثم انطلقت ذاهبة .

سمعت (ايمي) قعقعة مزالق التزحلق على الجليد فأطلت من النافذة وقد ارتسمت على وجهها نظرة تعجب يشوبها التلهف . «هاهي ! لقد وعدت باستصحابي في المرة القادمة ! هذا هو آخر جليد لهذا الموسم .

ولكن الكلام مع هذه الفتاة المتبرمة من اجل استصحابي معها هو امر غير مجدٍ ابداً»

«لاتقولي ذلك . لقد كنت فتاة شقية للغاية .

وانه لمن الصعب ان تغفر لك فقدان كتابها القيم .

ولكنها قد تغفر لك ماارتكبت واغلب الظن انها ستفعل ذلك اذا ماحاولت ذلك معها في الوقت المناسب .

فعليك ان تتعقبيها وان لاتنبسي بكلمة واحدة حتى تجدينها قد اصبحت ودودة ومبتهجة مع (لوري) وعند ذاك انتهزي الفرصة وعالجيها بقبلة ، او قومي بعمل لطيف . وعندها سوف تكون ودودة من كل قلبها» قالت (ميج) .

«ساحاول ذلك» قالت (ايمي) التي راقت لها هذه . المشورة . وبعد ان اسرعت في التهيؤ انطلقت وراء الصديقين اللذين كانا يختفيان لتوهما خلف التل .

لم تكن المسافة طويلة الى النهر ، ولكن الاثنين كانا جاهزين للتزحلق

في الوقت الذي وصلت فيه (ايمي) وبعد ان لمحتها (جو) ادارت ظهرها ، اما (لوري) فلم يلاحظ قدومها لانه كان منهمكاً في التزحلق بتأنٍ قرب الشاطئ وهو يتفحص الجليد بسبب موجة الدفء التي سبقت البرد الذي اعقبها .

«ساذهب الى موقع المنحنى الاول للنهر للتأكد من ان كل شيئ على مايرام قبل ان نبدأ سباقنا» قال (لوري) . وقد سمعت (ايمي) هذا الكلام عندما انطلق (لوري) وهو يبدو كاي شاب روسي بمعطفه المزين بالفرو وبقبعته .

وقد سمعت (جو) صوت قدوم (ايمي) التي كانت تلهث بعد ركضها ، وقد اخذت تضرب الارض بقدمها وتنفخ يديها وهي تحاول لبس مزلقيها ومع ذلك لم تلتفت (جو) بل استمرت في التزحلق بخط متعرج باتجاه مجرى النهر وهي تجد في معاناة شقيقتها راحة لم تخل من مرارة وحزن . فلقد تمسكت بغضبها حتى بات قوياً وتمكن من فرض سيطرته عليها شأنه بذلك شأن الافكار والاحاسيس الشريرة عندما تحكم وثاقها على العقول اذا ما اخفق المرء في نبذها على الفور . وما ان استدار (لوري) من المنعطف حتى صاح قائلاً : «لاتبتعدي عن الجرف فوسط النهر غير امين»

سمعت (جو) ، اما (ايمي) فقد انشغلت في محاولة الوقوف على مزلقيها وبذلك لم تسمع اي شيئ .

والقت (جو) خلفها نظرة خاطفة . ولكن الشيطان الذي كمن في صدرها اخذ يهمس قائلاً : «لايهم اسمعت التحذير ام لم تسمعه — دعيها

ترعى نفسها بنفسها» .

اختفى (لوري) خلف المنعطف الذي كانت (جو) قد وصلته لتوها . اما (ايمي) فبقيت بعيداً الى الخلف ، وكانت تتجه نحو الطبقة الجليدية الرقيقة في وسط النهر . ولوهلة وقفت (جو) بلا حركة وقد انتابها شعور غريب . ثم عزمت على المضي في طريقها ولكن ثمة شيئ اوقفها وجعلها تلتفت الى الخلف لتشاهد (ايمي) وهي تقذف بيديها الى الاعلى ثم تهبط الى الاسفل ولتسمع صوت تهشم طبقة الجليد الخفيفة الذي اعقبته صيحة ملأت قلب (جو) هلعاً – فقد حاولت ان تنادي (لوري) ولكنها وجدت بانها قد فقدت صوتها . ثم حاولت ان تهرع الى الامام ولكنها وجدت ان قدميها فقدا كل قوة على الحركة وهكذا لم تتمكن عمل شيئ سوى الوقوف بلا ادنى حركة وقد بان الهلع في وجهها وهي ترى القلنسوة الزرقاء فوق مستوى الماء الداكن . وفجأة مر بقربها شيئ مسرع ثم سمعت صوت (لوري) يقول : «هاتي قضيباً حديدياً على الفور !»

لم تدرك كيف تم لها القيام بما قامت به ، لانها خلال الدقائق القليلة التي اعقبت ذلك فانها عملت كالمسحورة وهي تلبي اوامر (لوري) الذي كان محتفظاً برباطة جأشه ومتمالكاً نفسه وقد انبطح على الجليد وهو يمسك بـ (ايمي) حتى وصول (جو) بالقضيب الحديدي الذي اقتلعته عن السياج . وبالتعاون مع (جو) تمكن (لوري) من سحب الطفلة التي بدت خائفة اكثر من كونها متألمة «والآن علينا أن نمضي بها الى البيت. وان ندثرها بما لدينا من ملابس ، ولكن علينا نزع المزلقين عن حذائها» ، قال (لوري) وهو يلف (ايمي) بمعطفه ثم ينحني لفك

احزمة المزلقين التي بدت اكثر صعوبة من اي شيئ آخر .

كانت (ايمي) مبتلة وهي ترتجف باكية عندما اعاداها الى البيت . وبعد انقضاء فترة قصيرة مضطربة استسلمت (ايمي) الى نوم عميق وقد التفت بعدد من البطانيات بجوار النار .

وفي اثناء كل هذه النشاطات لم تنبس (جو) بكلمة ، بل راحت هنا وهناك وقد امتقع لونها وانفتح معطفها الذي لم تخلعه ليظهر فستانها الذي تمزق .

اما يداها فقد ظهرت عليهما الجروح والكدمات التي اصابتها بفعل الجليد والقضبان الحديدية والابزيمات .

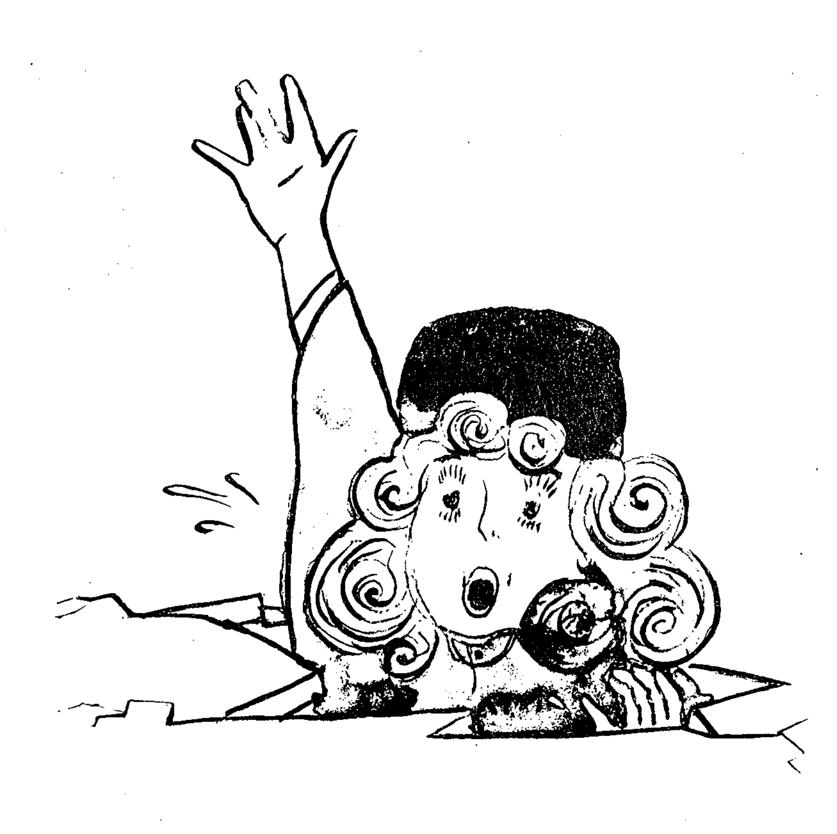
وعندما تم اخيراً وضع (ايمي) في فراشها لتنام براحة وخيم الهدوء على الدار ، وجلست السيدة (مارتش) على حافة الفراش فانها نادت (جو) اليها واخذت تضمد لها الجروح التي اصابت يديها .

«هل انت متأكدة من أنها الان في امان ؟» همست (جو) متسائلة وهي تنظر باسف وخجل الى ذلك الرأس الذهبي الذي كاد يجرفه الثلج الغدار الى الابد .

«انها في امان تام ، ياعزيزتي ، انها لم تصب باذى ولاحتى بنزلة برد ، على ما اظن . لقد كنتما في غاية العقل عندما عمدتما الى تدثيرها وجلبها الى البيت باسرع مايمكن» اجابت الام بشيئ من الغبطة .

«ثم كل ذلك بفضل (لوري) . اما انا فقد قدتها الى هذا المصير . فاذا ماتوفيت فان الذنب هو ذنبي »

قالت (جو) ثم تهاوت قرب الفراش وهي تذرف الدموع وتروي



لامها تفاصيل ماحدث وتستنكر صلابة قلبها وتشكر الاقدار التي جنبتها العقاب الصارم الذي كاد يكون من نصيبها .

«ان الذنب هو ذنب مزاجي العصبي اللعين . اني احاول علاجه ، وعندما اظن باني قد نجحت في ذلك اجده ينفجر بصورة اسوأ من السابق . فما عساي ان افعل ، ياماه ، ماعساي ان افعل ؟» بكت (جو) المسكينة بيأس .

«راقبي وصلّي . ياعزيزتي ، ولاتتوقفي عن المحاولة او تظني بان التغلب على اخطائك هو امر مستحيل» قالت السيدة (مارتش) وهي تسحب الرأس الاشعث وتضعه على كتفها وتقبل بحنان الخد الذي بللته الدموع مما دفع (جو) الى البكاء اقوى من ذي قبل .

«انك لاتدركين ، ولايمكنك ان تتصوري كم هو سيئ ومؤذٍ مزاجي هذا ! ويبدو اني افقد السيطرة تماماً عندما تنتابني حالة الغضب بحيث اصبح متوحشة الى ابعد حد ويمكنني عند ذلك ان اوذي اي شخص واتمتع بما افعل .

واخشى باني ساتورط في ارتكاب منكر عظيم في يوم مما يفسد حياتي ويجعلني مكروهة من قبل الجميع ، فارجوك ان تساعديني ياماه ، ساعديني «سأفعل ذلك يا طفلتي العزيزة لاتبكي بهذه المرارة . عليك ان تتذكري هذا اليوم وان تعقدي النية ، بكل جوارحك ، على قيامك بتجربة مماثلة . واعلمي ياعزيزتي (جو) باننا جميعاً لنا مايغرينا من امور — البعض منها اعظم مما لديك بكثير — تأخذنا احياناً فترة طويلة ، لابل طول العمر ، لكي نتمكن من التغلب عليها . انك تظنين بان مزاجك

الحاد هو اسوأ مزاج في الدنيا . فاعلمي اذاً بان مزاجي سابقاً كان كمزاجك الحاد بالضبط»

«مزاجك انت يا اماه ؟ انك لاتغضبين ابداً»

قالت (جو) بتعجب انساها شعورها بالندم .

«اني احاول علاجه منذ اربعين عاماً ولم انجح الا بالسيطرة عليه فقط . اني اغضب كل يوم من ايام حياتي يا(جو) ولكني عودت نفسي على عدم اظهاره ولازلت احاول تعويد نفسي على عدم الشعور به ولربما تطلب تحقيق الامر هذا مرور أربعين عاماً اخرى .

كان الصبر والتواضع اللذان ارتسما على هذا الوجه الذي احبته افضل من اكثر المحاضرات حكمة وامضى من اكثر اساليب التوبيخ حدة. وسرعان ماشعرت بالراحة نتيجة مالمسته من تعاطف وثقة .

اما اكتشافها بان والدتها كانت تعاني من سلبيات مماثلة ، وبانها كانت هي الاخرى تحاول تجاوزها فلم يعمل على تخفيف وطأة ماتعانيه من هذه السلبيات فحسب بل عزز عزيمتها واصرارها على الاستمرار في المعالجة وان بدت فترة اربعين عاماً وقتاً طويلاً للمراقبة والصلاة لفتاة كانت في الخامسة عشرة من العمر .

«هل تكونين غاضبة ، ياأماه ، عندما تزمين شفتيك وتخرجين من الغرفة اثناء قيام العمة (مارتش) بالتأنيب او عندما يقلقك بعض الناس ؟»

تساءلت (جو) وهي تشعر انها اكثر قرباً من امها .

«اجل ، لقد تعلمت منع نفسي من التفوه بكلمات تصل الى شفتي

واشعر بانها تكاد تنطلق منهما على الرغم مني . في مثل هذه المناسبات اقوم بالخروج حالاً لكي اعطي لنفسي مجالاً يتم لها من خلاله ادراك مدى ضعفها وخبثها» اجابت السيدة (مارتش) بحسرة وابتسامة وهي تصفف شعر (جو) المتناثر وتربطه .

«كيف تعلمت كظم غيظك ؟ فهنا يكمن ضعفي لانني اجد الكلمات القاسية تطير من فمي قبل ان اتمكن من تدارك الامر وكلما اكثرت من الكلام اجدني ازداد سوءاً حتى يصبح امر جرح شعور الناس ، والتفوه بالتعابير المؤلمة ، شيئاً فيه كثير من المتعة . فاخبريني يامي ، كيف تتمكنين من السيطرة على نفسك وكظم غيظك ؟»

«كانت امي الصالحة تساعدني كثيراً ..»

«كما تساعديننا الآن» قالت (جو) وهي تقاطع امها ثم تهرع لتطبع قبلة حارة على خدها توحي بالاعتراف بالجميل .

«ولكني فقدتها عندما كنت اكبر منك بقليل فاضطررت الى بذل قصارى جهدي بمفردي ولسنين عديدة لاني ابيت الاعتراف لاحد غيرها بما كنت اعانيه من ضعف . لم يكن الامر سهلاً ، يا(جو) وقد ذرفت دمعاً كثيراً نتيجة اخفاقاتي اذ لم يبد النجاح قريباً على الرغم من محاولاتي الجادة والمتكررة . ثم شاءت الاقدار ان تمن علي بابيكن وفرحت كثيراً آنذاك الى الحد الذي ادركت فيه بان من السهل على الانسان ان يكون صالحاً . وعندما رزقني الله باربعة بنات صغيرات واصبحنا فقراء ، عاودتني المشاكل القديمة ثانية ، لاني لست انساناً صبوراً بالفطرة وقد ازعجني جداً رؤية اطفالي وهم يشكون الفاقة .

«مسكينة انت ياامي ! ما الذي ساعدك بعد ذلك ؟»

«ابوك يا(جو) – فهو الشخص الذي لايفقد الصبر ابداً ولاتعرف الظنون او الشكاوى طريقها اليه . انه دؤوب على العمل والامل والبقاء بحالة مرحة بحيث يخجل من يقف امامه من القيام بشيءٍ مخالف . ولقد عمل على مساعدتي والتخفيف عني وارشادي الى ضرورة ممارسة الفضائل كافة مما ادى ان تملكها فتياتي لاني قدوتهن . وكان امر المحاولة من اجلكن اسهل من امر المحاولة من اجل نفسي ، فان نظرة التعجب التي تظهر على وجه ايٍ منكن ، تجاه مايبدو مني من كلام حاد هي بحد ذاتها اشارة تكفي لردعي وتكون اقوى واعظ من اي زجر او تنبيه . وقد شكل حب واحترام وثقة بناتي افضل مكافأة يمكنني الحصول عليها لقاء جهودي لكي اصبح المرأة التي اريد منهن الاقتداء بها» .

«آه ياااماه ! لو تمكنت من تحقيق نصف ما حققته من طيبة ولطف فسأكون في غاية الرضا»

صاحت (جو) وقد اثر في نفسها ماقالته امها .

«اتمنى ان تكوني افضل مني بكثير . ولكن عليك ان تراقبي عدوك اللدود على حد تعبير والدك والا اصبحت حياتك حزينة ان لم تقل رديئة

لقد كانت التجربة الاخيرة بمثابة تحذير لك فعليك اذاً ان تذكريها دائماً وتحاولي السيطرة على مزاجك الحاد قبل ان يسبب لك الكثير من الاحزان ويجعلك تندمين بصورة اعظم مما انت عليه الآن» .

«ساحاول ياااماه ، ساحاول جادة . ولكن عليك ان تساعديني

وتذكريني وتمنعيني من الانحراف في سبيل هذا المزاج المدمر . وكنت اشاهد ابي وهو يضع اصبعه على فمه وهو ينظر اليك بنظرة جادة يشوبها العطف والتفهم وكنت دائماً تزمين شفتيك وتنصرفين دون ان تنبسي بكلمة واحدة . فهل كان يذكرك اذاً بما كان عليك القيام به ؟»

تساءلت (جو) برقة .

«اجل لقد طلبت منه المساعدة في هذا المجال ولم ينس دوره ابداً وقد ساعدتني اشارته اللطيفة هذه وانقذتني من التفوه بالعبارات الجارحة».

وقد لاحظت (جو) بان عيني امها قد اغرورقت بالدمع ، وراحت شفتاها ترتجفان ، وهي تتكلم . وبعد ان خشيت من انها قد اكثرت من الكلام فانها همست لوالدتها قائلة : «هل اخطأت في مراقبتك والتحدث عن الموضوع هذا ؟ آمل الا أتجاوز حدي ولكن المجاهرة بما احمله عنك من رأي هو امر يجلب لي الراحة والطمأنينة والسعادة» .

«لك ان تقولي لامك ماتشائين يا (جو) فان شعوري بان بناتي الحبيبات يضعن ثقتهن بي ويأمن جانبي ، وادراكي بمقدار حبي لهن يكسباني سعادة وفخراً»

«ظننت باني قد احزنتك بما قلت»

«كلا ياعزيزتي . ولكن ذكر والدك جعلني ادرك كم افتقده وكم انا مدينة له وكم يتوجب علي العمل بامان ورعاية بناته الصغار بحرص» .

«ومع ذلك فانك دفعتيه الى الذهاب ولم تذرفي دمعة واحدة لفراقه ، ياأماه . كما انك لا تتذمرين ابداً ولاتبدين بحاجة الى اي نوع من المساعد»

قالت (جو) بتعجب .

«لقد قدمت للوطن الحبيب افضل مالدي ، وقد ادخرت دموعي الى مابعد ذهابه . لماذا يتوجب علي التذمر عندما لم يفعل اي منا سوى مايمليه عليه الواجب ؟ كلا اظننا سنكون بحال اسعد في النهاية عندما ندرك اننا قدمنا افضل مايمكننا تقديمه .

واذا ما بدوت كمن لايحتاج الى مساعدة فان ذلك يعود الى انني لي صديق ، هو افضل حتى من ابيك يقوم بالسهر علي راحتي وشد ازري . فاعلمي يابنيتي ان متاعب حياتك ومغرياتها قد بدأت الآن وقد تكون كثيرة ومتعددة . ولكن بامكانك التغلب عليها وتجاوزها اذا ماعودت نفسك على الاحساس بقوة وحنان ابيك السماوي كما تشعرين بقوة وعطف ابيك الذي على الارض . فكلما ازداد حبك لله ، وعظمت ثقتك به ، شعرت بانك اقرب اليه وقل اعتمادك على قوة الانسان وحكمته .

فان حب الله ورعايته لايتغيران ولاينضبان ولايمكن لاي احد اغتصابهما منك بل بامكانهما ان يكونا لك مصدر امان وسعادة وقوة . وعليك ان تؤمني بهذا من الصميم وان تتجهي الى الله بكل مالديك من اعباء واماني وذنوب واحزان -- تتجهين اليه بحرية وثقة تامتين كما تتجهين بها الى امك» .

وكانت اجابة (جو) الوحيدة على ماسمعته من كلام هو الاقتراب من امها وضمها الى صدرها .

واثناء الصمت الذي اعقب ذلك خرجت من قلب (جو) اخلص

صلاة صامتة ، فخلال هذه الساعة الحزينة او السعيدة معاً فان (جو) لم تتعلم مرارة الندم واليأس فحسب بل حلاوة نكران الذات والسيطرة على النفس ايضاً وبعد ان امسكت امها بيدها وقادتها شعرت بانها قد انجذبت لتصبح اكثر قرباً من ذلك الصديق الذي يستقبل كل طفل بحب اقوى من حب والد ذلك الطفل واكثر حناناً وعطفاً من حب امه .

تململت (ايمي) وتنهدت في نومها . وكمن تاق للابتداء على الفور لاصلاح اخطائها فان (جو) نظرت اليها وقد ارتسم على وجهها تعبير لم يسبق له مثيل من قبل .

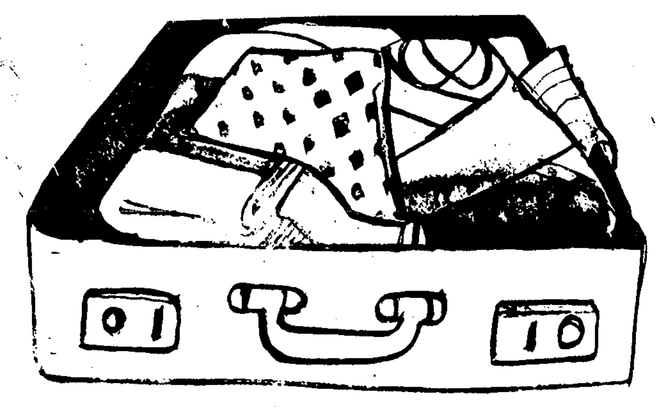
«بالامس تركت الشمس تغرب عن غضبي ورفضت ان اغفر لها ، ولولا وجود (لوري) اليوم لفات الاوان ! كيف يمكنني ان اكون شريرة الى هذا الحد ؟»

قالت (جو) بصوت مسموع وهي تنحني فوق اختها وتمسد بحنان خصلات شعرها التي تناثرت فوق الوسادة .

وكأنها سمعت ماكان يقال من كلام ، فان (ايمي) فتحت عينيها ورفعت ذراعيها وهي تبتسم ابتسامة نفذت فوراً الى قلب (جو) . لم تنبس اي منهما بحرف واحد بل حضنت احداهما الاخرى بحنان على الرغم من البطانيات التي اعترضت سبيلهما ، وبقبلة واحدة تم غفران كل شيء ، ونسيانه .

الفصل التاسع





(ميج) تذهب الى دار الغرور

«انه لمن سوء الحظ ، على ما اظن ، ان يصاب هؤلاء الاطفال بمرض الحصبة الآن» ، قالت (ميج) في احد ايام شهر نيسان وهي منهمكة بترتيب وحزم الملابس في حقيبة السفر وقد احاطت بها اخواتها .

«انها لبادرة لطيفة جدا ان تبقى (آن موفيت) على عهدها ، فان قضاء اسبوعين من المتعة والبهجة سيكون امرا بديعا للغاية» ، قالت (جو) وهي تبدو كطاحونة الهواء اثناء قيامها بطي الملابس بذراعيها الطويلتين .

«وفي هذا الطقس الجميل ، كم انا مسرورة لذلك» ، اضافت (بيث) وهي تضع ، بطريقة مرتبة ، شرائط الشعر والرقبة في افضل صندوق لديها والذي قد استعارته خصيصا لهذه المناسبة الكبيرة .

«ليتني كنت مقبلة على التمتع بوقت جميل ولبس كل هذه الالبسة الفاخرة» ، قالت (ايمي) وقد امتلأ فمها بالدبابيس وهي تقوم بتزيين وسادة اختها بشكل فني .

«ليتكن تذهبن جميعا . ولعدم امكانية تحقق هذه الامنية فساخبركن تفاصيل مغامراتي عند عودتي ، وهذا اقل ما يمكنني القيام به لقاء لطفكن وقيامكن باعارتي بعض حوائجكن ومساعدتكن في تهيئتي للسفر» ، قالت (ميج) وهي تلقي نظرة على الفستان الذي كاد يبدو لها في غاية الاتقان .

«ماذا اعطتك الوالدة من صندوق التحفيات» ، سألت (ايمي) التي لم تكن موجودة اثناء فتح صندوق معين مصنوع من خشب الارز كانت السيدة (مارتش) تحفظ فيه بعض مخلفات ايام العز لكي تهديها الى بناتها في الاوقات المناسبة .

«زوج من الجوارب الحريرية ، وهذه المروحة الجميلة ، المنحوتة و وشاح جميل ازرق اللون . وقد اردت اخذ الوشاح الحريري ذي اللون البنفسجي ولكن اعداده يتطلب وقتا طويلا وبذلك علي ان ارضى بوشاح الموسلين الشفاف القديم »،

«سيبدو جميلا فوق تنورتي الموسلين . كم اتمنى لو اني لم احطم سواري المرجاني الذي كان بامكانك استعارته» ، قالت (جو) التي كانت تهوى اعطاء الاشياء واعارتها ولكن ما كان لديها لم يكن ذا فائدة لما اصابه من تداع وخراب .

«ان صندوق التحفيات يحوي مجموعة حلي لؤلؤية من الطراز القديم

ولكنها في غاية الجمال ، الا ان (مامي) تقول بان الورد الحقيقي يليق اكثر بالفتاة الشابة ويعتبر اجمل اسباب الزينة ، وقد وعد (لوري) بارسال ما اريد من الورود» ، اجابت (ميج) «والان دعوني ارى مالدي من ملابس ! فهناك بدلتي الرمادية اللون ، الجديدة - ارجو ان تكوري ريش قبعتي يا (بيث) - ثم هناك ايضا فستاني البوبلين الخاص بأيام الاحد ، وذلك الخاص بالحفلات الصغيرة والذي يبدو ثقيلا لموسم الربيع ، اليس كذلك ؟ اوه ! حبذا لو اتمكن من اخذ الوشاح الحريري ، البنفسجي اللون» .

«لابأس فلديك وشاح الموسلين الشفاف الذي تبدين فيه دائما كالملاك بالملابس البيضاء» ، قالت (ايمي) وهي تطيل النظر في هذا الخزين المتواضع من النفائس التي طالما تاقت نفسها اليه .

«ان فتحة الرقبة في الفستان ليست واسعة ، كما ان نهايته تفتقر الى الامتداد الكافي ، ولكنه يجب ان يفي بالمرام . وقد بدا فستان البيت ، الازرق اللون ، جيدا ، بعد تنسيقه ، حتى اكاد اشعر بانه جديد . اما سترتي الحرير فليست حديثة كما ان قبعتي لا تشبه قبعة سالي . وبالرغم من عدم رغبتي في التذمر ، الا ان مظلتي قد سببت لي شيئا من خيبة الامل - فقد طلبت من أمي شراء مظلة سوداء اللون ، ذات مقبض ابيض ، ولكنها نسيت ما اوصيتها فجاءتني بمظلة خضراء اللون ، ذات مقبض يميل لونه الى الصفرة . ومع ذلك فهي مظلة قوية وجميلة فلا يوجد هناك اي سبب للتذمر بالرغم من ثقتي بأني سأشعر بالحرج والخجل وانا اسير جنب (آني) التي لديها مظلة حريرية ذات قمة ذهبية» ، تنهدت

(ميج) وهي تتفحص المظلة بشيءٍ من عدم الرضى .
«استبدليها » ، قالت (جو) مشيرة .
«لن ابلغ هذه الدرجة من الحماقة ، او الجأ الى جرح شعور (مامي) التي تكبدت مشقة حصولي على كل هذه الاشياء . ان ما اقوله لايتعدى كونهِ هراء ، وكلاما لا جدوىً فيه ، وسوف لا انساق وراءه . فان جورابي الحريرية وقفازيي الجديدين هم خير عزاء لي وانت يا (جو) فتاة طيبة للغاية لاسيما بعد ان قمت باعارتي ما لديك من اشياء . صرت اشعر بالغنى وفي غاية الاناقة فانا املك زوجين من القفازات وزوجا قديما تم تنظيفه للاستخدام الاعتيادي» ، قالت (ميج) وهي تلقي نظرة على الصندوق الذي احتوى على قفازيها الجديدين .
«في قلنسوة (آن موفيت) الليلية هناك عقدتان احداهما زرقاء والاخرى وردية اللون ، فهل لك ان تضعي بعض العقد على قلنسوتي ؟» طلبت (ميج) من (بيث) التي كانت لتوها قد تناولت من يد (حنه) حزمة من الموسلين الابيض .
«كلا ، لن افعل ذلك لو كنت مكانك ، لان القلنسوات المهندمة لا تنسجم مع الفساتين البسيطة ، الخالية من كل زينة . فعلى الفقراء تفادي الارتجال» ، قالت (جو) بعزم وتصميم .
«ترى هل سأكون سعيدة بالقدر الكافي عندما البس ملابس مزينة بالمخرمات (الدانتيل) وقلنسوات تزينها شرائط معقودة ؟» تساءلت (ميج) بنفاذ صبر .
«قلت ذلك اليوم انك ستكونين سعيدة جدا لو تمكنت فقط من

تلبية دعوة (آن موفيث» ، علقت (بيث) بطريقتها الهادئة .

«اجل قلت ذلك ! اذا انا سعيدة ، وسوف اكف عن التذمر . ويبدو ان الانسان يطلب المزيد كلما حصل على ما اراد ، اليس كذلك ؟» ها قد انتهينا من حزم الامتعة ولم يبق شيْ سوى فستان الحفلة الذي ستتولى امر حزمه ،» قالت (ميج) وهي تبدو مبتهجة اثناء قيامها بالانتقال بنظرها من الحقيبة نصف المملوءة الى الوشائح الموسلينية البيضاء ، التي تم كيها واصلاحها عدة مرات ، وقد انتابها شعور بالاهمية .

وكان اليوم التالي مشرقا حين غادرت (ميج) بكل ابهة لتقضي اسبوعين من المتعة والطرافة . وكانت السيدة (مارتش) قد وافقت على هذه الزيارة بتردد منطلقة من خوفها من عودة (مارجريت) وهي اكثر تذمرا . ولكنها وافقت بعد ان توسلت اليها (مارجريت) ، و وعدتها (سالي) برعايتها لها ، وبعد أن شعرت بأن قليلاً من المتعة يعوض ما عانته ابنتها في فصل شتاء لم يخل من مشقة وعمل مضن ، وهكذا نزلت الام عند رغبة ابنتها التي انطلقت في طريقها لتذوق اول طعم للحياة المترفة .

لقد عاشت عائلة (موفيت) بنعمة وترف كبيرين . وأزاء ابهة المنزل واناقة ساكنيه المتناهية وجدت (ماركريت) الفتاة البسيطة نفسها مذهولة تماما . وكان افراد هذه العائلة اناسا طيبين للغاية على الرغم من حياتهم المترفة ، وسرعان ماشعرت (ميج) بالراحة والهدوء . ولربما شعرت ايضا – دون ان تدرك لذلك سببا – بانهم لم يكونوا مهذبين ، ولا على درجة كبيرة من العقل والذكاء ، وبان مالديهم من ابهة وغنى قد عجزا

عن اخفاء حقيقة معدنهم الاعتيادي . ومع ذلك فأن التجوال بترف وفخامة ، وعدم القيام باي شيئ سوى الترفيه عن نفسها والتمتع بوقتها ، كان بالتأكيد شيئا ممتعا للغاية . وسرعان مابدأت تقلد طرق تصرف من كان حولها من اشخاص ، واسلوب حديثهم ، كما بدأت تتظاهر بشيئ من العظمة والكياسة والظرف ، وتستخدم العبارات الفرنسية في كلامها ، وتجعد شعرها ، وتضيق ملابسها وتتكلم عن الازياء بقدر استطاعتها .

وكلما شاهدت المزيد مما كان لدى (آن موفيت) من اشياء جميلة ازدادت حسدا لها ، وتاقت لان تكون هي الاخرى غنية ايضا . وقد بدا بيتها الآن عاريا وكئيباً كلما خطر في بالها ، كما بدأ العمل من اجل كسب القوت يزداد صعوبة في نظرها . وهكذا اخذت تشعر بانها كانت فتاة محرومة ومظلومة بالرغم من قفازيها الجديدين وجواربها الحريرية .

ولم يكن لديها متسع من الوقت للشكوى والتذمر لان الفتيات الثلاث الشابات قد انهمكن في تمتيع انفسهن : فقد ترددن على الاسواق ، وشاركن في نزهات مشياً على الاقدام ، وركبن الخيل وقمن بالزيارات ، وذهبن الى المسارح والاوبرات او حضرن حفلات السمر التي كانت تقام في البيت اثناء المساء . فقد كان لـ (آن موفيت) الكثير من المعارف والصديقات وكانت تعرف كيف تقوم بضيافتهن . وكانت اخواتها الكبريات شابات ظريفات ومهذبات للغاية ، وكانت احداهن مخطوبة وقد ظنت (ميج) بان ذلك كان امرا رومانتيكيا ومثيراً للاهتمام . وكان السيد (موفيت) شخصا بدين القامة ، طيب القلب وكثير المرح

على معرفة بابيها . وكانت السيدة (موفيت) هي الاخرى بدينة وطيبة القلب وقد احبت (ميج) كما احبتها ابنتها من قلبها . واخذ الجميع بتدليل (ميج) وملاطفتها وهكذا كانت (ديزي) ، كما كان الجميع يتادونها ، قد توغلت بعيدا في طريق الغرور .

وعندما حانت امسية الحفلة الصغيرة ، وجدت (ميج) بان فستانها البوبلين لم يكن لائقا ابدا ، لان بقية الفتيات قد ارتدين ملابس اخف واكثر رقة ، وبدت اوشحة الموسلين اكثر قدما ، لابل رثة وبالية ، عند مقارنتها بما كان لدى (سالي) من اوشحة جديدة وانيقة . وقد لاحظت (ميج) بأن الفتيات كن ينظرن اليها ثم يتبادلن النظرات بعضهن مع البعض الاخر ، مما جعل وجنتيها تتوردان خجلا اذ انها كانت ابية ولكنها فخورة بنفسها ، مع كل ما كان لديها من لطف ورقة . لم تنبس اية من الفتيات بكلمة واحدة حول الموضوع ، ولكن (سالي) عرضت عليها القيام بتصفيف شعرها ، وتبرعت (آني) بعقد وشاحها بينما راحت (بيل) – الاخت المخطوبة – تطري جمال ذراعيها البضاوين . ومن خلال هذا اللطف الذي ابدته الفتيات ازاءها ، لم تر (ميج) في نظراتهن سوى الرأفة لفقرها . وقد شعرت بحزن دفين وهي تقف وحيدة بينما انشغلت بقية الفتيات بالضحك والكلام والذهاب هنا وهناك كالفراشات الشفافة . وكان شعورها بالمراراة يزداد عندما جلبت الخادمة صندوقا من الورود وقبل ان تتمكن الاخيرة هذه من قول اي شيئ سارعت (آني) الى فتح الصندوق ، فتعجب الجميع لما احتواه من ورود جميلة جدا .

«انها لـ (بيل) بطبيعة الحال . لقد دأب (جورج) على ارسال الورود

لها دائما ولكن هذه المجموعة هي اجمل مابعث» ، صاحت (آني) وهي تستنشق هذه الباقة الجميلة .

«كلا انها للانسة (مارتش) كما قال الرجل ، وهذه بطاقة جاءت مع الورد» ، قالت الخادمة وهي تقدم البطاقة لـ (ميج) .

ياله من شيءٌ ممتع ! ترى من ارسلها ؟ لم نعلم ان لك عشيقا» ، صاحت الفتيات وهن يحطن (ميج) وقد اخذتهن الدهشة وغلب عليهن حب الاستطلاع .

«البطاقة من امي اما الورود فقد ارسلها (لوري)» ، قالت (ميج) ببساطة وهي ممتنة للغاية لانه لم ينسها «حقا !» قالت (آني) وهي تنظر نظرة غريبة الى (ميج) التي دست البطاقة في جيبها ، كتعويذة ضد الحسد والغرور والخيلاء . فقد انعشتها الكلمات الطيبة التي احتوتها البطاقة ، ورفع جمال الزهور من معنوياتها .

ونتيجة شعورها بالغبطة ، وبعد ان اختارت بعض الوردات لنفسها ، فانها سارعت الى توزيع المتبقي منها في باقات لتزيين صدور صديقاتها وملابسهن وشعرهن . وقد قدمت هذه الباقات بلطف كبير جعل اخت (آني) الكبرى (كلارا) تعترف بانها «ارق فتاة عرفتها» . وقد فرح الجميع بهذه الالتفاتة اللطيفة . وبشكل مافان هذا العمل الطيب قد وضع حدا ليأسها وقنوطها . وعندما ذهبت جميع الفتيات للجلوس مع السيدة (موفيت) نظرت الى نفسها في المرآة لتجد وجها قد تلامعت عيناه وهو يطل على الفتاة التي انهمكت في وضع زهور الخنشار بين طيات شعرها المتموج وتثبيت الورود على فستانها الذي لم يعد يبدو رثاً بالدرجة

التي تصورت .

لقد قضت (ميج) وقتاً ممتعا جدا في تلك الامسية التي كان فيها الجميع في غاية اللطف والكياسة والتي حصلت خلالها على ثلاثة اطراءات : فقد استحسن صوتها العذب ، الرخيم عندما طلبت منها (آني) الغناء ، وتساءل الرائد (لنكن) عن «تلك الفتاة اليافعة ، ذات العينين الساحرتين» ، كما اصر السيد (موفيت) على تركيز اهتمامه الخاص عليها تلك الامسية . وبذلك فانها قد قضت ، بشكل عام ، وقتا طيبا للغاية حتى تلك اللحظة التي استمعت فيها الى محادثة ازعجتها كثيرا . فقد كانت تجلس في الغرفة الخاصة بتربية الزهور والنباتات ، وهي تنتظر بعض المثلجات التي تبرع احدهم بجلبها لها ، عندما سمعت صوت سائل جاء من الجهة الثانية من الحاجز النباتي قائلا : « .. وكم يبلغ من العمر ؟» .

«اظنه في السادسة او السابعة عشرة من عمره» ، اجاب صوت ثانٍ .

«سيكون امرا عظيما بالنسبة لواحدة منهن ، اليس كذلك ؟ اخبرتني (سالي) بانهما منسجمتان مع بعضهما . كما ان الجد العجوز يحب الفتيات كثيرا» .

«لقد احسنت السيدة مارتش في حبك خططها ، وستلعب اوراقها بمهارة في وقت مبكر ، كما هو عليه الحال . ان الفتاة لا تشك في الامر في الوقت الحاضر» ، قالت السيدة (موفيت) .

«لقد اخبرتنا هذه الكذبة عن امها كأنها على علم بالموضوع . وقد

تألق لونها عند استلامها الورود الجميلة يالها من فتاة بائسة ! يمكنها ان تكون في غاية التألق لوانها فقط تحسن التصرف وفق ما تتطلبه اداب المغاشرة . هل تعتقدين باننا سنجرح شعورها اذا ما عرضنا عليها اعارتها فستانا بمناسبة حفلة يوم الخميس ؟» تساءل صوت آخر .

«انها ابية ولكنني لا اعتقد بانها سترفض لان وشاحها الموسلين البالي هو كل ما تملك . وقد تمزقه الليلة وبذلك ستسنح الفرصة لعرض الامر عليها واعارتها فستانا لائقا» .

«سنرى . سادعو الشاب (لورنس) لمجرد مجاملتها وسنقضي وقتا ممتعا في مراقبتها بعد ذلك» .

وهنا ظهر رفيق (ميج) ليجدها عصبية المزاج ومضطربة — فقد كانت ابية جدا وقد ثبت ان اباءها كان مفيدا في تلك اللحظة اذ تمكنت من اخفاء المها وغيظها واشمئزازها مما كانت قد سمعته لتوها فبالرغم من براءتها وطيبة سريرتها ، فانها قد فهمت فحوى كلام صديقاتها . وقد حاولت نسيان ماسمعته ، ولكنها لم تتمكن من ذلك بل ظلت تتكرر في ذاكرتها عبارات : «لقد احسنت السيدة (مارتش) في حبك خططها» و «الكذبة عن امها» و «وشاحها الموسلين البالي» .... حتى كادت تنفجر باكية ، وتهرع الى البيت مستنجدة بامها واخواتها طالبة منهن المشورة والعون . ولما كان مثل هذا الامر مستحيلا فانها حاولت جهدها كي تبدو مرحة . وبما انها كانت مثارة فانها نجحت في تظاهرها الى درجة لم يلحظ احد خلالها ما كانت تعانيه . وكم كانت فرحتها عندما انقضت الامسية ووجدت نفسها في فراشها حيث تمكنت من التفكير والتأمل والغضب —

كان بامكانها ان تغضب حتى ينفجر رأسها الما وتنطفئ نار خدودها الملتهبة بشيء من الدموع . لقد فتحت هذه الكلمات الحمقاء ، مع كل ما حملته من صدق ، امام (ميج) آفاق عالم جديد ، وشوشت في الحين ذاته معالم العالم القديم الذي كانت الى حد ذلك الوقت قد عاشت فيه طفلة سعيدة . لقد عمد ذلك الكلام السخيف الذي سمعته عن طريق الصدفة الى افساد علاقتها بـ (لوري) ، كما تزعزعت ثقتها بأمها نتيجة وعيها بالمخططات التي نسبت لها من قبل السيدة (موفيت) التي كانت تصدر احكامها على الناس بالقياس الى نفسها . اما قرارها في ان ترضى بما لديها من ملابس بسيطة ، تلائم الامكانية المادية لابنة رجل غير ميسور الحال ، فقد ضعفت بفعل الاشفاق غير الضروري لرفيقاتها اللواتي اعتبرن ان امتلاك فستان رث كان افظع ما في الدنيا من كوارث .

وقضت (ميج) المسكينة ليلة قلقة لتنهض في اليوم التالي مثقلة الجفنين ، بائسة ، نصف ممتعضة من صديقاتها ، ونصف خجلة من نفسها لانها لم تتكلم بصراحة وتضع الامور في نصابها الصحيح . وفي ذلك الصباح تلكأ الجميع واضاعوا الوقت سدى ، ولم تجد الفتيات اية طاقة لديهن على مواصلة اعمال الحياكة الا بعد منتصف النهار . وقد وجدت (ميج) في طريقة تصرف صديقاتها امرًا غريبًا جلب انتباهها فجأة . لقد لاحظت قيامهن بمعاملتها بمزيد من الاحترام . كما لاحظت كذلك ازدياد اهتمامهن بما كانت تقوله وبانهن كن ينظرن اليها بعيون توحي بوضوح ما فيها من فضول . وقد اثار ذلك كله تعجبها واشبع غرورها وان لم تفهم منه شيئا الى الوقت الذي قامت فيه الانسة (بيل)

برفع انظارها عما كانت تكتب لتنظر اليها قائلة :

«لقد ارسلت دعوة الى صديقك السيد (لورنس) لحضور حفلة يوم الخميس . اننا نرغب في التعرف عليه وقد قمنا بذلك من باب المجاملة لك» .

احمرت (ميج) ، ولكن رغبتها في مداعبة صديقاتها ومضايقتهن دفعتها الى الاجابة وهي تتظاهر بالرزانة والاحتشام :

«هذا لطف بالغ ، ولكني اخشى عدم تمكنه من الاستجابة الى هذه الدعوة» .

«ولماذا ياشيري * ؟» سألت الانسة (بيل) .

«لانه كبير في السن» .

«ماذا تعنين يابنيتي ؟ اريد ان اعرف كم يبلغ من العمر ! قالت الانسة (كلارا) .

«لقد قارب السبعين من العمر ، على مااعتقد» ، اجابت (ميج) وهي تحصي عدد الدرزات لتخفي بريق البهجة في عينيها .

«يالك من فتاة مراوغة ! اننا نقصد السيد (لورنس) الشاب» ، قالت الانسة (بيل) وهي تضحك .

«لا يوجد شاب في عائلة (لورنس) . اما (لوري) فصبي صغير» ، قالت (ميج) ، ثم انفجرت ضاحكة بعد ان لاحظت النظرات الغريبة التي تبادلتها الاخوات لقيامها بوصف عشيقها المزعوم بهذه الصورة .

«انه بعمرك انت ، تقريبا» ، قالت (نان) .

* شيري : عزيزتي باللغة الفرنسية . وهذا بالضبط ماقالته الآنسة (بيل) .

«بل هو اقرب الى عمر اختي (جو) ! فسوف اكمل السابعة عشرة من العمر في شهر آب المقبل» ، اجابت (ميج) وهي تدفع رأسها الى الخلف .

«انها لبادرة لطيفة جدا ان يقوم بارسال الورد اليك ، اليس كذلك ؟» قالت (آني) وهي تحاول ان تبدو حكيمة في تصرفها .

«اجل . انه يرسل الورد لنا في اغلب الاحيان . فلديهم الكثير من هذه الورود في بيتهم واننا نهواها جدا . ان امي والعجوز (لورنس) صديقان ، وبذلك فان التقاء الاطفال للعب مع بعض هو امر طبيعي ، » اجابت (ميج) وهي تامل ان يقف الحديث عند هذه النقطة .

«انها لاتزال طفلة على ماهو واضح» ، قالت الانسة (كلارا) تخاطب (بيل) بايماءة .

«انها ساذجة للغاية» ، اجابت الانسة (بيل) وهي تهز كتفيها بلامبالاة .

«اني خارجة لابتياع بعض الحاجيات الصغيرة لبناتي . فهل يمكنني ان اقوم بأية خدمة اليكن ايتها الفتيات ؟»سألت السيدة (موفيت) وهي تمشي بتثاقل الى داخل الغرفة ، وكأنها فيل ترتدي الحرير والمخرم (الدانتيل) .

«كلا وشكرآ ياأماه» ، اجابت (سالي) . «فلدي فستاني الحرير الجديد لحفلة يوم الخميس ولا احتاج شيئا» .

«ولا انا ....» بدأت (ميج) الكلام ولكنها توقفت لانها ادركت فجأة بانها كانت تريد عدة اشياء ولكنها لا تستطيع الحصول عليها .

«ماذا ستلبسين» ؟ سألت (سالي) .

«فستاني الابيض القديم ثانية اذ تمكنت من اصلاحه لكي يبدو لائقا فقد تمزق جزء منه ليلة امس ، قالت (ميج) وهي تحاول ان تتكلم بلا تكلف ولكنها في الواقع كانت تشعر بعدم الراحة .

«لماذا لا تحاولي جلب ثوب آخر من بيتكم» ، تساءلت (سالي) التي لم تكن فتاة تراعي شعور الغير وتحسن التصرف في مثل هذه الظروف .

«لا املك ثوبا آخر» . لقد تطلب هذا الجواب جهدا كثيرا من (ميج) . ولكن (سالي) لم تدرك ذلك ولم تشعر به بالمرة بل راحت تتساءل قائلة :

«هذا الثوب فقط ! ياله من امر غريب ....» ولكنها لم تنه كلامها فقد اومأت اليها (بيل) التي قطعت الحديث وهي تقول بلطف :

«لاغرابة في الموضوع ابدا ، مافائدة امتلاك ملابس كثيرة عندما لا تخرج (ميج) باستمرار . لا داعي لارسال من يجلب لك ثوبا آخر حتى لو كان لديك العشرات منها ، يا (ميج) . فلدي ثوب حريري ازرق اللون قد ضاق عليّ وستلبسينه انت لارضائي اليس كذلك ياعزيزتي» ؟

«انك كريمة للغاية ولكني لا ابالي من لبس فستاني القديم ان لم يكن يزعجك فهو كاف بالنسبة لفتاة شابة مثلي» ، قالت (ميج) .

«دعيني امتع نفسي وارضيها وانا اقوم بتزيينك والباسك مايتناسب مع الزي السائد فاني ارغب في ذلك كثيرا واذا ماسمحت لي بتزيينك فستكونين آية في الجمال . وسوف لا اسمح لاحد بان يراك الا بعد ان انتهي من زينتك . وبعدها ستندفعين وسطهم مثل ساندريلا ومعك

عرابتك» ، قالت (بيل) بنبرتها المقنعة .

لم تتمكن (ميج) من رفض هذا العرض الذي جاء اليها بهذه الطريقة الكيسة المهذبة . فقد دفعتها رغبتها في رؤية نفسها «آية من الجمال» بعد التزيين ، الى القبول ناسية كل ماتولد لديها من شعور بعدم الراحة ازاء عائلة (موفيت) .

وفي مساء يوم الثلاثاء اختلت (بيل) وخادمتها بـ (ميج) التي سرعان مابرزت بعد انتهاء زينتها شابة في غاية الاناقة والجمال .

فقد قامتا بتجعيد خصلات شعرها وتصفيفها ، وقامتا بمسح عنقها وذراعيها بـ (بودرة) معطرة ووجنتيها بمرهم مرجاني اللون لجعلهما اكثر احمراراً . وقد ارادت الخادمة (هورتنيس) ان تضيف الى شفتيها احمر الشفاه ولكن (ميج) تمردت على هذه الرغبة . ثم قامتا بمساعدتها بارتداء الفستان الازرق السماوي الذي كان ضيقاً الى درجة كادت تعيق تنفسها ، ومقوراً عند الصدر والظهر الى درجة جعلت (ميج) المتواضعة تحمر خجلاً وهي تنظر الى نفسها في المرآة . ثم اضيف الى ذلك بعض الحلي الفضية : اساور وقلادة ودبوس (بروش) ولم تنسيا الاقراط التي ثبتتها (هورتنيس) بقطعة من الحرير الوردي اللون الذي يصعب كشفه . واخيراً تم تثبيت عنقود من الزهور على الصدر اضافة الى قطعة من الكشكش وهما ماحملا (ميج) على قبول إبقاء كتفيها البضتين ، الجميلتين عاريتين . وعندما ارتدت جزمة حريرية ، ذات لون ازرق سماوي وكعب عالٍ ، فانها اشبعت آخر رغباتها .. واخيراً تم اكمال اللمسات الاخيرة باعطائها منديلاً مزيناً بالدانتيل ومروحة مزينة بريش وباقة ورد وضعت في حاملة

فضية . بعد ذلك عاينتها الانسة (بيل) برضى وارتياح فتاة صغيرة قد اكملت لتوها اكساء دميتها ثوباً جديداً .

«ان الانسة فاتنة ، لابل جميلة للغاية

اليس كذلك ؟» قالت (هورتنيس بالفرنسية وهي تشبك كفيها بتكلف .

«تعالي واظهري نفسك» قالت الانسة (بيل) وهي تمشي امام (ميج) الى الغرفة الى جلست فيها بقية الفتيات بالانتظار .

وعندما تبعتها (ميج) وهي تحف بفستانها – وقد انسحبت نهايته وراءها ورنت اقراطها وتموجت خصلات شعرها ودق قلبها – شعرت بان مرحها قد بدأ يحق اخيراً . لقد اخبرتها المرآة بكل وضوح بانها «آية من الجمال» وقد كررت صديقاتها هذه العبارة باندفاع واعجاب . وقد وقفت لبضع ثوانٍ – مثل الزاغ في الاسطورة – تمتع نفسها بالريش الذي استعارته بينما انشغلت بقية الشابات في الكلام والقيل والقال مثل مجموعة من العقاعق .

«حاولي تمرينها ، يا(نان) ، على كيفية السير بفستانها الطويل وجزمتها الفرنسية ، ذات الكعب العالي ، ريثما انتهي من تغيير ملابسي ، والا تعثرت في مشيتها . ثم خذي مشطك الفضي الصغير وثبتي به خصلة الشعر الطويلة التي تتدلى على الجانب الايسر من رأسها ، يا(كلارا) ، ولتحاذر كل منكن من افساد ماقامت به يداي من انجاز رائع في غاية السرور والارتياح لما حققته من نجاح .

«اني اخشى النزول في الطابق السفلي لأني اشعر باني غريبة جداً



ومتصلبة ونصف عارية»

قالت (ميج) تخاطب (سالي) عندما دق الجرس وارسلت السيدة (موفيت) بطلب نزول الاوانس الشابات الى الحفلة على الفور.

«لقد اختلف مظهرك تماماً – فانت لاتبدين كما كنت ، ولكنك جميلة للغاية وانا لاشيئ قياساً بك لان للآنسة بيل ذوقاً رائعاً وانت تبدين كأي فتاة فرنسية بالتأكيد . لاتهتمي بمصير مالديك من الورود ولكن عليك مراعاة عدم التعثر»

اجابت (سالي) وهي تحاول اظهار عدم اهتمامها بتفوق جمال (ميج) على جمالها .

وبعد ان اخذت (مارجريت) هذا التحذير بعين الاعتبار هبطت السلم بتأنٍ وتهادت الى غرف الجلوس حيث اجتمع السيد (موفيت) وزوجته وبعض الضيوف الذين قدموا مبكرين . وسرعان ما اكتشفت الفتنة التي تكمن في الملابس الجميلة التي تنجذب اليها طبقة معينة من الناس وتحترمها . وقد لاحظت (ميج) بان عدداً من الشابات اللواتي لم يكن قد اهتممن بها قبل ذلك قد بدأن يغمرنها فجأة بودهن بينما لم يكتف عدد من الشبان – الذين قاموا بمجرد التحديق بها في الحفلة السابقة – بالنظر اليها فقط بل طلبوا الآن التعرف عليها والتحدث اليها بامور شتى والتي كانت بالرغم من حماقتها لم تلق منها نفوراً . كما انصرف عدد من السيدات المسنات ، اللواتي اكتفين بالجلوس على المقاعد وانتقاد الحاضرين ، الى الاستفسار عنها بشيئ من الاهتمام . وقد سمعت (ميج) السيدة (موفيت) تجيب عن سؤال احداهن قائلة : «اسمها (ديزي

مارتش) .. وابوها عقيد في الجيش .. تعتبر عائلتها من العوائل المعروفة ولكنها اصيبت بنكسة مادية .. والعائلة هذه ترتبط بآل (لورنس) بصداقة حميمة .... انها انسان لطيفة جداً ، وابني (نيد) مفتون بها للغاية» .

«ياللهول ! » قالت السيدة العجوز التي رفعت نظارتها الى عينيها لتلقي نظرة اخرى على (ميج) التي حاولت ان تبدو كأنها لم تسمع شيئاً وكأنها قد فوجئت بما بدر من السيدة (موفيت) من عبارات كاذبة .

وبالرغم من عدم زوال ذلك «القلق الغريب» عنها فانها تصورت نفسها تلعب دور السيدة العظيمة الجديدة ولذلك نجدها قد انسجمت مع الحفلة الى ابعد حد وان سبب لها ضيق الفستان ألماً في جانبها واستمر ذيل الفستان يجد طريقه تحت قدميها بينما لم تكف عن خوفها من احتمال فقدان او كسر احد قرطيها .

وكانت (ميج) تعبث بمروحتها ، وتضحك على النكات التافهة التي كان يلقيها شاب حاول ان يكون ظريفاً ، عندما توقفت فجأة عن الضحك وبدت مرتبكة لانها وجدت (لوري) يقف امامها وهو ينظر اليها بتعجب وعدم رضى واضحين على ماظننت : فعلى الرغم من انه ابتسم لها وانحنى محيياً فقد كان هناك ثمة شيء في عينيه الصادقتين جعلها تحمر خجلاً وتتمنى لو انها ارتدت فستانها القديم . ولاكمال ارتباكها فانها لاحظت قيام (بيل) بوكز (آني) وقيام الاثنين بالانتقال بنظراتهما منها الى (لوري) الذي بدا ، لحسن الحظ خجولاً ، صبياني المظهر .

«يالكن من مخلوقات حمقاوات : تضعن مثل هذه الافكار في رأسي

.. لايهمني ما تقلنه ، فسوف لا ادعه يغير من الامر شيئاً» فكرت (ميج) في نفسها ومشت منتقلة عبر الغرفة لتشد على يد صديقها مصافحة

«كم يسعدني تمكنك من القدوم . لقد خشيت من عدم ذلك» قالت باسلوب فتاة راشدة .

«رغبت (جو) في قدومي لكي اصف لها كيف تبدين ، وها انا قد اتيت» اجاب (لوري) دون ان ينظر اليها وان ارتسمت على وجهه نصف ابتسامة نتيجة لهجتها الحنون .

«وماذا ستخبرها ؟» تساءلت (ميج) بفضول وهي تحاول معرفة رأيه عنها وان شعرت معه بشيئ من عدم الارتياح للمرة الاولى .

«ساقول اني لم اتمكن من التعرف عليك لانك ظهرت بالغة ولست كما انت ، واني اخشاك»

قال وهو يعبث بزر قفازه.

«ياله من كلام غريب ! لقد طلبت الفتيات مني ارتداء هذا الفستان لمجرد المتعة وقد وجدت ان الامر يعجبني . الاتعتقد بان (جو) ستحدق بي متعجبة لو شاهدتني الآن؟» قالت (ميج) وهي مصرة على اجباره باعطاء رأيه حول ما اذا كان قد وجد فيها تحسناً ام لا .

«اجل اظنها ستقف متعجبة» اجاب (لوري) بجدية .

«وهل يعجبك مظهري كما هو الآن ؟»

«كلا ، لايعجبني اجاب بصراحة قاطعة .

«ولماذا ؟» تساءلت (ميج) بلهجة قلقة .

نظرت الى شعرها المجعد ، وكتفيها العاريين وفستانها الرائع التناسق

وقد بدا على وجهه تعبير اذهلها اكثر من اجابته التي خلت من ادبه المألوف «لا اهوى الريش والمبالغة في التبرج»

كان ذلك امراً لايطاق من صبي اقل منها سناً ولذلك فانها ابتعدت عنه وهي تقول بتعالٍ: «انك اوقح صبي شاهدته في حياتي» .

وبعد ان تعكر مزاجها مشت الى نافذة هادئة حيث وقفت لترطب خديها لان الفستان الضيق كان قد اعطاها لوناً لامعاً لايبعث على الراحة . واثناء وقوفها هناك مر الرائد (لنكن) . وماهي الا لحظة حتى سمعته يقول لامه: «انهن يجعلن من هذه الفتاة الصغيرة اضحوكة . لقد اردتك ان تريها ولكنهن افسدنها تماماً ، فهي تبدو مثل دمية تماماً» .

«ياالهي !» تنهدت (ميج) . «ليتني التزمت بالعقل ولبست ثيابي الخاصة . فلو علمت ذلك لما دفعت الناس الى الاشمئزاز مني ولما شعرت بخجل من نفسي وبعدم راحة» .

اسندت رأسها الى زجاج الشباك الرطب ووقفت نصف مختفية وراء الستائر ، وهي لاتأبه لابتداء اغنيتها المفضلة ، حتى الوقت الذي شعرت فيه بلمسة يد . وما ان التفتت حتى رأت (لوري) وقد بدت عليه نظرة ندم وهو يقول وقد انحنى امامها – بافضل طريقة عرفها ومد يده قائلاً:

«ارجو ان تعذري وقاحتي وتقبلي دعوتي لتناول بعض المثلجات» .

«اخشى بان رفقتي ستزعجك» قالت (ميج) وهي تحاول ان تبدو مجروحة الشعور ولكن من دون جدوى .

«لا ابداً !تعالي ، سأكون كيساً فانا لااستسيغ فستانك ولكنني اعتقد بانك – رائعة» ثم دفع بيديه الى الهواء كأنه لم يتمكن من التعبير

عن اعجابه .

ابتسمت (ميج) ورق قلبها ، ثم همست باذنه اثناء انتظارها : «حاذر وإلا تعثرت باذيال فستاني . لقد افسد علي ليلتي ، وقد كنت فتاة حمقاء لانني رضيت ارتداءه» .

«ثبتيه حول عنقك وسيكون ذا فائدة»

قال (لوري) وهو ينظر الى الجزمة الزرقاء التي نالت اعجابه دون شك .

«(لوري) ! اريد منك ان تقوم لي بخدمة فهل لك ان تعملها ؟» تساءلت (ميج) .

«قولي مابدا لك» اجاب (لوري) بحيوية ومرح .

«ارجوك ان لاتخبر عائلتي عن فستاني هذا . فانهن لن يفهمن النكتة التي تكمن وراء العملية ، وستقلق امي»

«لماذا ارتديته اذاً قالت عينا (لوري) بوضوح بحيث سارعت (ميج) قائلة : «ساخبرهم بنفسي عن كل شيئ واعترف لامي بحماقتي . انني افضل ان اقوم بذلك بنفسي فارجو ان لاتخبرهم انت» .

«اعدك باني لن اخبرهم . ولكن ماعساي ان اجيب اذا ما سألوني»

«اخبرهم باني في حال جيدة وباني اقضي وقتاً ممتعاً» .

«سأخبرهم عن الجزء الاول من كل قلبي ، ولكن ماذا عن الجزء الآخر ؟ لاتبدين كمن يقضي وقتاً ممتعاً اليس كذلك ؟» ونظر اليها (لوري) نظرة ذات مغزى جعلتها تهمس مجيبة : «كلا ليس الآن . ارجو ان لاتظن باني فتاة مقرفة . لقد اردت شيئاً من المتعة لا اكثر ولكني اكتشفت بان

مثل هذه المتعة هي امر عديم الجدوى ولذلك فاني بدأت اسأمها» .
«ارى (نيد موفيت) قادماً . ترى ماذا يريد ؟» قال (لوري) وهو يعقد حاجبيه الداكنين كأنه لم يرحب بمقدم هذا المضيف الشاب .
«ياله من فتى مضجر» قالت (ميج) وهي تتظاهر بعدم المبالاة مما ارضى (لوري) كثيراً واسعده .
ولم يكلمها ثانية حتى حان وقت العشاء عندما شاهدها تتناول الشمبانيا مع (نيد) وصديقه (فشر) اللذين كانا يتصرفان «تصرفاً احمق» كما قال (لوري) في نفسه لانه شعر بواجب اخوي تجاه (ميج) التي اعتبر نفسه مسؤولاً عن رعايتها ورعاية اهلها الى الحد الذي دفعه لكي يكون حاميهن اذا ماتطلب الامر ذلك .
«ستشعرين بصداع مؤلم غداً اذا شربت هذا المشروب ، فكفي عن ذلك . ان امك لاتستسيغ مثل هذا التصرف» همس (لوري) في اذنها وهو يميل باتجاه كرسيها عندما انشغل (نيد) بملء قدحها وانهمك (فشر) في التقاط مروحتها .
«اني لست (ميج) هذه الامسية ، بل دمية تقوم بشتى الاعمال الحمقاء . سانبذ الريش والتبرج غداً واعود كما كنت – فتاة لطيفة» اجابت (ميج) بضحكة متكلفة .
«ليتنا كنا في يوم غد اذاً» تمتم (لوري) وهو ينصرف غير راضٍ عن التغير الذي طرأ عليها .
ورقصت (ميج) ، وتغازلت ، وثرثرت وتقهقهت شأنها في ذلك شأن بقية الشابات . وبعد العشاء اخذت تحاول رقص (الجرمان[*])

* جرمان : ضرب من الرقص شاع في تلك الفترة .

ولكنها تخبطت به وكادت تقلب رفيقها باذيال فستانها الطويلة . ثم اخذت تمرح بشكل روع (لوري) الذي اخذ يتحين الفرص لكي يقوم بنصحها بهدف ردعها ولكن الحظ لم يحالفه بذلك لان (ميج) تعمدت الابتعاد عنه حتى حان وقت انصرافه واقترابه منها مودعاً .

«تذكر وعدك» قالت وهي تحاول ان تبتسم اذ كان الصداع قد بدأ.

«ساصمت حتى الموت !» اجاب (لوري) بتلويحة مشجانية مثيرة وهو ينصرف .

وقد اثار هذا المشهد الجانبي فضول (آني) ولكن (ميج) كانت تعبة جداً بحيث لم تكن بمزاج يسمح لها بتبادل القيل والقال وقد ذهبت الى الفراش مباشرة وكأنها قد اشتركت في حفلة تنكرية وانها لم تقضِ وقتاً طيباً كما توقعت . وقد شعرت بتوعك صحتها طيلة اليوم التالي . اما في يوم السبت فانها عادت الى بيتها تعبة ومرهقة بعد ان قضت اسبوعين من المرح ذاقت فيهما طعم الترف لفترة كافية .

«ان يعيش الفرد حياة هادئة من غير الاضطرار الى الخضوع للمجاملات الاجتماعية هو امر يبعث على السرور على مايبدو . فالبيت هو مكان بديع وان لم يكن فخماً قالت (ميج) وهي تنظر حواليها وقد ارتسم على وجهها تعبير مريح اثناء جلوسها مع (امها) و (جو) مساء يوم الاحد

«يسعدني ان اسمع منك هذا الكلام ياعزيزتي ، اذ خشيت ان يبدو لك البيت فقيراً وموحشاً بعد ان ذقت طعم الترف» اجابت امها التي

كانت قد حدجتها بنظرات قلقة اذ سرعان ماتتمكن العيون الحنونة للامهات من ملاحظة اي تغيير على وجوه الاطفال .

لقد روت (ميج) تفاصيل مغامراتها بمرح وكررت عدة مرات انها كانت قد قضت وقتاً ممتعاً الا ان ثمة امراً كان ثقيل الوطأة على نفسها وبعد ان ذهبت اختاها الصغيرتان الى فراشهما جلست تنظر الى النار بتأمل . ولم تتكلم الا قليلاً لانها بدت قلقة . وما ان دقت الساعة معلنة التاسعة مساءً ، واقترحت (جو) ذهابها الى الفراش ، حتى تركت (ميج) مقعدها وجلست على كرسي البيان الخاص بـ (بيث) وركزت مرفقيها على ركبة امها وقالت بشجاعة :

«اريد ان اعترف يا (مامي) »

«هذا ماظننت . فما الامر ، ياعزيزتي ؟»

«هل تريدين مني الابتعاد ؟» تساءلت (جو) بحذر .

«طبعاً لا . الم اخبرك دائماً بكل شيء ؟ كنت خجلة من الحديث امام الطفلتين ولكني اريدك ان تعرفي ماقمت به من تصرف سيءٍ في بيت آل (موفيث) »

«اننا مستعدان» قالت السيدة (مارتش) وهي تبتسم ولكنها بدت قلقة نوعا ما .

«لقد اخبرتكما بانهن قد قمن باكسائي وزينتي ولكنني لم اقل لكما بانهن زينني باسراف بالغ بحيث اصبحت اشبه بدمى الازياء . ولم يكن مظهري لائقاً من وجهة نظر (لوري) . وقد شعرت بذلك بالرغم من ان (لوري) لم يقل شيئاً . وقد قال احدهم عني بانى كنت مثل «دمية» .

ولقد ادركت جيداً بان عملي هذا كان احمق ولكنهن اجمعن باني كنت جميلة للغاية ، واسرفن في اطرائي وما الى ذلك من سخيف العبارة ، ولذلك سمحت لهن بان يجعلن مني اضحوكة» .

«اهذا كل مالديك ؟» سألت (جو) بينما نظرت السيدة (مارتش) بصمت الى ابنتها الجميلة التي اسدلت رأسها باكتئاب ، ولكنها لم تجد لديها القابلية على زجرها لما ارتكبته من حماقة .

«كلا ! فقد شربت الشمبانيا واسرفت في المرح وحاولت الغزل وكنت مقيتة بشكل عام» قالت (ميج) وهي تلوم نفسها .

«هناك ثمة شيء على ماأظن» قالت السيدة (مارتش) وهي تلطف الخد الناعم الذي تورد فجأة عندما اجابت (ميج) بهدوء :

«اجل انه امر سخيف جداً ولكنني اريد ان اخبركما به لاني اكره ان يظن الناس بنا و (لوري) الظنون ويتكلموا عنا» قالت (ميج) ثم راحت تسرد لهما تفاصيل القيل والقال الذي سمعته في بيت آل (موفيت) . وعندما كانت تتكلم لاحظت (جو) قيام والدتها بزم شفتيها كأنها لم تكن مرتاحة لاقتحام مثل هذه الافكار فكر (ميج) البريء.

«انه اسخف كلام سمعته في حياتي» صاحت (جو) بسخط . «لماذا لم تنبري لهما لتخبريهما مقدار سخف ماكانتا تقولانه ؟»

«لم اتمكن من ذلك ، فقد شعرت بالاحراج . ففي بادئ الامر دفعني الفضول الى الاستماع وبعد ذلك تملكني شعور بالغضب والعار انساني وجوب الابتعاد».

«انتظري لحين لقائي بـ (آني موفيت)

وسأريك كيف سيتم لي تسوية مثل هذا الامر .
يالها من ظنون: فكرة المخططات ومجاملة (لوري) فقط لانه صبي غني وقيامه بالتزوج من احدانا عن قريب . سيغضب (لوري) كثيراً عندما اقوم باخباره مايقال عنا نحن المسكينات» . قالت (جو) ثم ضحكت وكأن الامر قد بدا لها مضحكاً بعد ان فكرت به قليلاً .
«اذا اخبرت (لوري) فسوف لا اغفر لك».
«علينا ان تتجنب مثل هذا التصرف اليس كذلك ياأماه ؟» قالت (ميج) وهي تبدو منزعجة .
«كلا . حاذري من تكرار هذه الثرثرة السخيفة وانسيها باسرع مايمكن» قالت السيدة (مارتش) بجد «لم اتصرف بحكمة عندما سمحت لك بالذهاب لزيارة عائلة لاتربطني بها معرفة قوية .
فقد تكون فتياتها لطيفات لاشك ، الا انهن دنيويات وغير مهذبات وقد امتلأت افكارهن
بقيم سوقية . عن الشباب . وان شدة اسفي تحول دون تمكني من التعبير عن مدى مالحق بك من ضرر نتيجة ماحققته لك هذه الزيارة من اذى يا (ميج)».
«لاتأسفي ، فلن ادع الأمر يؤلمني .
سانسى الجوانب السيئة من هذه الزيارة ولن اذكر سوى الجيدة منها فلقد قضيت اوقاتاً ممتعة وانا ممتنة لك لانك سمحت لي بالذهاب . سوف لااكون عاطفية اومستاءة يا اماه . انا ادرك باني فتاة صغيرة حمقاء وسابقى معك الى الوقت الذي ساتمكن فيه من العناية بنفسي بشكل

مرضٍ . ومع ذلك فلابد لي إن اقول بان الاعجاب والاطراء هنا شيئان جميلان ولايسعني سوى الاعتراف بانهما يروقان لي «قالت (ميج) وقد بدت نصف خجلة بعد هذا الاعتراف .

«انه امر طبيعي ولاضرر فيه على ان لايخرج الامر من يديك وينقلب الميل عاطفة جامحة لايمكن السيطرة عليها وقد تدفع الانسان الى ارتكاب اعمال حمقاء غير مسؤولة . فعليك ان تتعلمي كيف تميزين الاطراء الجدير وتقيميه وكيف تستحوذين على اعجاب الخيرين من الناس بتواضعك وجمالك في آن واحد يا(ميج)» .

جلست (مارجريت) وقد انهمكت في تفكير عميق بينما وقفت (جو) وهي تشبك يديها خلفها وقد بدت مهتمة وحائرة بعض الشيُ . لقد كان منظر (ميج) وهي تحمر خجلاً – وتتحدث عن الاعجاب والمحبين والى غير ذلك من الامور – امراً غريباً وقد شعرت (جو) بان اختها قد نمت وكبرت خلال هذين الاسبوعين على نحو سريع وغريب جداً وبانها قد اخذت تنجرف بعيداً عنها – تنجرف الى عالم يصعب عليها (اي على (جو)) اتباعها .

«هل لديكِ (مخططات) . كما تقول السيدة (موفيت) يا اماه؟» تساءلت (ميج) بشيُ من الخجل .

«اجل ياعزيزتي – لدي الكثير من المخططات شأني بذلك شأن بقية الامهات ، ولكن مخططاتي ليست كمخططات السيدة (موفيت) على ماأظن .

ساخبرك عن البعض منها لان الوقت قد حان لكي يستوعب عقلك

وقلبك العاطفيان شيئاً من الامور الجادة . انك صغيرة السن ولكنك لاتعجزين عن فهم ما اريد قوله . فافواه الامهات هي افضل مايمكنه التعبير عن مثل هذه الامرور لفتيات مثلك . وسوف يحين دورك انت يا (جو) قريباً فانصتي واسمعي تفاصيل مخططاتي وساعديني على تنفيذها ان كانت جيدة ومجدية» .

ومشت (جو) لتجلس على مسند الكرسي وقد بدت كأنها تظن بانهن كن على وشك المساهمة في تنفيذ امر ذي بال . وبعد ان امسكت بيد كل من ابنتها ، وراقبت وجهيهما اليافعين بتأمل . قالت السيدة (مارتش) بطريقتها الجادة التي لم تخل من مرح وابتهاج :

«اريد ان تكون فتياتي جميلات وبارعات وصالحات مما لديهن من مواهب متعددة . واتمنى ان يحزن على اعجاب ومحبة واحترام الجميع . وآمل ان يقضين شباباً سعيداً وان يتزوجن زواجاً لايخرج عن حدود الحكمة والقناعة وان يعشن حياة مثمرة وهانئة باقل مايشاء الباري عز وجل مايحدث للمرأة هو ان يتم زواجها من رجل صالح يسهر على محبتها وراحتها واني اتمنى ا ن تحظى فتياتي العزيزات بمثل هذه التجربة . ان التفكير بمثل هذه الامور هو شيئ طبيعي يا (ميج) ، كما ان تمنيها وانتظارها والتهيؤ لها لايخرج عن نطاق المنطق والمعقول . ولذلك فعندما يحين الوقت السعيد ستجدن انفسكن على اهبة الاستعداد للقيام بواجباتكن وانتن جديرات بالمتعة والبهجة التي ستحصلن عليها .

اني طموحة لمستقبلكن ، ياعزيزتي ولكنني لا ارضى ان تندفعن بدون ترو – لا اريدكن ان تتزوجن من رجال مجرد كونهم اغنياء لانهم

يعيشون في قصور فخمة هي ليست في الواقع بيوتاً لافتقارها الى المحبة والمودة . وعلى الرغم من ان المال هو شيئ ضروري وذو اهمية بالغة – وهوكذلك شيئ مهيب ونبيل اذا ما احسن استخدامه – فاني لا أريدكن ان تنظرن اليه كهدف تسعين الى تحقيقه . اني اميل الى ان تكن زوجات لرجال فقراء وانتن تنعمن بالسعادة والحب والرضى ولا اريدكن ان تكن ملكات تجلسن على عروش وانتن لاتملكن الاحترام ولاتذقن طعم الهدوء»

.

«لاتملك الفتيات الفقيرات اي نصيب من الحظ اذا ما اخفقن في تسليط الاضواء على انفسهن .

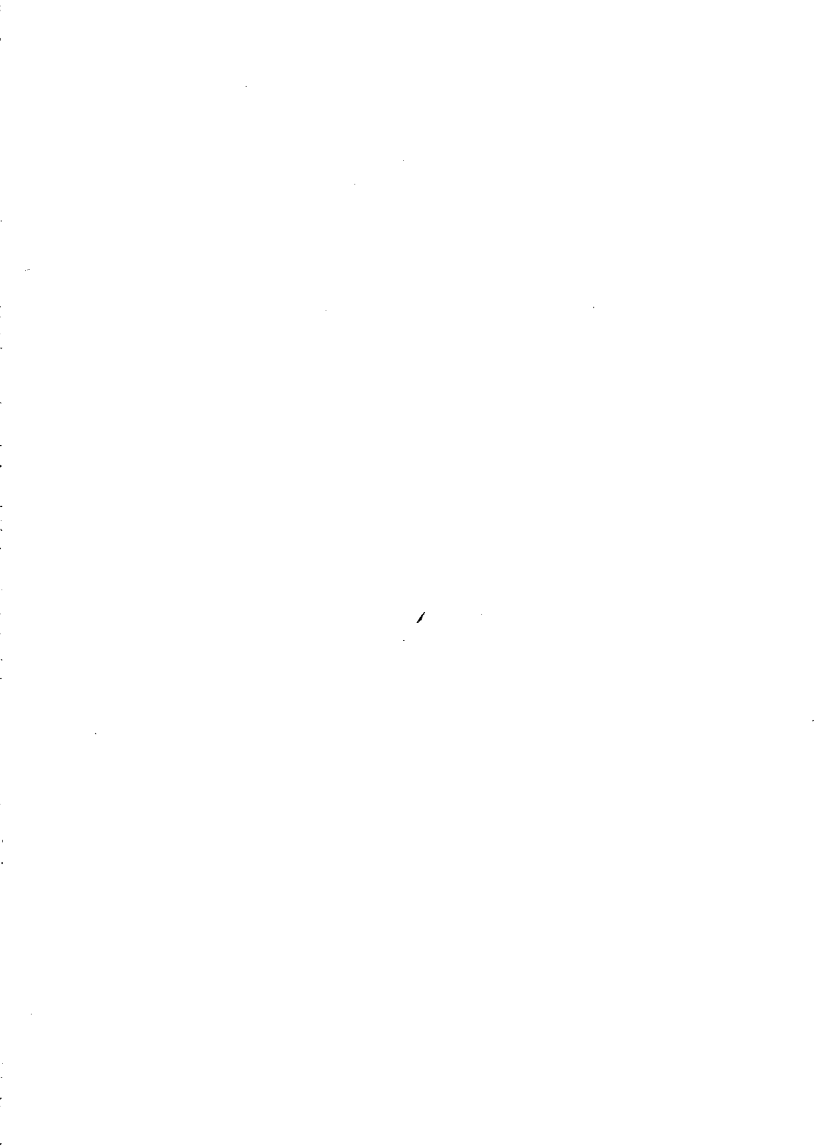
وهذا ماتقوله بل» تنهدت (ميج)

«اذاً سنبقى عوانس» قالت (جو) بعزم .

«هذا صحيح يا (جو) – فمن الافضل ان تبقين عوانس وانتن تنعمن بالسعادة بدلاً من ان تكن زوجات غير سعيدات او فتيات سيئات التصرف لاهم لديكن سوى التفتيش عن ازواج» قالت السيدة (مارتش) بطريقة قاطعة. «لاتقلقي يا (ميج) ، فالفقر لايحجب عنك الحبيب المخلص كما ان اعظم وافضل من عرفت من النساء كن فتيات فقيرات وجديرات بالحب الى الحد الذي لم يتركن عنده ليبقين عانسات بل تزوجن بسرعة . عليكن ترك مثل هذه الامور للزمن ، وعليكن ان تجعلن من هذا البيت مكاناً سعيداً لتصبحن اهلاً لادارة وادامة بيوتكن عندما يكون ذلك من نصيبكن ولكي تبقين راضيات وقانعات عندما لاتصبح هذه البيوت من نصيبكن . وعليكن ان تتذكرن دوماً امراً هاماً

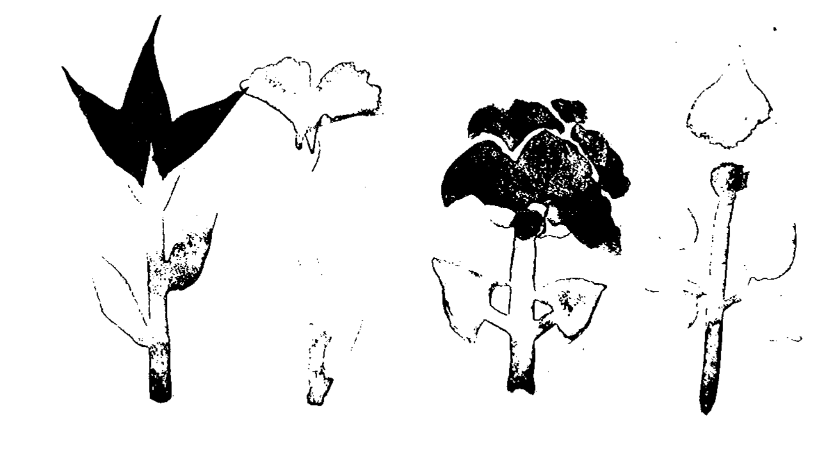
وهو ان امكن هي مستودع اسراركن وان اباكن هو صديقكن ، وان كلينا يأمل ويتمنى ان تبق حبيباتنا – متزوجات او عوانس – قرة العين وبهجة الحياة» .

«سنكون كذلك يا (مامي) سنكون كذلك» صاحت الفتاتان من الصميم عندما نهضت امهما لتتمنى لهما ليلة سعيدة وهانئة .



الفصل العاشر





منتدى بيكويك ودائرة البريد

بحلول فصل الربيع برزت متع واساليب لهو جديدة لتكون بمجموعها ممارسات التسلية السائدة ، فقد اعطت الزيارة المتواصلة طيلة النهار الفرصة لممارسات مختلف انواع العمل والمتعة خلال فترات العصر الطويلة . وكان على فتيات عائلة (مارتسش) اعادة تنسيق الحديقة ، فقد احتفظت كل منهن بربع المساحة لتتصرف بها كما شاءت . وقد اعتادت (حنه) ان تقول : «استطيع التعرف على هوية المزارعة منهن بمجرد النظر الى الحاصل الزراعي حتى لو شاهدته في الصين لربما تمكنت حقاً من ذلك رغم اختلاف اذواق الفتيات باختلاف شخصياتهن واطباعهن .

فقد اعتادت (ميج) ان تزرع الورد والآس ورقيب الشمس ليحيط

بشجرة البرتقال الصغيرة . اما روض (جو) فقد اختلف من فصل لاخر لانها كانت تهوى اجراء مختلف التجارب ، وقد اختارت هذا العام زراعة عباد الشمس لكي تطعم من بذوره «العمة كوكل» ، الدجاجة المفضلة ، وفراخها . وقد عمدت (بيث) الى زرع زهور عطرة من الطراز القديم: الحلبان العطر ، والبليحاء العطرية والعائق والقرنفل وزهر الثالوث والشجرة الجنوبية وعشب الطير الذي تحبه الطيور والنعناع الذي تحبه القطط . وكان ل (ايمي) في الجزء المخصص لها من الحديقة تعريشه صغيرة فيها الكثير من الذوائب المستدقة الطرف ولكنها كانت جميلة المنظر : فقد احتوت على شجيرات صريمة الجدي* ونجوم الصباح التي راحت تتدلى كؤوسها وقرونها الملونة باكاليل في كل جزء من اجزاء العريشة ، كما اشتملت على الزنبق الابيض الطويل والسرخس الرقيق واكبر عدد من المزروعات الفاتنة ، ذات المنظر الجميل التي يمكنها ان تنمو وتزدهر هنالك .

وكان الوقت يقضى بالبستنة ، والتنزه مشياً على الاقدام او في القوارب النهرية او الجلوس خلال الأماكن بحثاً عن الزهور . اما في الأيام الممطرة فقد كانت لها تسليات بيتية كان البعض منها قديماً والبعض الآخر جديداً ولكنها جميعها مبتكرة على وجه التقريب وكان (ن . ب .) من بين هذه التسليات . ولأن الجمعيات السرية كانت هي النمط السائد في ذلك الوقت ، فان تشكيل جمعية سرية لم يكن من الممارسات التي تخرج عن حدود اللياقة . ولما كانت الاخوات الاربع معجبات بالكاتب

(*) — صريمة الجدي — شجيرة ازهارها غنية بالرحيق — المترجم

(تشارلس ديكنز) فقد اخترن لانفسهن اسم (منتدى بيكويك) او (م . ب .) . وباستثناء بعض الانقطاعات القليلة ، فانهن واصلن هذه الممارسة لمدة سنة وذلك من خلال اجتماعهن مساء كل سبت في العلية(*) . وكانت المراسيم التي تجري فيها هي كالاتي : يتم وضع ثلاثة كراسي في صف واحد امام مائدة وضع عليها مصباح واربع مشارات كتب على كل منها بلون مختلف ، الحرفين (ن . ب .) وصحيفة اسبوعية ، اسمها (حقيبة بيكويك) كانت الفتيات يساهمن فيها بينما كانت (جو) — التي وجدت متعتها البالغة بين الاقلام والحبر — رئيسة تحريرها . ففي تمام السابعة تذهب العضوات الاربع الى العلية حيث يعقدن الشارات حول رؤوسهن ويأخذن اماكنهن بهدوء واجلال . وبصفتها الاخت الكبرى ، فان (ميج) تكون (ساموئيل بيكويك) كما كانت (جو) — بسبب اتجاهها الادبي — هي (اوغسطوس سنود جراس) .

ولامتداد جسمها ، ولونها الوردي فان (بيث) كانت (ترايسي تويمان) . اما (ايمي) فان محاولاتها القيام بما لم تتمكن من تحقيقه قد اهلتها لدور (ناثانيال وينكلف). وكان (بيكويك) ، رئيس المنتدى يقرأ الصحيفة التي كانت مليئة بالقصص المبتكرة والاشعار والاخبار المحلية والدعابات المضحكة والاشارات ذات المغزى التي ارادت الفتيات من خلالها تذكير بعضهن باخطائهن ومواطن ضعفهن بروح ودية . بمناسبة وضع السيد (بيكويك) على عينيه عوينات من دون اية زجاجات وبعد ان ضرب على المائدة وتنحنح — وبعد ان حدق بجدية الى وجه السيد

(*) — العلية — هي الحجرة التي تقع تحت السقف الاعلى للبيت مباشرة — المترجم

(سنود جراس) الذي سرعان مااعتدل في جلسته بعد ان كان يميل بكرسيه الى الخلف – بدأ يقرأ:

حقيبة بيكويك

في العشرين من ايار عام – ١٨٠٠

زاوية الشعراء

مره اخرى نلتقي لنحتفل
بالشارة والطقوس المهيبة
بعيدنا الثاني والخمسين
في قاعة بيكويك هذه الليلة
اننا هنا في احسن صحة ،
ولم نفقد اياً من عصبتنا
مرة اخرى نلتقي بكل وجه معروف
ونصافح كل يد ودودة
نحيي بكل احترام بيكويك
الذي يجلس دائماً في موقعه
وقد وضع نظارته على عينيه
ليقرأ صحيفتنا الاسبوعية الحافلة
وعلى الرغم من اصابته بالبرد
فاننا نجد متعة في سماع مايقول
اذ تندفع منه عبارات الحكمة

على الرغم من النعيق والصوت الحاد الرفيع
يلوح سنود جراس الطويل في الافق عالياً
بجمال يفتقر الى الرشاقة
ليبتسم للعصبة
بوجه اسمر مرح .
تضيء عيناه بنار شعرية
ويناضل ضد قدره
الطموح ظاهر على جبينه
وعلى انفه بقعة حبر.
ثم يأتي بعد ذلك توبمان المسالم
وردي اللون ممتلئ لطيف
ليغص عند كل نكتة ضاحكاً
وينقلب من مقعده ساقطاً .

ان وينكل الصغير ، الانيق موجود كذلك
وقد رتبت كل شعرة من شعره في مكانها
فهو مثال الحشمة والوقار
وان كره غسل وجهه

ومضى العام ومازلنا معاً
نمرح ، ونضحك ونقرأ

ونمضي في دروب الادب
الذي يقودنا الى المجد

لتعش وتزدهر صحيفتنا
وليبق نادينا قائماً
ولتنعم السنون ببركاتها
على نادي بيكويك المرح.

أ . سنود جراس/

الزواج المقنع
(قصة من البندقية)

اندفعت الجندولات الواحد خلف الآخر ، نحو السلم المرمري ، وتركت حمولتها الجميلة الانيقة تضاعف الحشد الذي ملأ ابهاء قصر (الكونت دي أديلون) الفخمة . وان الفرسان النبلاء والسيدات العريقات ، والاقزام والخدم والغلمان االرهبان و بائعات الزهور — وجدوا انفسهم يمتزجون بمرح وبهجة في اثناء الرقص . وقد امتلأ الجو بالاصوات العذبة والنغمات الشجية . وهكذا مضت الحفلة التنكرية بين الموسيقى والمرح .

«لا اعلم ان كنت ، ياصاحبة السمو الملكي ، قد شاهدت (الليدي فايولا) هذه الامسية ؟» سأل المغني الجوال ، الشهم الملكة الجنية التي تهادت ماشية وهي تتكئ على ذراعه .

«أجل . اليست هي جميلة على الرغم من حزنها الشديد . لقد احسنت انتقاء فستانها . بعد اسبوع ستتزوج من (الكونت انطونيو) الذي تكرهه كرها شديداً» .

اقسم بشرفي باني احسده . فها هو قادم يتهادى مثل العريس وقد اختفى وجهه خلف القناع الاسود الذي سندرك ، عندما يقرر رفعه ، ما اذا كان يليق بالانسة المهذبة التي اخفق في الفوز بقلبها على الرغم من قيام ابيها الصارم من منحه يدها» اجاب المغني الجوال .

«يقال همساً بانها تهوى ذلك الفنان الانكليزي اليافع الذي يكثر من

التردد على سلم منزلها والذي كان ابوها قد رفضه» قالت السيدة النبيلة وهما يشتركان مع الجميع في الرقص .

وكان المرح في اوجه عندما ظهر قس ليسحب بقماش مخملي وردي اللون وليشير اليهما بالركوع امامه . وعلى الفور خيم السكون على ذلك الحشد البهيج ولم يسمع غير صوت الماء وهو يندفع من افواه النافوارات وحفيف اشجار البرتقال التي راحت تغط في سبات عميق تحت ضوء القمر . وهنا تكلم (الكونت دي اديلون) قائلاً :

«سيداتي وسادتي اعذروا الخدعة التي تم لي من خلالها دعوتكم للحضور هنا لكي تشهدوا زواج ابنتي . فهل لك الابتداء بالمراسيم ياحضرة الأب القس» .

اتجهت كل العيون صوب العروسين وسرعان ماسرت في ذلك الحشد من الناس همسة تعجب لعدم قيام العروسين برفع قناعيهما . وعلى الرغم مما انتاب الحاضرين من شعور بالدهشة وحب الاستطلاع فان الاحترام قيد السنتهم لحين الانتهاء من الطقوس المقدسة . وما ان تم ذلك حتى احاط المتفرجون — المدفوعون بحب الاستطلاع واللهفة — بالكونت يطلبون منه توضيحاً :

«يسرني جداً ان اتقدم بمثل هذا التوضيح لو تمكنت من ذلك . ان الامر على ماعلم لايتعدى كونه نزوة من (فايولا) المتهيبة وقد اذعنت لذلك .

والآن ياطفلي علينا الانتهاء من هذه المسرحية ارفعا قناعيكما وتلقيا بركاتي .

لم يثن اي منهما ركبة ، الا ان العريس الشاب اجاب بلهجة ادهشت المستمعين كافة عندما سقط القناع ليكشف عن وجهه (فرديناد ديفيرو) النبيل ذلك الفنان العاشق . وقد أتكأت على صدره - حيث تلامعت الآن نجمة (إيرل [*]) انكليزي - (فايولا) الفاتنة وهي تشع جمالاً ومرحاً

«لقد عاملتني بازدراء وترفع ، يامولاي ، عندما تقدمت اليك بطلب يد ابنتك وادعيت اسماً لايقل منزلة وسمواً عن اسم الكونت (انطونيو) وثروة تضاهي ثروته . ولكنني اكثر من ذلك في الواقع . فحتى نفسك الطموحة لايسعها ان ترفض (ايرل ديفرو ودي فير) عندما يهب اسمه العريق وثروته التي لاتعد ولاتحصى لقاء اليد الحبيبة لهذه السيدة الجميلة التي اصبحت زوجتي الآن»..

وقف الكونت دون حركة وكأنه تحول الى صخر . اما (فردیناند) فقد التفت الى الجمهور الذي اذهلته المفاجأة ليضيف قائلاً ، وقد اعتلت وجهه ابتسامة نصر مرحة : «اتمنى ان تتكلل مساعيكم الغرامية بالنجاح مثلما نجحت انا في مسعاي .

واتمنى لكم يااصدقائي ان تحظوا بزوجات جميلات كزوجتي التي حظيت بها من خلال هذا الزواج المقنع» .

اس . بيكويك .

(*) الأيرل - لقب من الالقاب التي تمنح من قبل التاج البريطاني وقد يتم توارثها في بعض الاحيان وهي من الاعلى الى الادنى كلاتي: الدوق الكونت ، الماركيز ، الايرل ، الفيكونت والبارون - المترجم

لماذا نجد بان نادي (بيكويك) هو مثل برج بابل؟
لانه مليئ بالعضوات العنيدات .

تاريخ كوساة

يحكى ان مزارعاً قام في يوم ما بزرع بذرة صغيرة في حديقته . وبعد فترة من الزمن أثمرت ونمت لتصبح كرمة تحمل الكثير من الكوسة . وعندما أينعت قام في احد ايام تشرين الاول بقطف واحدة واخذها الى السوق فاشتراها منه بقال ووضعها في محله .

وفي نفس اليوم اشترتها لامها فتاة صغيرة ، مستديرة الوجه ، خنساء ، تلبس فستاناً بني اللون وقبعة زرقاء . وبعد ان اخذتها الى البيت ، وقطعتها ثم غلتها في القدر الكبير ، عمدت الى هرس جزء منها مع قليل من الملح والزبدة وحفظتها لوجبة العشاء . ثم اضافت الى الباقي منها نصف لتر من الحليب وبيضتين واربع معالق سكر ، اضافة الى القليل من البسكويت الهش وجوز الطيب ، ووضعت هذا المزيج في اناء عميق واودعته في الفرن حتى اكتسب لوناً بنياً جميلاً .
وفي اليوم التالي تم اكل هذا الطبق من قبل عائلة اسمها عائلة (مارتش) .
تي . توبمان

عزيزي السيد بيكويك: أكتب لك فيما يتعلق بموضوع الخطيئة والمخطئ والذي اعني به السيد (وينكل) الذي يثير المشاكل في منتداه من خلال ضحكه وامتناعه عن المساهمة في الكتابة في هذه الصحيفة الجيدة ارجو ان تغفر تصرفه السيئ هذا وتدعه يرسل قصة فرنسية لانه لايستطيع تأليف رواية او قصة بسبب كثرة واجباته وسأحاول مستقبلاً ان اجد الوقت الكافي لتهيئة بعض العمل والآن علي ان اسرع لان وقت المدرسة قد حان .

المخلص

إن . ونكل

الرسالة اعلاه شهمة جداً وتضم اعترافاً بما ارتكبه كاتبها من جنح . ولربما كان بامكانها ان تكون رسالة افضل لو احسن كاتبها فن التنقيط

حادث محزن

تباغتنا يوم الجمعة المنصرم بهزة عنيفة في قبو دارنا تلتها صيحات استغاثة . وبعد ان هرعنا جميعاً الى القبو اكتشفنا بان رئيس نادينا الجيب قد استلقى على الارض بعد ان زلت قدمه وسقط أثناء قيامه بجلب شيئ من الحطب لاغراض منزلية .

وسرعان مامثل امامنا ماتحقق من اضرار .

فاثناء سقوطه غطس رأس السيد بيكويك وكتفاه في اناء فيه ماء كما تسببت قامته القوية بقلب برميل فيه صابون مما ادى الى تمزيق ردائه . وبعد نقله من هذا الوضع الخطير تبين بانه لم يصب باي ضرر باستثناء بعض الكدمات والخدوش ويسرنا ان نقول بانه يتماثل الآن الى الشفاء .

المحرر

مصاب اليم

انه لمن دواعي اسفنا ان نعلن ان صديقتنا العزيزة السيدة (سنو بول بان بو) قد اختفت على نحو غامض ومفاجئ . وكانت هذه القطة العزيزة ، المحبوبة ، المخلوقة المدللة لمجموعة واسعة من الاصدقاء الذين اولوها اعجابهم واسبغوا عليها حبهم الدافئ ، ذلك لان جمالها جذب الانظار اليها كما قربها ظرفها وجمال فضائلها من القلوب مما جعل المجتمع باسره يشعر بمرارة فقدانها .

وكانت قد شوهدت أخيراً وهي تجلس قرب بوابة البيت وتراقب عربة القصاب باهتمام بالغ . ويخشى ان وغداً ما قد سرقها بعد ان سقط اسير مفاتنها .

وعلى الرغم من مرور عدة اسابيع على اختفائها لم يتمكن احد من ان يجد اي اثر لها . وبذلك فقدنا كل امل في رجوعها مما دفعنا الى تثبيت شريط اسود على سلتها (التي كانت تأوي اليها) ورفع الاناء (الذي كانت تتناول منه حليبها) وها نحن الان نبكي حزناً على رحيلها لاننا فقدناه الى الابد . وقد ارسل احد الاصدقاء المتعاطفين معنا هذه الجوهرة الادبية :

رثاء :

نندب فقدان مدللتنا الصغيرة

ونتنهد حزناً لمصيرها الاليم

سوف لانراها بعد الآن تجلس قرب الموقد

او تلعب قرب البوابة الخضراء
يكمن القبر الصغير حيث يرقد صغارها
تحت شجرة الكستناء
بيد اننا لانستطيع البكاء فوق قبرها
الذي نجهل اين هو الآن واين سيكون
لن يراها فراشها الحالي
ولن ترها كرتها المهملة
فلا ضربة قدم هادئة ولا مواء حبيبة
تسمع عند باب صالة الجلوس
وفئرانها تلاحقهم قطة اخرى
قطة ذات وجه قذر
لاتصطاد كما كانت حبيبتنا
ولاتلعب على طريقتها الوقورة
وتطأ اقدامها ارض الغرفة نفسها
حيث كانت (سنو بول) تلعب وتمرح
وتكتفي بالبصق على الكلاب
التي كانت مدللتنا قد طردتها بجسارة
انها مفيدة ووديعة وتحاول جهدها
ولكنها ليست جميلة المنظر
فلا يسعنا ان نعطيها مكانك
او نعبدها مثلما كنا نعبدك .

أي . إس .

اعلان

ستلقي الاستاذة المحاضرة ، ذات الرأي المستقل ، الانسة (اورانتي بلوجاج) محاضرتها القيمة حول «المرأة ومكانها» مساء السبت القادم في قاعة بيكويك وذلك بعد العروض الاعتيادية .

سيتم عقد الاجتماع الاسبوعي في «موقع المطبخ» لتعليم بعض الاوانس المهذبات فن الطبخ . سترأس (حنة براون) هذا الاجتماع والدعوة عامة للجميع .

ستجتمع (جمعية مجرفة الكناسة) يوم الاربعاء المقبل للقيام باستعراض في الطابق العلوي من مبنى المنتدى فعلى الاعضاء كافة الحضور ببزاتهم الموحدة متنكبين مكانسهم في تمام الساعة التاسعة بالضبط .

ستفتتح الانسة (بيث باونسر) معرضها في الاسبوع القادم . وسيضم هذا المعرض تشكيلة جديدة من الملابس الخاصة بالدمى اثر استلامها احدث الازياء الباريسية . والمجال مفتوح امام الزبائن الكرام لتلبية طلباتهم .

في غضون الاسابيع القليلة المقبلة سيتم عرض تمثيلية جديدة على خشبة مسرح (بارنفيل). وستكون هذه التمثيلية حدثا لم يسبق له مثيل في تاريخ المسرح الأمريكي . اما اسم هذه الدراما المثيرة فهو «العبد الاغريقي» او «قسطنطين المنتقم»

تلاميخ

لو لم يلجأ إس . بي . الى استخدام كمية كبيرة من الصابون لغسل يديه لما تأخر في الجلوس على مائدة الفطور . يطلب من أي . إس . عدم الصفير في الشارع .

يرجى من تي . تي . عدم نسيان فوطة (إيمي) . يجب على أي . دبليو التوقف عن التذمر والقلق لان بدلتة لاتحتوي على اثنتي عشرة طية .

التقرير الاسبوعي

ميج — جيد

جو — ردئ

بيث — جيد جداً

ايمي — متوسط

بعد ان انتهى رئيس النادي من قراءة الصحيفة (التي اؤكد للقارئ الكريم) كانت نسخة اصلية لما جاءت بها قريحة فتيات مخلصات من نصوص أدبية) صفق الحاضرون ثم نهض السيد (سنو جراس) لطرح اقتراح وقال :

«السيد رئيس الجلسة، سادتي» ابتدأ (سنو جراس) يتكلم بطريقة برلمانية ، «اود طرح اقتراح قبول عضو جديد – وهو شخص جدير جداً بهذا الشرف الذي اذا ماتحقق فسيجعله ممتناً للغاية كما سيعزز من مكانة

هذا النادي والقيمة الادبية لهذه الجريدة وسيكون عضواً مرحاً ومفيداً للغاية . سادتي دعوني اقترح قبول انتماء السيد (ثيودور لورنس) بصفة عضو شرف في منتدى بيكويك فارجو منكم الموافقة على ذلك» .

دفع هذه التغير في نبرة (جو) الفتيات الى الضحك ومع ذلك فقد بدا عليهن القلق فلم تنبس اي منهن بكلمة واحدة بعد ان جلس (سنو جراس) في مقعده

«سنطرح الاقتراح للتصويت» قال الرئيس . «ليعلن الموافقون على الاقتراح عن رأيهم بقولهم عبارة (نعم) .

اعقبت استجابة (سنو جراس) الجهورية استجابة متهيبة من لدن (بيث) استغرب الحاضرون لها .

«ليعبر الحاضرون عن رأيهم بكلمة (كلا)» .

كانت (ميج) و (ايمي) معارضتين . وهكذا نهض السيد (وينكل) قائلاً بفصاحة عظيمة : «لانرغب في اشتراك الصبيان اذ انهم لايعرفون سوى الهزل والعبث . هذا خاص بالسيدات ولذلك نرغب ان يستمر في طابعه الخصوصي ولياقته»

«اخشى انه سيضحك من جريدتنا ويستهزئ بنا بعد ذلك» علق (بيكويك) قائلاً وهي تشد على خصلة الشعر فوق جبينها كعادتها عندما تكون مترددة .

وهنا نهض (سنو جراس) ليقول بجدية واخلاص : «أؤكد لك ياسيدي ، بصفتي سيداً مهذباً ، واعدك ان (لوري) لن يفعل اي شيئ من هذا القبيل . انه يهوى الكتابة ولذلك فانه سيضفي على صحيفتنا

اسلوباً جديداً وسيحول دون انجرافنا وراء العاطفة ، فهل تعجزون عن ادراك ذلك ؟

فبامكانه اعطاؤنا الكثير بينما لانتمكن من اعطائه الا الشئ اليسير جداً ، وان أقل مايمكننا عمله هو الموافقة على عضويته والترحيب به اذا ماجاء بيننا» .

ان هذا الايحاء الذكي باحتمال الحصول على منافع معينة دفع بـ (تويمان) الى النهوض واقفاً وقد بدا كانه قد توصل الى قناعة معينة .

«اجل ، علينا ان نوافق على الرغم من خوفنا . فبامكانه ان يكون عضواً وكذلك جده ان شاء ذلك» .

اثر هذا الانبثاق الفاعل من لدن (بيث) تكهرب جو النادي وسرعان ما تركت (جو) مقعدها وراحت تصافح الايدي مستحسنة هذا الرأي .

«والان علينا ان نصوت مرة اخرى . ليذكر الجميع ان الموضوع يخص صديقنا العزيز (لوري) فعلى كل منا ان يقول (نعم)» ، صاح (سنود جراس) بحماس «نعم ، نعم نعم» ، اجابت ثلاثة اصوات في آن واحد .

«جيد . ليبارككم الله . والآن دعوني اقدم لكم العضو الجديد .» ولدهشة الجميع قامت (جو) بفتح باب الخزانة على مصراعيه فظهر (لوري) وهو يجلس في كيس للفضلات وقد توردت وجنتاه وتلامعت بفعل الضحك المكبوت .

«ايتها الشقية ! ايتها الخائنة ! جو ! كيف سولت لك نفسك ذلك؟» صاحت الفتيات الثلاث عندما قادت (سنود جراس) صديقها وقد بدت مبتهجة بنصرها هذا . وبعد ان وجدت له مقعداً وشارة نصبته عضواً



بلمح البصر .

«ان برود اعصابكما ، ايها الوغدان ، امر يثير الدهشة» ، قال بيكويك وهو يحاول ان يبدو عابس الوجه ولكنه اخفق في ذلك اذ سرعان ما اعتلت وجهه ابتسامة ودودة . وكان العضو الجديد كفأً لمعالجة الموقف . وبعد ان وقف يحي رئيس الجلسة باحترام قال بنبرة جذابة ، ساحرة : «سيدي رئيس الجلسة ، سيداتي – استميحكم عذراً ، اقصد سادتي – اسمحوا لي ان اقدم نفسي . انا (سام ويلير) ، الخادم المتواضع لهذا المنتدى» .

«جيد! جيد!» ، صاحت (جو) وهي تدق على المائدة بمقبض مدفأة السرر* التي استندت عليها .

«ان صديقتي المخلصة ، ونصيرتي النبيلة» واصل (لوري) قائلاً وهو يلوح بيده التي قدمتني على نحو يشبع الغرور . غير مسؤولة عن هذه المكيدة . فانا الشخص الذي خطط لها ولم توافق صديقتي على تنفيذها إلا بعد تردد وبعد ان ضايقتها كثيراً» ....

«دعك من هذا الكلام ولاتحاول ان تحمل وزر هذا العمل بمفردك . انك تدرك جيداً بان اللجوء الى الخزانة كان من بنات افكاري» . قاطعته (سنود جراس) التي كانت تستمتع بهذه النكتة على نحو يثير الدهشة .

«لاتعرن اي اهتمام لما تقول . فانا الشقي الذي قام بهذا الفعل» . قال العضو الجديد وهو يومئ برأسه للسيد بيكويك ايماءة (ويليرية)* .

* مدفأة السرر – كانون نحاسي ذو غطاء كان يستخدم في الماضي لتدفئة السرر قبل الايواء اليها .

* ويليرية نسبة الى (سام ويلير) .

«اعدكن بشرفي الا اقوم بمثل هذا العمل مرة اخرى واكرس نفسي منذ الان لخدمة هذا المنتدى الخالد» .

«بوركت! بوركت!» صاحت (جو) وهي تضرب مدفأة السرر بغطائها محدثة فرقعة عالية تشبه صوت الصنج .

«استمر ، استمر» ، اضاف (وينكل) و (تويمان) بينما انحنى الرئيس بلطف ورقة .

«اردت ان اقول فقط باني قد انشأت دائرة بريد وسط سياج الشجيرات في الزاوية الدنيا من الحديقة وذلك رمزاً لامتناني على الشرف الذي منحتني اياه ومبادرة تستهدف تقوية اواصر العلائق الحميمة بين الدول المتجاورة . انها غرفة واسعة ، جميلة يمكن اقفال ابوابها . انها في الواقع قفص الخطاف وقد اوصدت ابوابه وعمدت الى فتح الجزء العلوي منه لكي يمكن وضع شتى الاشياء فيه مما يوفر للجميع وقتاً ثميناً . وفي الامكان ان تودع فيه الرسائل والمخطوطات والكتب والرزم ، وسيصبح ذا فائدة لكافة الاطراف اذ سيكون لكل دولة مفتاحها الخاص . والان دعوني اقدم المفتاح الخاص بالنادي واتقدم للجميع بشكري الجزيل راجياً السماح لي بالجلوس في مقعدي .

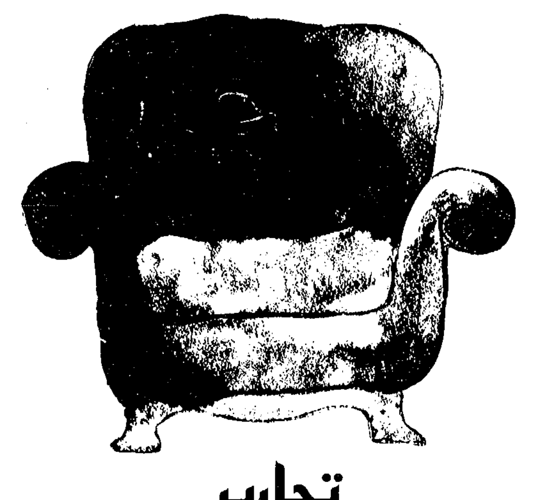
وقد تلا قيام السيد (ويلر) بوضع المفتاح على المائدة عاصفة مدوية من الهتاف والتصفيق كما سمع صوت فرقعة مدفأة السرر ولم يستتب النظام ويعود الهدوء الا بعد وقت من الزمن . ثم تلا ذلك نقاش طويل اجاد من خلاله كافة من ساهم فيه ، وكان الاجتماع في الواقع حيوياً للغاية ولم ينته إلا في ساعة متأخرة وبعد ان هتف الحضور ثلاث مرات

احتفاءً بالعضو الجديد . ولم تندم ايّ من الفتيات على قبول (سام ويلير) عضواً في المنتدى اذ ادركن بعدم امكانية قبول اي عضو اكثر التزاماً وأدباً وحيوية منه . وقد قام فعلاً باضافة جو من الحيوية على اللقاءات كما اعطى الصحيفة لوناً جديداً فقد استهوت آذان مستمعيه سماع فصاحته كما كانت مساهماته الادبية ممتازة اذ انها تراوحت بين الوطنية او الكلاسيكية او الهزلية او الدرامية ولكنها لم تكن عاطفية ابداً . اما بالنسبة لـ (جو) فان هذه المساهمات كانت تليق بـ (بيكون) و (ملتون) و (شيكسبير) كما انها تركت اثرها البناء على اعمالها .

كانت دائرة البريد هذه مؤسسة رائعة ازدهرت بشكل رائع فقد مر من خلالها الكثير من الاشياء الغريبة التي تمر من خلال دوائر البريد الحقيقية : اذ شهدت الاعمال المأساوية وربطات العنق ، الاشعار والمخللات ، البذور والرسائل الطويلة ، النوطات الموسيقية وكعك الزنجبيل كما شهدت دعوات ورسائل الزجر وغير ذلك وقد استهوت هذه الممارسة السيد العجوز الذي كان يجد متعة في ارسال الرزم والرسائل الغامضة وبرقيات مضحكة كما قام البستاني الذي يعمل في حديقته — والذي كان اسير هوى (حنة) — بارسال رسالة غرامية بواسطة (جو) . وقد ضحك اعضاء المنتدى كثيراً عندما انكشف هذا السر غير مدركين لعدد الرسائل الغرامية التي سيقدر لهذه الدائرة استلامها في السنين القادمة .

الفصل الخامس عشر





تجارب

«الأول من حزيران! ستسافر عائلة (كنج) غداً الى ساحل البحر وسأكون حرة. اذ سأنعم بعطلة امدها ثلاثة اشهر. كم ساتمتع بها!» قالت (ميج) بتعجب وهي تدخل البيت في يوم دافئ لتجد (جو) مستلقية على الاريكة وقد انهكها التعب والاعياء بينما خلعت (بيث) جزمتها التي علاها التراب وانشغلت (ايمي) بصنع شراب الليمون لتشترك مع اخواتها في شربه.

«سافرت اليوم العمة (مارتش)، وهذا حدث يستحق الفرح والابتهاج»، قالت (جو). «خشيت جداً من احتمال قيامها بالطلب مني بمصاحبتها فلو طلبت مني ذلك لشعرت بوجوب الاستجابة ولكنني ادرك

جيداً بان مدينة (بلومفيلد) تفتقر الى المتعة والبهجة افتقار المقبرة لها ولذلك كنت افضل عدم الذهاب بكل وسيلة . وقد انهمكنا في اعداد السيدة العجوز للذهاب وكان الخوف يلازمني كلما التفتت إلي لتكلمني . وكنت على عجل من امر اكمال مستلزمات رحلتها كافة ولذلك حاولت جهدي ان اكون في غاية الكياسة واللطف الى درجة خشيت من خلالها عدم تمكن العمة من الذهاب من دوني . وكنت اهتز وارتجف حتى الوقت الذي قامت فيه بالصعود الى العربة والجلوس فيها . وقد انتابتني موجة خوف عندما مدت رأسها من الشباك ، بعد ان تحركت العربة ، وهي تصيح : «جوزفين ، هل لك أن ....» ولم اسمع ما قالته بعد ذلك لاني كنت قد استدرت ووليت الادبار . لقد ركضت فعلاً وتواريت خلف الزاوية حيث شعرت بالأمان» .

«مسكينة (جو) . دخلت خائفة مثل فتاة يلاحقها عدد من الدببة» ، قالت (بيث) وهي تحضن قدمي اختها بطريقة أم حنونة .

ان العمة (مارتش) مساسة دماء بحق وحقيق اليس كذلك؟» ، علقت (ايمي) قائلة وهي تتذوق العصير الذي صنعته .

«انها تعني مصاصة دماء ، ولكن لااهمية لذلك . فالطقس دافئ الى درجة تدفع الواحدة منا الى غض النظر عن الاخطاء اللغوية» ، تمتمت (جو) قائلة :

ماذا ستفعلين خلال عطلتك هذه؟ تساءلت (ايمي) وهي تغير الموضوع بلباقة .

«سوف ابقى مستلقية في فراشي حتى ساعة متأخرة ولن اقوم باي

عمل» ، اجابت (ميج) من اعماق الكرسي الهزاز الذي جلست عليه .
«لقد اضطررت الى النهوض باكراً طيلة فصل الشتاء وقضيت ايامي وانا اقوم باعمال لاناس اغراب . والآن حان وقت تمتعي بالراحة وتلذذي بالرفاهية كما يهوى قلبي» .

«كلا . ان هذا النمط الكسول من العيش لايستهويني بالمرة . فلدي كدس من الكتب التي اريد مطالعتها وانا جاثمة في موقعي الخاص تحت شجرة التفاح القديمة عندما لااكون مشغولة بالـ....»

«لاتقولي المزاح» ، قالت (ايمي) بنبرة توسل وهي تحاول ان تزجر (جو) بالمقابل لتثأر من تصحيحها لعبارة «مساسة» .

«اذاً ساقول المرح اذ تعتبر هذه العبارة اكثر انسجاماً مع طبيعة (لوري) لانه مغرد صداح» .

«دعينا نؤجل القيام بتحضير اي درس من دروسنا لفترة من الزمن ، يا (بيث) ، ولنكرس وقتنا للّعب والراحة كما تنوي اختانا القيام به» ، قالت (ايمي) مقترحة .

«سافعل ذلك ان وافقت (مامي) . فانا اريد ان احفظ بعض الاغاني الجديدة كما ان عرائسي تحتاج الى ملابس صيفية جديدة ، فانهن لسن على مايرام وبحاجة ماسة للملابس» .

«هل يمكننا ذلك ياماه؟» تساءلت (ميج) وهي تلتفت الى امها ، السيدة (مارتش) التي انهمكت في الخياطة وهي تجلس في الموقع المعروف باسم «زاوية مامي» .

«يمكنكن محاولة تطبيق هذه التجربة لفترة اسبوع لكي يتبين لكنّ

مقدار ما اذا كانت ستقع من نفوسكن موقعاً حسناً . وبانتهاء مساء يوم السبت سيتضح لكن ، على مااتصور ، بان اللعب بدون عمل لايقل سوءاً عن العمل بدون لعب» .

«كلا ، ياالهي ! سيكون لذيذاً ، انا واثقة من ذلك» ، قالت (ميج) برضى وارتياح .

«على حد تعبير صديقي ورفيقي (سايري جامب) اقترح عليكن الآن شرب كأس نخب المتعة الى الابد ونبذ التذمر» ، صاحت (جو) وهي ترفع قدحها بيدها بعد ان امتلأت الاقداح بعصير الليمون .

وهكذا شربن كلهن بمرح وفرح وابتدأن التجربة بقضاء بقية اليوم بالكسل والبطالة . وفي اليوم التالي لم تظهر (ميج) إلا بعد ان تجاوز الوقت العاشرة صباحاً . وعندما تناولت افطارها لم تجد لهذه الوجبة الانفرادية اي طعم كما بدت الغرفة موحشة وغير مرتبة لان (جو) لم تضع الورد في اوانيه ولم تنفض (بيث) الغبار ، كما تناثرت كتب (ايمي) هنا وهناك بدون ترتيب . ولم يبدُ هناك ثمة جزء مرتب وجميل من اجزاء الغرفة باستثناء (زاوية مامي) التي بدت كعادتها . وهناك بالذات فضلت (ميج) الجلوس «للراحة والقراءة» اي للتثاؤب – وتصور ما يمكنها ابتياعه من فساتين صيفية جميلة براتبها . اما (جو) فقد قضت صباح ذلك اليوم على شاطئ النهر بصحبة (لوري) وقضت فترة ما بعد الظهر في المطالعة والبكاء على احداث رواية «العالم الشاسع . الشاسع» وهي تجلس على شجرة التفاح . وابتدأت (بيث) يومها بنبش محتويات الخزانة الكبيرة حيث سكنت عائلتها الكبيرة المكونة من الدمى . وبعد ان سئمت هذا

العمل ، قبل ان تنجز نصفه ، تركت الخزانة ! وقد انقلبت محتوياتها رأساً على عقب ، وذهبت لتعزف موسيقاها المفضلة وهي فرصة لعدم اضطرارها الى غسل اية صحون . ورتبت (إيمي) تعريشتها في الحديقة ولبست افضل فستان ابيض لديها وسرحت خصلات شعرها وجلست ترسم تحت شجيرات صريمة الجدي وهي تأمل ان يرى احدهم هذه الفنانة اليافعة ويسأل من عساها تكون . ولعدم ظهور اي سائل ، باستثناء حصَّاد* فضولي عمد الى تفحص عملها باهتمام ، فانها ذهبت تتنزه مشياً على قدميها واثناء ذلك تعرضت الى وابل من المطر فعادت والماء يقطر منها .

واثناء وجبة الشاي جلست الفتيات لمقارنة ما قامت به كل منهن من نشاطات فوجدن بان يومهن كان ممتعاً للغاية بالرغم من طوله غير الاعتيادي . وقد اكتشفت (ميج) التي كانت قد ذهبت بعد الظهر الى الاسواق واشترت قماشاً من الموسلين الازرق – اكتشفت ، بعد ان قامت بتفصيله ، انها لن تتمكن من غسله الامر الذي ازعجها الى حد ما . وقد تسببت (جو) بحرق بشرة انفها نتيجة الاكثار من ركوب الزوارق في ذلك اليوم كما عانت من صداع شديد نتيجة اكثارها من المطالعة . وقد وجدت (بيث) نفسها قلقة كثيراً لما اصاب خزانتها من فوضى وارتباك ولصعوبة حفظ ثلاث او اربع اغانٍ مرة واحدة . اما (ايمي) فقد شعرت بالندم لما اصاب فستانها الابيض من ضرر سيما وان موعد حفلة (كايت براون) كان اليوم التالي فاصبحت مثل (فلورا

* الحصاد – حيوان من العنكبوتيات ، طويل القوائم .

مفلمسي) لاتملك ما ترتديه . ومع ذلك فان هذه المضايقات لم تكن سوى توافه . وهكذا فانهن اكدن لامهن بان التجربة كانت تسير سيراً حسناً . وازاء هذا الادعاء تبسمت الام ولم تقل شيئاً بل قامت بمساعدة (حنه) بالاعمال المنزلية التي اهملتها الفتيات لتبقي للبيت بهجته ولكي تستمر العجلة المنزلية في سيرها بلا توقف . وكانت الحالة الشاذة ، غير المريحة ، التي افرزتها عملية «الراحة والمتعة» ، امراً يثير الدهشة والذهول . كما ان الايام تزداد طولاً باستمرار وظل الطقس متقلباً بشكل غير اعتيادي وكذلك كانت الامزجة ، وقد استحوذ على الجميع شعور بالقلق وعدم الاستقرار وبذلك وجد الشيطان مجالاً كبيراً لقيام الايدي العاطلة باعمال الازعاج والاذى . وفي قمة الترف ، قامت (ميج) ببعض اعمال الخياطة ، وعندما وجدت ان الوقت يسير ببطء عمدت الى قص واصلاح ثيابها فتسببت بافسادها في محاولة منها لتجديدها على طريقة آل (موفيت) . واستمرت (جو) في مطالعتها الى الحد الذي ارهقت من خلاله عينيها وسئمت الكتب وقد اصبحت نتيجة ذلك متململة قلقة الى درجة دفعت حتى (لوري) الدمث الى الشجار معها وقد وجدت نفسها متضايقة بحيث تمنت لو انها سافرت مع العمة (مارتش) . وقد انسجمت (بيث) الى درجة كبيرة لانها كانت تنسى دوماً تجربة «اللعب من غير عمل» ولذلك كانت تعود بين الاونة والاخرى الى ما اعتادت عمله ومع ذلك فقد كان هناك ثمة امر اقلقها وعكر صفو سكونها اكثر من مرة الى حد دفعها في مناسبة معينة الى زجر دميتها (جوانا) المسكينة بعبارة جارحة . اما (إيمي) فكان نصيبها الاخفاق بسبب تدابيرها وامكاناتها

المحدودة ، فما ان تركتها اخواتها للعناية بنفسها والتمتع بمفردها حتى اكتشفت بانها كانت بالذات عبئاً عظيماً: فهي لم تهو الدمى ، وقد وجدت ان القصص الخرافية كانت اموراً صبيانية ، وان الانسان لايتمكن من قضاء وقته بالرسم ، ولم تكن حفلات الشاي ، ولا السفرات ، مناسبات تثير اهتمامها اللهم إلا اذا احسن تنظيمها . «فاذا ما تمكن الانسان من امتلاك قصر جميل تسكنه فتيات لطيفات وجميلات ، واذا ما تمكن من السفر ، فكم يكون الصيف جميلاً . ولكن البقاء في البيت بصحبة ثلاث اخوات انانيات وصبي يكفي بحد ذاته ان يستنفد صبر (بوز)*» ، قالت الانسة (مالبروب)** وهي تتذمر بسأم بعد ان قضت عدة ايام في المتعة والبهجة .

لم تشأ ايٌّ من الاخوات الاعتراف بانها قد ملت هذه التجربة ولكن ما ان حل مساء يوم الجمعة حتى اعترفت كل منهن مع نفسها بمدى سعادتها لقرب انتهاء الاسبوع . ولكي يكون لهذا الدرس اثره الفاعل في نفوس بناتها عمدت السيدة (مارتش) – التي تمتعت بحظ وافر من الظرف والدعابة – الى انهاء هذه التجربة بطريقة ملائمة وبذلك فانها قامت بمنح (حنة) اجازة وبذلك اعطت الفتيات الفرصة الكاملة للتمتع كما يترتب على هذه التجربة من نتائج .

* (بوز) - المقصود هنا هي عبارة (أيوب) وهذا ليس بالامر الغريب بالنسبة لـ (ايمي) التي اعتادت اساءة استعمال التعابير .

** (مالبروب) السيدة (مالبروب) هي عمة بطلة رواية «المنافسون» الكوميدية للكاتب البريطاني (رتشارد برنسلي شريدان ١٧٥١ - ١٨١٦) . وقد اشتهرت هذه العمة كما اعتادته من اساءة استعمال الالفاظ والتعابير .

وعندما نهضن من نومهن صباح يوم السبت وجدن ان موقد المطبخ قد خلا من ناره الاعتيادية وان مائدة الطعام لم تحمل وجبة الافطار التي اعتدن وجودها كل صباح ، أما الام فقد اختفت عن الانظار .

«رحمتك يارب! ما الذي حدث؟» صاحت (جو) وهي تنظر حواليها بقنوط .

وهرعت (ميج) الى الطابق العلوي ولكنها سرعان مانزلت عائدة وقد بدت مطمئنة بالرغم مما ظهر عليها من سيماء التعجب والخجل .

«ان امنا ليست مريضة ولكنها تشعر بتعب وقد قررت الاعتكاف في غرفتها طوال اليوم وبذلك علينا ان نتدبر امرنا» . انه اجراء غريب وتصرف شاذ لم نعهده فيها من قبل . ولكنها تقول بانها قد قضت اسبوعاً مضنياً وبذلك علينا الكف عن التذمر والعناية بانفسنا» .

«هذا امر سهل للغاية ، كما ان الفكرة تروق الي اذ اني اتوق الى القيام بعمل ما ، اذ انه سيؤمن لي مجالاً جديداً للمتعة» ، قالت (جو) بسرعة .

في الواقع كان اضطرارهن للقيام ببعض الاعمال مصدر راحة عظيم لهن فاندفعن الى اعمالهن بعزم ورغبة إلا انهن سرعان ما ادركن صحة ما اعتادت (حنة) ان تقوله وهو ان «العمل المنزلي ليس بالامر الهين» . لقد احتوت خزانة المطبخ على كثير من الطعام ، وفي الوقت الذي انهمكت فيه (بيث) و (ايمي) في تهيئته المائدة ، اخذت (ميج) و (جو) تعدان وجبة الافطار وهما تتساءلان في نفس الوقت عما يدفع الخدم الى التكلم عن العمل المضني .



«سآخذ بعض الطعام الى الوالدة على الرغم من انها قد اوصت بصرف اهتمامنا عنها اذ يمكنها العناية بنفسها» ، قالت (ميج) التي ترأست فريق العمل هذا وشعرت بعطف امومي وهي تقف خلف ابريق الشاي.

وقبل ان تبدأ اية منهن بتناول افطارها تم تهيئة صينية طعام سرعان ماوجدت طريقها الى الطابق العلوي: كان طعم الشاي في غاية المرارة لكثرة فورانه اثناء الغليان ، وقد غطى السفح عجة البيض اما البسكويت فقد كان مرقطاً بحبات صودة الخبز . ومع ذلك فقد استلمت السيدة (مارتش) وجبة افطارها بالشكر والامتنان ولكنها ضحكت بكل معنى الكلمة من هذه الوجبة بعد انصراف (جو) .

«ياللمسكينات اخشى انهن سيقضين وقتاً مضنياً ، ولكنهن لن يعانين. لان التجربة ستعود عليهن بالفائدة» قالت وهي تخرج الطعام الذي يمكن استساغته وكانت قد هيأته مسبقاً ثم تخلصت من الوجبة الرديئة لكي لاتجرح شعور بناتها اللواتي شعرن بسعادة وامتنان نتيجة هذه الخدمة الامومية الحنونة .

كثر التذمر في الطابق الارضي من الدار وزاد من هم رئيسة الطاهيات ماحققته من فشل . «لاتقلقي ساقوم بامداد وجبة الغداء والعمل على خدمة الجميع . اما انت فكوني السيدة الامرة واحتفظي بيدين نظيفتين ناعمتين وليس لك سوى اصدار الاوامر» قالت (جو) التي كان المامها بالامور المطبخية اقل من (ميج) .

وقوبل هذا الاقتراح الكريم بقبول مشوب بالفرح.

وهكذا انسحبت (مارجريت) الى غرفة الجلوس التي عمدت الى

ترتيبها بسرعة بعد ان جمعت الركام والفضلات المتبقية ووضعتها تحت الاريكة ثم قامت بغلق مصابيح الشبابيك لكي توفر على نفسها مشقة مسح الغبار . وانطلاقاً من ايمانها الراسخ بقدراتها وامكاناتها ، ورغبتها في المصالحة قامت (جو) بوضع رسالة في «دائرة البريد» دعت من خلالها (لوري) لتناول طعام الغداء معهن .

«عليك ان تتدبري امرك وتتأكدي مما لديك قبل الانصراف الى دعوة الزوار» قالت (ميج) عندما علمت بامر هذا العمل المضياف المتسرع .

«اوه ! لدينا شيء من لحم البقر المملح وكثير من البطاطة وساعد بعض الهليون(*) وسرطان البحر (الجمبري) للحصول على نكهة غريبة على حد تعبير (حنة) . وساحصل على شيء من الخس لصنع سلطة . لااعرف كيف يتم طبخ واعداد كل ذلك ولكن كتاب الطبخ خير دليل لذلك . اما بالنسبة للحلويات فلدينا شيء من المهلبية والشيلك . واذا مااردنا ان نكون في غاية الاناقة والترف فيمكننا تقديم القهوة بعد ذلك» .

«لاتحاولي القيام بما لاتستطيعين تحقيقه ان كعكة الزنجبيل والحلوى المعمولة بدبس السكر هو كل ماتتمكنين من صنعه . اني انفض يدي من كل مسؤولية تتعلق بدعوة الغداء ، وعليك رعاية (لوري) بنفسك لانك قمت بدعوته وحدك» .

لا أطلب منك القيام باي شيء سوى مجاملته ومساعدتي في اعداد

(*) الهليون – نبات من الفصيلة الزنبقية – المترجم

الحلوى . لن تتواني في توجيهي اذا ما اكتشفت باني اتخبط اليس كذلك؟»

تساءلت (جو) وقد بدت مجروحة الشعور

«بالتأكيد ولكنني لا اعرف الكثير عن الطبخ باستثناء صنع الخبز وبعض الاطباق البسيطة .

ينبغي عليك الحصول على موافقة (مامي) قبل قيامك بشراء او عمل اي شيئ» اجابت (ميج) بتعقل .

«سأفعل ذلك بطبيعة الحال فلست بفتاة حمقاء» قالت (جو) ثم مشت وهي تشعر بغضب تجاه ماابدته اختها من شكوك في قدراتها .

«احصلي على ماشئت ولاتحاولي ازعاجي .

ساتناول طعام الغداء خارج البيت وبذلك لايمكنني ان ازعج نفسي بما يدور فيه من امور» قالت السيدة (مارتش) عندما كلمتها (جو) . «لم اجد متعة في القيام باعمال البيت ابداً وبذلك قررت التمتع باجازة في هذا اليوم وساقضي اجازتي في المطالعة والكتابة والزيارات والمتعة» .

ان هذا المنظر غير الاعتيادي لامها النشطة وهي تجلس بتكاسل لتطالع في ساعة مبكرة من الصباح ، قد دفع (جو) الى الشعور بان ثمة ظاهرة غريبة قد حدثت ، فلو حدث كسوف او انفجار بركاني او هزة ارضية لما بدا ذلك اكثر غرابة .

«لقد بدت الامور غريبة بعض الشيئ» قالت في نفسها وهي تهبط السلم» . هاهي (بيث) تبكي ، الامر الذي يعني بالتأكيد ان ثمة امر خطأ قد حدث لهذه العائلة . فلو كان السبب في ذلك هو تصرف (ايمي)

فسوف ازجرها»

وبعد أن انتابها شعور غريب ، هرعت (جو) الى غرفة الجلوس لتجد (بيث) تذرف الدموع حزناً على (بب) ، طائر الكناري الذي وجد ميتاً في قفصه وقد امتدت مخالبه بصورة تثير الشفقة وكأنه يتضرع للحصول على شيءٔ من الطعام الذي كانت شحته السبب في موته .

«انها غلطتي ، فقد نسيته كلياً . لم يبق له قطرة ماء او ذرة زاد . آه يا (بب) كيف تمكنت ان اكون بهذه القسوة معك ؟ » قالت (بيث) باكية وقد وضعت الطير الصغير في راحة يدها وهي تحاول اعادة الحياة اليه .

حدقت (جو) في عينيه نصف المفتوحتين ، وتحسست قلبه الصغير ولكنها هزت رأسها اسفاً بعد ان اكتشفت تصلب اعضائه وبرودة جسمه . ثم تبرعت بعلبة (الدومينو) الخاصة بها تجعلها نعشاً له .

«لنضعه في الفرن فقد تعود اليه الحياة نتيجة شعوره بالدفئ» قالت (ايمي) بتفاؤل .

«لقد مات جوعاً . سوف لن نشويه بعد ان فارق الحياة . سأكفنه وسادفنه في الحديقة .

ولن اقوم مستقبلاً بتربية اي طير آخر ياعزيزي (بب) ، لاني لست جديرة بذلك» تمتمت (بيث) وهي تجلس على الارض وقد وضعت طيرها المدلل في راحة يدها .

«ستتم مراسيم التشييع والدفن عصر هذا اليوم وسنحضر جميعنا . هيا يا (بيث) كفاك بكاءً .

يالاسف : ان الامور لم تسر سيراً حسناً هذا الاسبوع وقد شاءت

الظروف ان يكون الجانب الاكثر سوءً من هذه التجربة من نصيب (بب) لنجهز الكفن ولنضعه في التابوت وبعد انتهاء دعوة الغداء سنقوم بمراسيم التشييع والدفن» قالت (جو) التي بدأت تشعر كأنها قد تحملت جزءاً كبيراً من المسؤولية.

بعد ان تركت اختيها تعزيان (بيث) وتخففان عنها مصابها ذهبت (جو) الى المطبخ الذي كانت الفوضى قد بلغت فيه حداً يثبط الهمة . وما ان ربطت صداريها حول خصرها حتى انهمكت في العمل . وسرعان ماجمعت الاواني الملوثة كافة واعدتها للغسيل ولكنها اكتشفت بان نار الموقد قد انطفأت . «ياله من وضع مشجع» تمتمت (جو) وهي تدفع باب الفرن بقوة وترك الرماد بحثاً عن الجمرات .

وبعد ان اشعلت النار ثانية فكرت (جو) باحتمال قيامها بالذهاب الى السوق ريثما يكون الماء قد وصل درجة الغليان . وقد اعادت مسيرتها الى السوق والعودة منه نشاطها وحيويتها . وبعد ان اقنعت نفسها بانها قد حققت صفقات جيدة فقد عادت الى البيت بعد ان ابتاعت جمبرياً صغيراً وهليوناً بالياً وعلبتين من الشليك الحامض جداً . وبعد ان انتهت من ترتيب كل شيءٍ كان الفرن يتوهج حرارة . وكانت (حنة) قد تركت وعاءً فيه عجين لكي ينتفخ وقد قامت (ميج) بدورها بوضعه في الموقد لتكون له انتفاخة ثانية ولكنها نسيت امره . وكانت (ميج) تقوم باستضافة (سالي جاردنر) في غرفة الجلوس عندما انفتح الباب فجأة على مصراعيه ليظهر شكل انسان مهمل الهندام ، ملوث بالطحين والسخام ويقول بحدة:

«الايعتبر الخبز قد انخبز وتحمص عندما يطفح فوق الاواني ؟»
بدأت (سالي) تضحك ولكن (ميج) اومأت برأسها ورفعت اهدابها فوق ماتتمكن مما – اضطر الشبح الى الغياب فجأة – ثم قامت بوضع الخبز الرديئ في الفرن ثانية بلا تردد . ثم خرجت السيدة (مارتش) بعد ان القت نظرة هنا وهناك لتقف على كيفية سير الامور وبعد ان عزت (بيث) التي جلست تعد الكفن بينما استلقى الطائر البائس في نعشه المكشوف . وما ان اختفت القبعة الرمادية خلف زاوية الطريق حتى تملك الفتيات شعور بالضعف والعجز . وسرعان ماشعرن باليأس عندما ظهرت الانسة (كروكر) بعد لحظات لتعلن بانها جاءت لتناول طعام الغداء معهن .

وكانت هذه المرأة عانساً صفراء اللون ضعيفة البنية رفيعة القامة ذات انف دقيق وعينين ينبعث منهما الفضول وحب الاستطلاع وكانت تلاحظ كل شيئ وتتناول ماتلاحظه بالقيل والقال . وكانت هذه الفتيات يكرهن هذه العانس الا انهن كن قد اوعز لهن بمجاملتها ومعاملتها بلطف بسبب كبر سنها وفقرها ولعدم امتلاكها غير القليل من الاصدقاء . ولذلك قدمت لها (ميج) الكرسي المريح وحاولت ان تكرم وفادتها بينما راحت هذه الضيفة تطرح السؤال تلو الآخر وتنتقد كل شيئ وتروي حكايات عن اناس تربطهم بها معرفة .

تعجز العبارات عن وصف قلق (جو) ومعاناتها وما بذلته من جهد في ذلك الصباح . اما الغداء الذي قدمته فقد اصبح نكتة اخذ الجميع يتندر بها . فقد دفعها خوفها من طرح المزيد من الاسئلة الى صرف جهدها لاعداد وجبة طعام محترمة ولكنها ، اكتشفت من خلال هذه

الممارسة بان الطاهية الجيدة تحتاج الى عدد من العوامل الاخرى اضافة الى النية الصادقة والطاقة على العمل . فقد قامت بغلي الهليون لمدة ساعة واكتشفت بعد ذلك بان الرأس قد انطبخ بينما بقي الجذع كما كان عليه من قوة وصلابة . وقد احترق الخبز حتى صار اسود اللون لان عمل السلطة قد ازعجها الى حد تركت من خلاله كل شيء لتدرك في النهاية بانها قد عجزت عن جعلها صالحة للاكل . اما سرطان البحر فقد كان لغزاً صعب عليها حله . وبعد عدة محاولات تمكنت من ازالة قشرته واخفت حجمه الضئيل بين ورقات الخس . ولكي لايبقى الهليون فترة طويلة كان عليها الاسراع في اعداد البطاطة التي لم يتم طبخها اخيراً بصورة جيدة . وقد وجدت بان المهلبية قد احتوت على كتل كثيرة فلم تكن لذيذة المذاق وثبت بان الشليك لم يكن ناضجاً كما بدا لها عندما ابتاعته .

«بامكانهم اكل لحم البقر المملح والزبدة والخبز اذا كانوا جياعاً ولكن الجانب المؤلم من الامر هو ان يقضي الانسان طوال يومه في المطبخ بلا جدوى» فكرت (جو) وهي تقرع الجرس نصف ساعة بعد الوقت الاعتيادي لتناول وجبة الغداء وهي تقف مرهقة ، مكتئبة ، تتصبب عرقاً تنظر الى الوليمة التي اعدتها على شرف (لوري) – ذلك الفتى الذي اعتاد الترف في هذه الامور – والتي اخذت تراقبها عينا الانسة (كروكر) اللتان لاتخفقان في ملاحظة جوانب الفشل ، تلك الجوانب التي تنشر اخبارها بفضل لسانها المهذار .

كانت (جو) المسكينة على استعداد تام لان تتوارى تحت المائدة

خجلاً اثناء قيام الجميع بتذوق كل طبق والانصراف عنه . وبينما كانت (ايمي) تضحك كانت (ميج) تبدو منزعجة ، وبينما كانت الانسة (كروكر) تزم شفتيها كان (لوري) يتكلم ويضحك بكل طاقته ليعطي هذا المنظر البهيج نكهة مرحة . وقد كمنت نقطة القوة عند (جو) في الفاكهة التي عمدت الى تحليتها بالسكر ووضعت جنبها القشدة . وهكذا انخفضت حرارة خديها بعض الشيء وتنفست الصعداء عندما راحت الصحون الزجاجية الجميلة تدور من يد الى اخرى ونظر الجميع نظرة رضى الى الجزر الوردية الصغيرة التي راحت تطفو في بحر من القشدة .

وكانت الانسة (كروكر) اول من تذوق طبق الفاكهة هذا: لكنها سرعان ماتراجعت باشمئزاز لتشرب جرعة من الماء على عجل . ولم تحاول (جو) ان تذوق شيئاً من هذه الفاكهة خشية ان لايكون هناك مايكفي الجميع ولكنها نظرت الى (لوري) فوجدته يأكل بعزم ثابت ومع ذلك فانها لاحظت ظهور التواء خفيف على فمه كما لاحظت بانه قد ركز انظاره على صحنه . اما (ايمي) التي كانت تهوى اكل الحلويات فانها تناولت ملعقة مملوءة منها ولكنها غصت فغطت وجهها في فوطتها وتركت المائدة بعجلة .

«ما الامر ؟» تساءلت (جو) وهي ترتجف .

«لقد وضعت الملح بدل السكر كما ان طعم القشدة حامض » اجابت (ميج) باشارة مأساوية .

أنت (جو) وتهاوت على كرسيها وهي تذكر قيامها بتغطية الشليك بما احتوته احدى العلبتين الموجودتين في المطبخ ، كما انها اهملت وضع

الحليب في البراد . إحمر لونها وكادت تندفع باكية ، لكن عينيها التقتا بعيني (لوري) اللتين لم تفارقهما البهجة والمتعة على الرغم من الجهود البطولية التي كان يبذلها . وفجأة تصورت الجانب المضحك من الامر فانفجرت ضاحكة حتى انهمرت الدموع من عينيها . وهكذا فعل الجميع بما فيهم (كروكر) . فاقتصرت دعوة الغداء هذه على قيام الجميع بأكل الخبز والزبدة وبعض الزيتون مع تمتعهم بجانب كبير من البهجة والمرح .

«لا اجد في نفسي العزيمة الكافية في رفع الصحون الآن ولكن علينا ان نستعد لمراسيم الدفن» قالت (جو) عندما نهض الجميع واستعدت الانسة (كروكر) للانصراف وهي تتوق الى رواية وقائع هذه الدعوى على مائدة غداء اصدقاء اخرين .

استعد الجميع لحضور مراسيم الدفن اكراماً ل (بيث) . وقد قام (لوري) بحفر قبر تحت العريشة حيث تم وضع (بب) المسكين . وكانت سيدته العطوفة تذرف الدموع الساخنة تشهد تغطيته بالطحلب . وبعد دفنه احاط اكليل من البنفسج وعشب الطير بالصخرة التي حملت الكلمة القصيرة التي كتبت احياء لذكراه من قبل (جو) عندما كانت تناضل جاهدة لاعداد الغداء: هنا يرقد (بب مارتش) الذي توفي في السابع من حزيران انه المحبوب والمأسوف عليه من قبل الجميع والذي ستبقى ذكراه طويلاً

بعد ان انتهت هذه المراسيم ، خلدت (بيث) الى غرفتها بعد ان غلبها حزنها وطعم سرطان البحر الذي تناولته اثناء وجبة الغداء . ولكنها لم تجد ثمة مكان تضطجع فيه اذ لم يكن اي من الافرشة قد تم ترتيبه وبذلك

فانها وجدت بان حزنها قد هدأ نتيجة قيامها بتنظيم الوسائد وترتيب الغرفة . وقد قامت (ميج) بمديد المساعدة في رفع ماتبقى من اطباق الدعوة ولوازمها . وقد استغرق هذا العمل نصف فترة مابعد الظهر الامر الذي انهك الفتيات فاتفقن على ان تقتصر وجبة العشاء على الشاي والخبز المحمص . اما (لوري) فقد قرر استصحاب (ايمي) في نزهة بالعربة . وكان فعله هذا من باب العمل الخيري اذ كان للقشدة الحامضة اثر سيئ على مزاجها . وعندما عادت السيدة (مارتش) الى المنزل وجدت ان فتياتها الثلاث الاكبر سناً كن منهمكات في العمل عصر ذلك اليوم .

وحين حانت منها نظرة الى الخزانة اصبحت لديها فكرة واضحة عن نجاح جزء من التجربة .

وقبل ان تتمكن ربات البيوت من الخلود الى الراحة جاء العديد من الاشخاص لزيارة العائلة الامر الذي ادى الى قيام الفتيات بالاسراع في التهيؤ لمقابلتهم . والقيام باعداد الشاي وبعض الاعمال المتفرقة الاخرى كما كان عليهن انجاز بعض اعمال الخياطة التي عمدن الى ارجائها حتى اللحظة الاخيرة . وعندما حل المساء ، ندياً وهادئاً ، تجمعت الفتيات في الشرفة ، حيث كانت زهور حزيران ووروده تتبرعم بجمال رائع ، وقد صدر عن كل منهن عند جلوسها انين او حسرة كان سببه ارهاق او مشكلة .

«ياله من يوم بغيض» بدأت (جو) التي كانت اعتيادياً اول من يتكلم

«لقد بدا اقصر من المألوف ولكنه كان غير مريح للغاية» قالت (ميج)

«لقد اختلف عما اعتدناه» اضافت (ايمي) .

«لايمكنه ان يكون مثل بقية الايام التي اعتدناها بدون (مامي) و (بب) الصغير» تنهدت (بيث) وهي تنظر الى القفص الخالي الذي تدلى فوق رأسها .

«هاهي امنا أيتها العزيزة . وبامكانك الحصول على طير آخر غداً ان شئت ذلك» .

واثناء هذه المحاورة دخلت السيدة (مارتش) واخذت مكانها بينهن وقد بدا كأن اجازتها لم تكن اكثر بهجة من الوقت الذي قضينه .

«هل انتن راضيات عن تجربتكن ، ايتها الفتيات ، ام ترغبن في تمديدها اسبوعاً آخر؟» تساءلت الام اثناء اقتراب (بيث) منها والتفات بقية الاخوات اليها كما تتجه الزهور نحو الشمس .

«لاارغب في تمديدها» اجابت (جو) بلهجة قاطعة .

«ولا انا» كررت كل منهن .

بعض الوجبات وان يعيش قليلاً من اجل الآخرين اليس كذلك ؟ »

«ان الكسل والعبث لايجديان» علقت (جو) قائلة وهي تهز رأسها .

«لقد سئمتهما واريد التوجه الى عمل ما مباشرة» .

«لماذا لاتتعلمين فن الطبخ فهو مأثرة لابد لكل امرأة ان تمتلكها» قالت السيدة (مارتش) وهي تضحك في نفسها اثر استذكارها مأدبة الغداء التي اقامتها (جو) لانها كانت قد التقت بالانسة (كروكر) التي روت لها الاخبار .

(هل تعمدت الخروج ياأماه ، وترك الامر لكي كيف سنعالج الموقف) صاحت (ميج) التي كانت الشكوك قد ساورتها طيلة اليوم .

«اجل . اردت ان ارى كيف ان راحة الجميع تعتمد على قيام كل واحدة منكن بواجبها باخلاص وأمانة .

لقد سارت اموركن على مايرام اثناء قيامنا ، انا و (حنة) بواجباتكن ، ومع ذلك لم تكنّ سعيدات او مرتاحات على ماأظن . ولهذا السبب اردت ان اعرفكنّ من خلال هذا الدرس البسيط ، معنى السعادة عندما تفكر كل منكن بنفسها فقط . الاتظنن ان مساعدة احداكن للاخرى والاشتراك في تحمل المسؤولية والقيام بالواجبات لكي يصبح البيت مريحاً وجميلاً ، هو السبيل الافضل ؟»

«اجل ياأماه اننا نظن ذلك» صاحت الفتيات .

«اذاً تقبلن نصيحتي واحملن مسؤولياتكن مجدداً . وبالرغم مما تبدو عليه من جسامة فانها مفيدة وما ان تتعودن تحملها حتى تجدن بانها خفت وتضاءلت جسامتها . ان العمل نافع وهناك الكثير منه لكل منا . فهو يدفع عنا الملل والضجر ويبعد عنا المشاكل كما انه مفيد للصحة وللمعنويات اضافة الى مايعطينا من شعور بالقوة والاستقلالية مما لا يمكن ان تحققه لنا الثروة او الازياء السائدة» .

«سنعمل كالنحل وسنهوى مانعمل وستشهدين بذلك بنفسك» قالت (جو) : «ساتعلم فن الطبخ وسيكون ذلك هو ماأتحمل من مسؤولية اثناء عطلتي . وسنحقق دعوة الغداء التالية التي ساقيمها نجاحاً باهراً» .

«ساقوم بخياطة مجموعة من القمصان لابي بدلاً من قيامك بها ياامي . ورغم اني لااهوى الخياطة ولكنني اتمكن القيام بهذه المهمة وسانجزها فعلاً . وفي كل الاحوال سيكون العمل هذا افضل بكثير من المبالغة في

الاهتمام بما لدي من ملابس هي بحد ذاتها كثيرة وجميلة بالقدر الكافي »
قالت (ميج).

«ساركز على دروسي كل يوم ولن اضيع الكثير من الوقت بين دمياتي ومالدي من نوطات موسيقية اني انسان جاهلة وعلي ان ادرس لا ان اعبث لاهية» قالت (بيث) بتأكيد وهو ماعقدت العزم على القيام به .
وقد حذت (ايمي) حذو اخواتها اذ انها اعلنت بشجاعة و بطولة قائلة :
«ساتقن صناعة العرى كما ساتقن قواعد اللغة» .
«حسناً . اني راضية عن النتائج التي حققتها هذه التجربة ولا اظننا سنضطر الى اعادتها . ولكنني اود ان احذركن من عدم المغالاة في القيام بواجباتكن بحيث تستعيدن انفسكن .

فعليكن ان تحددن اوقات العمل والراحة وان تجعلن من كل يوم مجالاً مفيداً او ممتعاً في ان واحد وبذلك سيفهم الجميع بانكن تدركن قيمة الوقت من خلال استخدامه استخداماً حسناً وموفقاً . وهكذا سيكون شبابكن ممتعاً وستخلو شيخوختكن من الندم وستكون حياتكن ناجحة على الرغم من فقركن .
«سنتذكر هذه النصيحة دوماً ، ياأماه» . وهذا ماحصل فعلاً .

عزيزي القارىء
احداث هذه الرواية لم تنته بعد، وسنكمل قراءتها معاً في الجزء الثاني .

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٤٤٠ لسنة ١٩٨٨

دار الحرية للطباعة

٦٥٠ فلساً